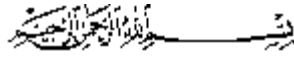


ثلاث وثلاثون كلمة

في مجالات إصلاحية متنوعة ودحض أباطيل مختلفة

تأليف

عبد المحسن بن حمد العباد البدر



مُكَلِّمَةٌ

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، فبلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة وجاهد في الله حق جهاده حتى أتاه اليقين، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه ومن سلك سبيله واستن بسنته واهتدى بهديه إلى يوم الدين.

أما بعد؛ فهذه ثلاث وثلاثون كلمة في مجالات إصلاحية متنوعة ودحض أباطيل مختلفة، كتبها بين عامي ١٤٢٩ و ١٤٣٢هـ، منها ما يتعلق بالعقيدة، ومنها ما يتعلق بالنصح والتنبيه، ومنها ما يتعلق بأحكام فقهية في العبادات والمعاملات، ومنها ما يتعلق بالتعليم، ومنها ما يتعلق برد أمور منكرة وبدحض أباطيل في غاية السوء لبعض الزنادقة، ومنها ما يتعلق بالأحداث الأخيرة التي حصلت في بعض الدول العربية ذهب فيها دولتان، وبعضها لا تزال تعصف فيها رياح الفتن والاضطرابات، وقد تحرى بعض التغريبيين المتبعين الشهوات بمناسبة تلك الأحداث شراً في بلاد الحرمين، ولكن ظنهم السيء قد خاب فأبطل الله مكرهم وسلم هذه البلاد من الشر الذي تحرّوه، وظهر للعالم أجمع قوة التماسك بين الدولة

والرعية بسبب ما أكرمها الله به من تحكيم شرع الله وبما فيها من أمر بالمعروف ونهي عن المنكر، وهو الذي تفقده الدول العربية والإسلامية الأخرى إلا ما شاء الله، وتحقق بذلك قول الله ﷻ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْفِعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [الحج: ٣٨]، وقوله: ﴿يَتَأَيَّأُ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ نَصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْهُمْ وَيُنْصِرْهُمْ أَقْدَامُكُمْ﴾ [محمد: ٧]، وقوله: ﴿وَلْيَنْصُرْكَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الذين إن مَكَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَءَاتَوْا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَنِقَةُ الْأُمُورِ﴾ [الحج: ٤٠ - ٤١]، وقوله: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَكَمًا ءَامِنًا وَبِخَطْفِ النَّاسِ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾ [العنكبوت: ٦٧].

وَأَسْأَلُ اللَّهَ ﷻ أَنْ يَحْفَظَ عَلَى هَذِهِ الْبِلَادِ أَمْنَهَا وَإِيمَانَهَا وَسَلَامَتَهَا وَإِسْلَامَهَا وَأَنْ يَقِيَهَا شَرَّ الْأَشْرَارِ وَكَيْدِ الْفَجَّارِ، إِنَّهُ سَمِيعٌ حَكِيمٌ، وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمْ وَبَارَكَ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ.

١٤٣٢/٩/٢١ هـ



[illegible]

عِشْكُمُ رَاضِيَةً ⑦ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ⑧ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ⑨ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَةٌ ⑩ نَارُ حَامِيَةٍ ⑪، وقال ﷺ: «حُفَّتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ وَحَفَّتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ» رواه البخاري (٦٤٨٧) ومسلم (٧١٣٠) واللفظ له، وقال ﷺ: «كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى، قالوا: يا رسول الله! ومن أبى؟ قال: من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبى» رواه البخاري (٧٢٨٠) وقال ﷺ: «لو يعلم المؤمن ما عند الله من العقوبة ما طمع بجنته أحد، ولو يعلم الكافر ما عند الله من الرحمة ما قنط من جنته أحد» رواه مسلم (٦٩٧٩).

وقد انقسم الناس في نصوص الوعد والوعيد إلى طرفين ووسط، طرف فرطوا فغلبوا نصوص الوعد وأهملوا نصوص الوعيد وهم المرجئة الذين يقولون: لا يضر مع الإيمان ذنب كما لا ينفع مع الكفر طاعة، ووصفوا مرتكب الكبيرة بأنه مؤمن كامل الإيمان، وطرف أفرطوا فغلبوا نصوص الوعيد وأهملوا نصوص الوعد، فأخرجوا مرتكب الكبيرة من الإيمان وقالوا بتخليده بالنار وهم الخوارج والمعتزلة وزاد الخوارج الحكم عليه بالكفر، وأهل السنة والجماعة توسطوا بين طرفي الإفراط والتفريط، فلم يجعلوا مرتكب الكبيرة مؤمناً كاملاً الإيمان كما قالت المرجئة، ولم يخرجوه من الإيمان ويقولوا بتخليده في النار كما قالت الخوارج والمعتزلة، وقالوا: هو مؤمن ناقص الإيمان، مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته، فلم يصفوه بكمال الإيمان ولم يخرجوه من الإيمان، فبقولهم: «هو مؤمن» فارقوا الخوارج والمعتزلة، وبقولهم: «ناقص الإيمان» فارقوا المرجئة، فقول أهل السنة وسط بين طرفين وهدى بين ضلالتين، كما قال أبو سليمان الخطابي رحمه الله في كتاب العزلة (ص ١١١):

ولا تغلُ في شيء من الأمر واقتصد كلا طرفي قصد الأمور ذميم

وقال الشيخ حافظ بن أحمد الحكمي رحمه الله في المنظومة الميمية في الوصايا

والآداب العلمية (ص ٤٥):

فلا تُفَرِّط ولا تُفَرِّط وكن وسطاً ومثل ما أمر الرحمن فاستقم

وانظر شرحها (٢٥٣) للابن الدكتور عبد الرزاق وفقه الله.

وقد اطلعت على مقال نشر في إحدى الصحف بعنوان: «فن تصعيب دخول الجنة» أنحى فيه كاتبه باللوم بأسلوب حماسي على من يصعب الطريق الموصل إلى الجنة، في الوقت الذي يهون هو فيه الوصول إليها، وقال عن بعض من لأمه: «فإذا وجد العصاة بشرهم بالنار وأقسم عليهم أن لا يدخلوا الجنة!» وقال عنهم في حديث «لا يدخل الجنة نمام»: «قالوا: معنى الحديث أن النمام خالد في النار محرم عليه دخول الجنة!» والواجب في هذا المقام العدل الذي عليه أهل السنة والجماعة وهو أن كل من مات على الإسلام مرتكباً الكبائر فأمره إلى الله: إن شاء عفى عنه وأدخله الجنة، وإن شاء عذبه في النار ثم أدخله الجنة، فمآل العصاة إلى الجنة ولا بد، ولا يبقى في النار أبد الآباد إلا الكفار، وليس من شأن المسلم أن يبشر العصاة بالنار ويُقسم عليهم بعدم دخول الجنة ولا أن يقول بتخليدهم في النار؛ فإن هذا ليس قول أهل السنة وإنما هو قول الخوارج والمعتزلة وعسى أن يكون هذا من حماس الكاتب فقط، والنبى الكريم ﷺ أخبر عن الصعوبة والمشقة التي في الطريق إلى الجنة لتعمل أمتة الأعمال الصالحة الموصلة إليها، فقال ﷺ في الحديث المتقدم: «حُفَّتْ الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات» والمعنى أن الطريق الموصل إلى الجنة فيه نصب وتعب في الإتيان بالطاعات والصبر عليها ولو شقت على النفوس؛ لأن العاقبة حميدة، والطريق الموصل إلى النار محفوف بالشهوات التي توصل إليها، فيصبر المسلم عن المعاصي واتباع الشهوات ولو مالت إليها النفوس؛ لأن العاقبة في عدم الصبر وخيمة، وقد مر قوله ﷺ: «كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى، قالوا: يا رسول الله! ومن أبى؟ قال: من

أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبى»، ومقتضاه الصبر على الطاعات ولو شقت على النفوس والصبر عن المعاصي ولو مالت إليها النفوس، وفي صحيح البخاري (٦٤٧٤) قوله ﷺ: «من يضمن لي ما بين لحييه وما بين رجليه أضمن له الجنة» يعني اللسان والفرج، وضمان ما بين اللحيين والرجلين فيه مشقة لا بد فيها من الصبر عن المعاصي التي تأتي من طريقهما، ولما سأل معاذ بن جبل رضي الله عنه رسول الله ﷺ أن يخبره بعمل يقربه من الجنة ويباعده من النار، أجابه بقوله: «لقد سألت عن عظيم، وإنه ليسير على من يسره الله عليه، تعبد الله ولا تشرك به شيئاً وتقيم الصلاة تؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت» الحديث، وهو حديث صحيح رواه الترمذي (٢٦١٦) وغيره، فقد وصف النبي ﷺ العمل المسئول عنه بكونه عظيماً فيه تعب ومشقة، وهذا العمل الذي دله عليه هو أركان الإسلام الخمسة، وأهمها بعد التوحيد الصلاة التي تتكرر في اليوم والليلة خمس مرات، والنبي ﷺ خاف على أمته الاتكال على نصوص الوعد والتهاون في العمل، ولما بين ﷺ لمعاذ حق الله على العباد وهو التوحيد وحق العباد على الله وهو ألا يعذبهم، قال له معاذ: «أفلا أبشر الناس؟» قال ﷺ: لا تبشرهم فيتكلموا» رواه البخاري (٥٩٦٧) ومسلم (١٤٣).

وقد جعل الله أعمال العباد سبباً في دخول الجنة بفضلها ورحمته وسبباً في دخول النار بعدله وحكمته، قال الله ﷻ: ﴿وَرَىٰ كُلُّ أُمَّةٍ جَائِئَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰ إِلَىٰ كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾، وقال: ﴿وَنُودُوا أَن تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾، وقال: ﴿الَّذِينَ نَفَقْتُمْ أَلْمَلِكَةَ طَبِيعٌ يَقُولُونَ سَلِّمْ عَلَيْنَا أَدْخِلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾، وقال: ﴿أَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَىٰ نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾، وقال: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْلَمُونَ الْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾، وقال: ﴿وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيْفِ فَكَتَبَتْ وَجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾، وقال: ﴿يَوْمَ يَفْشَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُقُوا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾، والرسول الكريم ﷺ قد غفر له ما

تقدم من ذنبه وما تأخر ومع ذلك كان يقوم من الليل حتى تفطرت قدماه، فقد روى البخاري (٤٨٣٧) ومسلم (٧١٢٦) عن عائشة رضي الله عنها: «أن النبي ﷺ كان يقوم من الليل حتى تتفطر قدماه، فقالت عائشة: لم تصنع هذا يا رسول الله وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: أفلا أكون عبداً شكوراً؟»، وكان من سلف هذه الأمة من يجتهدون في عبادة ربهم مدة حياتهم، ومن أعجب ما وقفت عليه في ذلك ما في ترجمة صفوان بن سليم في تهذيب التهذيب (٤/٤٢٥): «وقال أنس بن عياض: رأيت صفوان ولو قيل له: (غداً القيامة) ما كان عنده مزيد»، وأيضاً ما في ترجمة منصور بن زاذان فيه (١٠/٣٠٦): «وقال إبراهيم بن عبد الله الهروي عن هشيم: لو قيل لمنصور بن زاذان: (إن ملك الموت على الباب) ما كان عنده زيادة في العمل».

والمسلم يسير إلى الله ﻋَﻠَﻴْكَ متصفاً بالخوف والرجاء؛ كما قال الله ﻋَﻠَﻴْكَ: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْكَرُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَتَعُونَكَ رَعِبًا وَرَهْبًا وَكَانُوا لَنَا خُشُوعِينَ﴾، وقال: ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾، وقال: ﴿أَمَنْ هُوَ قَنِيتُ عَائَةَ الْيَلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ﴾، وقال: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَاءً آتَاوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجْهَةٌ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾، وفي فتح الباري (٨/٥٥٣): «(كان العلاء بن زياد يذكر النار، فقال رجل: لم تقنط الناس؟! قال: وأنا أقدر أقنط الناس والله ﻋَﻠَﻴْكَ يقول: ﴿يَعْبَادِي الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ﴾، ويقول: ﴿وَأَنْتَ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ﴾؟! ولكنكم تحبون أن تبشروا بالجنة على مساوئ أعمالكم، وإنما بعث الله محمداً ﷺ مبشراً بالجنة لمن أطاعه ومنذراً بالنار لمن عصاه»، وقال الحسن البصري رحمته الله: «المؤمن يعمل بالطاعات وهو مشفق وجل خائف، والفاجر يعمل بالمعاصي وهو آمن» نقله عنه ابن كثير في تفسيره عند قوله تعالى: ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾، وقال أبو عثمان الحيري رحمته الله: «(من علامة السعادة أن تطيع وتخاف ألا تقبل، ومن علامة الشقاء أن تعصي الله وترجو أن تنجو)»

الحلية لأبي نعيم (٢٤٦/١٠) والفتح (٣٠١/١١)، وقال ابن أبي العز الحنفي رحمه الله في شرح العقيدة الطحاوية (ص ٤٥٦): «يجب أن يكون العبد خائفاً راجياً؛ فإن الخوف المحمود الصادق ما حال بين صاحبه وبين محارم الله، فإذا تجاوز ذلك خيف منه اليأس والقنوط، والرجاء المحمود رجاء رجل عمل بطاعة الله على نور من الله، فهو راج لثوابه، أو رجل أذنب ذنباً ثم تاب منه إلى الله، فهو راج لمغفرته، قال الله عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾، أما إذا كان الرجل متمادياً في التفريط والخطايا يرجو رحمة الله بلا عمل، فهذا هو الغرور والتمني والرجاء الكاذب، قال أبو علي الروذبادي رحمه الله: الخوف والرجاء كجناحي الطائر، إذا استويا استوى الطير وتم طيرانه، وإذا نقص أحدهما وقع فيه النقص، وإذا ذهب صار الطائر في حد الموت... فالرجاء يستلزم الخوف، ولولا ذلك لكان أمناً، والخوف يستلزم الرجاء، ولولا ذلك لكان قنوطاً ويأساً، وكل أحد إذا خفته هربت منه، إلا الله تعالى فإنك إذا خفته هربت إليه، فالخائف هارب من ربه إلى ربه»، إلى أن قال: «وفي صحيح مسلم عن جابر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قبل موته بثلاث: (لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بربه)، ولهذا قيل: إن العبد ينبغي أن يكون رجاءه في مرضه أرجح من خوفه، بخلاف زمن الصحة فإنه يكون خوفه أرجح من رجائه، وقال بعضهم: من عبد الله بالحب وحده فهو زنديق، ومن عبد الله بالخوف وحده فهو حروري، ومن عبده بالرجاء وحده فهو مرجئ، ومن عبده بالحب والخوف والرجاء فهو مؤمن موحد».

وإن مما يؤسف له أن يُبتلى عدد قليل من طلبة العلم بالنيل من الشيخ العلامة المحدث الألباني رحمه الله ووصفه بالإرجاء، في الوقت الذي سلم منهم دعاة التغريب قتلة الأخلاق الذين يسعون جاهدين للإفساد في بلاد الحرمين بعد إصلاحها، وسلم

منهم أهل الزندقة وأهل الزيغ والضلال، وكأنه ليس أمامهم في الميدان إلا هذا الرجل ذو الجهود العظيمة في خدمة سنة الرسول ﷺ وبيان عقيدة السلف، وما أحسن الأثر الذي نقله ابن كثير في البداية والنهاية (١٣/ ١٢١) عن سفيان بن حسين قال: «ذكرت رجلاً بسوء عند إياس بن معاوية فنظر في وجهي، وقال: أغزوت الروم؟! قلت: لا، قال: فالسند والهند والترك؟! قلت: لا، قال: أفتسلم منك الروم والسند والهند والترك ولم يسلم منك أخوك المسلم؟ قال: فلم أعد بعدها»، وهم بنيلهم من الشيخ الألباني رحمه الله يهدون له بعض حسناتهم، ومن الخير لهم أن يُيقوا على تلك الحسنات وأن يستفيدوا من علمه ويوجّهوا سهامهم إلى غيره ممن يستحق أن توجه إليه، وقد وقفت في كلامه على ما يوضح سلامته من الإرجاء؛ وذلك في مقدمة تحقيقه لكتاب «رياض الصالحين» للنووي (ص ١٤ - ١٦) وفي شرحه وتعليقه على «العقيدة الطحاوية» (ص ٤٢)، وجاء في شرحه المسجل للأدب المفرد في الشريط السادس قوله: «وهذا ليدل على أن الإيمان بدون عمل لا يفيد، وأن العمل الصالح هو من الإيمان، كما نحن في صدد الحديث الآن، لذلك يعني فائدة السنة هو تقويم المفاهيم المعوجة، فالله حينما يذكر الإيمان يذكره مقروناً بالعمل الصالح؛ لأننا لا نستطيع أن نتصور إيماناً بدون عمل صالح إلا لإنسان نتخيله تخيلاً: آمن من هنا قال: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ومات من هنا، هذا نستطيع أن نتصوره، لكن إنسان يقول: لا إله إلا الله محمد رسول الله، وهو يعيش دهرًا ما شاء الله ولا يعمل صالحاً فعدم عمله الصالح هو كدليل أنه يقولها بلسانه ولما يدخل الإيمان إلى قلبه، فذكر الأعمال الصالحة بعد الإيمان هو ليدل على أن الإيمان النافع هو الذي يكون مقروناً بالعمل الصالح»، وما جاء عنه في الموضوع من كلام فيه إجمال واحتمال ينبغي أن يحمل على أحسن المحامل فيحمل على كلامه المفسر، وقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية في الرد على البكري (ص ٣٢٤): «ومعلوم أن مفسر كلام المتكلم يقضي على

مجمله، وصرّحه يقَدِّم على كنيته».

وأنا إذ أخالف الشيخ الألباني في بعض المسائل التي أرى أنه أخطأ فيها وهو مأجور إن شاء الله على اجتهاده أشرت إليها في رسالة «رفقاً أهل السنة بأهل السنة» فأنا لا أستغني وأرى أنه لا يستغني غيري عن كتبه والإفادة منها، ولا أعلم له نظيراً في هذا العصر في العناية بالحديث وسعة الاطلاع فيه، وكلُّ يؤخذ من قوله ويردُّ إلا رسول الله ﷺ كما قال ذلك الإمام مالك رحمته الله.

وهذه بعض النقول عن جماعة من أهل العلم في تقرير وتوضيح اغتفار خطأ العالم في صوابه الكثير:

قال الإمام الذهبي (٧٤٨هـ): «ثم إن الكبير من أئمة العلم إذا كثرت صوابه، وعُلم تحرّيه للحق، واتّسع علمه، وظهر ذكاؤه، وعُرف صلاحه وورعه وأتباعه، يُغفر له زلله، ولا نُضللّه ونطرّحه، وننسى محاسنه، نعم! ولا نقتدي به في بدعته وخطئه، ونرجو له التوبة من ذلك»، سير أعلام النبلاء (٥ / ٢٧١)، وقال أيضاً: «ولو أنّا كلّما أخطأ إمامٌ في اجتهاده في آحاد المسائل خطأً مغفوراً له قُمنّا عليه وبدّعناه وهجرناه، لما سلم معنا لا ابن نصر ولا ابن منده ولا من هو أكبر منهما، والله هو هادي الخلق إلى الحق، وهو أرحم الراحمين، فنعوذ بالله من الهوى والفضاظة»، السير (١٤ / ٣٩ - ٤٠)، وقال أيضاً: «ولو أنّ كلّ من أخطأ في اجتهاده - مع صحّة إيمانه وتوحيّيه لاتباع الحق - أهدرناه وبدّعناه، لقلّ من يسلم من الأئمة معنا، رحم الله الجميع بمنّه وكرمه»، السير (١٤ / ٣٧٦)، وقال ابن القيم (٧٥١هـ): «معرفة فضل أئمة الإسلام ومقاديرهم وحقوقهم ومراتبهم وأنّ فضلهم وعلمهم ونصحهم لله ورسوله لا يوجب قبول كلّ ما قالوه، وما وقع في فتاويهم من المسائل التي خفي عليهم فيها ما جاء به الرسول، فقالوا بمبلغ علمهم والحق في خلافها، لا يوجب اطّراح أقوالهم جملة، وتنقصهم

والوقية فيهم، فهذان طرفان جائران عن القصد، وقصد السبيل بينهما، فلا نؤثم ولا نعصم» إلى أن قال: «ومن له علم بالشرع والواقع يعلم قطعاً أن الرجل الجليل الذي له في الإسلام قدم صالح وآثار حسنة، وهو من الإسلام وأهله بمكان قد تكون منه الهفوة والزلة هو فيها معذور، بل ومأجور لاجتهاده، فلا يجوز أن يُتبع فيها، ولا يجوز أن تُهدر مكانته وإمامته ومنزلته من قلوب المسلمين»، إعلام الموقعين (٣/ ٢٩٥)، وقال ابن رجب الحنبلي (٧٩٥هـ): «ويأبى الله العصمة لكتاب غير كتابه، والمنصف من اغتفر قليل خطأ المرء في كثير من صوابه»، القواعد (ص: ٣).

وأسأل الله ﷻ أن يوفقنا وسائر المسلمين لتحصيل العلم النافع والعمل به والثبات على الصراط المستقيم، إنه سبحانه وتعالى جواد كريم، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.



صحفي يُنكر الحوض والصراط ورؤية الله وصحيفة عكاظ تنشر هذا الإنكار

(١٢/٧/١٤٣٢هـ)

الحمد لله وحده، وصلى الله وسلم وبارك على من لا نبي بعده نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه واستن بسنته.

وبعد، فإن الإيمان باليوم الآخر أحد أصول الإيمان الستة التي بيّنها رسول الله ﷺ في حديث جبريل المشهور؛ إذ جاء إلى الرسول ﷺ في صورة رجل غير معروف عند الصحابة وسأله عن الإسلام والإيمان والإحسان والساعة وأماراتها، وكان جوابه ﷺ عندما سأله عن الإيمان؛ قال: «أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر

خيرِه وشرِه»، وفي آخره قال عليه الصلاة والسلام: «فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم»، والحديث أخرجه مسلم في صحيحه (٩٣) عن عمر رضي الله عنه وهو أول حديث عنده في كتاب الإيمان، وقد شرحته في رسالة بعنوان: «شرح حديث جبريل في تعليم الدين» طبعت في عام ١٤٢٤ هـ، والإيمان بهذه الأصول الستة من الإيمان بالغيب الذي هو أول صفات المتقين المذكورة في أول سورة البقرة في قوله: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا بِالْغَيْبِ وَيُعِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُقِفُونَ ٢﴾ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ٣ أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ٤﴾، ويأتي كثيراً في الكتاب والسنة الجمع بين الإيمان بالله والإيمان باليوم الآخر، لأن الإيمان بالله أصل الأصول وأساس الأسس، والإيمان باليوم الآخر فيه التذكير بالمعاد والترغيب بالأعمال الصالحة رجاء ثوابها في الدار الآخرة، والترهيب من المعاصي خوفاً من عقابها، قال الله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ٥٨﴾ وقال عليه السلام: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه» رواه البخاري (٦٤٧٥) ومسلم (١٧٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه، وبداية اليوم الآخر الموت؛ فكل من مات قامت قيامته وانتقل من دار العمل إلى دار الجزاء، ويدخل في الإيمان باليوم الآخر كل ما جاء في كتاب الله وثبتت به السنة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مما يكون بعد الموت كنعيم القبر وعذابه والبعث والحشر والحوض والحساب والميزان والصراط والجنة ورؤية الله عز وجل والنار وغير ذلك.

وقد اطلعت على مقال نشرته صحيفة عكاظ بتاريخ: ١٤/٦/١٤٣٢هـ للصحفي نجيب عصام يماني وليس له من النجابة نصيب، ينكر فيه الحوض والصراط ورؤية الله ﷻ تحت عنوان: «ما قيل في الحوض والصراط»، تحبط في مقاله خبط عشواء، وقفما ما ليس له به علم، وما للصحفيين والحوض في مسائل العلم الشرعي، لاسيما مسائل الاعتقاد التي لا ينكرها حتى العوام؟! وسبق أن كتبت رسالة بعنوان: «تنبيهات في الحج على الكتابة المسماة إفعل ولا حرج»، قلت فيها (ص ٦٠) تحت عنوان: (وحتى الصحفيين يُفتون ويخوضون في الأحكام الشرعية بغير علم): «ولم يكن أمر الفتوى والكلام في مسائل العلم قاصراً على العلماء ومن ينتسب إلى العلم، بل أصبح مرتقى سهلاً يتسلق جدرانته كل من هبَّ ودبَّ ممن لا ناقة لهم في العلم ولا جمل وليسوا في العير ولا في النفير، فطفحت الصحف بكلامهم المنفلت في مسائل العلم» ثم ذكرت أمثلة لذلك، وأورد هنا نماذج من كلماته المنفلتة التي تنادي عليه ببعده عن الأهلية للكلام في العلم الشرعي؛ منها قوله معلقاً على اختلاف الروايات في صفة الحوض: «ونخلص من هذا الاختلاف إلى أن الحديث في حكم المضطرب الذي لا يعمل به عند أهل الحديث ... ولقد جاء في صحيح مسلم (١٢٦٤/٧٠٠٣) قوله عليه الصلاة والسلام: «يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء - أي ترابية - ليس فيها علم لأحد»، فإذا كان هذا الحوض يبلغ طوله ما بين المشرق والمغرب فإن هذه الأوصاف توجب ذكر هذا الحوض في معرض ذكره عليه الصلاة والسلام لأرض المحشر بدلاً من القول بأنها بيضاء عفراء وليس فيها علم لأحد، وهل ثمة علم للرسول عليه الصلاة والسلام على أرض المحشر أكبر من هذا

الحوض، لو كان موجوداً؟ مما يوجب إيقاف العمل بهذا الحديث»، ومنها قوله: «وقوله تعالى: ﴿وَجْهٌ يُؤْمِرُ نَاصِرَةٌ﴾ (٢٢) إِلَىٰ رِبِّهَا نَاطِرَةٌ﴾ (٢٣) وَوَجْهٌ يُؤْمِرُ بِأَمْرِ﴾ (٢٤) تَنْظُرُ أَنْ يَفْعَلَ بِهَا فَاقَرَّةٌ﴾، ففي ذلك اليوم العصيب تكون وجوه المؤمنين ناصرة وترجو وتتظر من رب العالمين حسن الجزاء وليس - بالمناسبة - في هذه الآية أي معنى من معاني رؤية رب العالمين في الآخرة كما يحلو للبعض أن يقول بذلك ويتشبث بهذه الآية، فإن هذا القول مردود جملة وتفصيلاً بقوله تعالى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾، وقوله تعالى لموسى عليه السلام: ﴿لَنْ تَرِنِّي﴾، وحرف «لن» تأتي بوضع اللغة للنفي الأبدي ... وفي قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ رد لمن احتج بما نسب إلى الرسول عليه الصلاة والسلام من قوله: «ترون ربكم يوم القيامة كما ترون القمر ليلة البدر» ... وحرف «كما» تأتي للتشبيه والتمثيل ورب العزة والجلال منزّه عن كل ذلك، فالشاهد أن يوم المحشر تطفئ عليه صفة الهم والغم والكرب، كما قال عليه الصلاة والسلام فيما رواه مسلم (٤٣٣/٩١) «... يجمع الله يوم القيامة الأولين والآخرين في صعيد واحد ... وتدنو الشمس فيبلغ الناس من الغم والكرب ما لا يطيقون»، فهل يتناسب هذا الحال مع وجود هذه القطعة من نعيم الجنة وهي هذا الحوض في هذا المحشر؟ ونخلص من هذا إلى أن ما ذهب إليه القرطبي من أن هذا الحوض إنما هو في أرض المحشر قول بعيد جداً وينقضه العقل والنقل، فأين إذاً يكون هذا الحوض؟ والقول الثاني الذي تبناه القاضي عياض فيه أن هذا الحوض إنما يكون في الجنة، وفي هذا القول إشكالات أكثر من القول الأول، لأن فيه تعارضاً مباشراً مع حشد من الآيات، مثل قوله تعالى: ﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَجْجًا﴾ (٧) عَنَّا فِيهَا شَمْسٌ سَلْسِيلًا﴾، وقوله تعالى:

﴿وَمَزَاجُهُمْ مِنْ تَسْنِيمٍ ۖ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ﴾، فهذه الآيات وغيرها تدل على أن الناس في الجنة يشربون ويستمتعون بهذه الأشربة التي خلقها الله لهم، ووجه التعارض مع حديث الحوض أن من شرب منه فلا يظمأ بعدها أبداً، ومعنى ذلك أن كل هذه العيون والأنهار التي خلقها الله لعباده في الجنة لا قيمة لها، لأن من شرب من الحوض انتهت رغبته في أي ماء أو شراب وهذا مردود بسياق الآيات ومعانيها، وثمة إشكال آخر وهو ما ذكره ابن حجر في فتح الباري (٣٥٠٢ / ٦٣٦٥) أن رهطاً من أصحاب الرسول عليه الصلاة والسلام يمنعون من هذا الحوض، فيقول الرسول «يا ربي أصحابي، فيقول إنك لا علم لك بما أحدثوا بعدك إنهم ارتدوا». والسؤال الذي ينقض هذا الحديث هو مَنْ مِنَ الصحابة ارتد بعد وفاة الرسول عليه الصلاة والسلام؟ ولا صحابي واحد!! ثم لو كان موجوداً في الجنة لكان من المناسب أن يأتي ذكره - ولو مرة واحدة - في سياق الآيات التي تناولت وصف الأشربة والأطعمة التي خلقها الله لعباده في الجنة، فلما لم يرد ذكره علم قطعاً أنه لا وجود له في الجنة كما قال القاضي عياض»، وقوله: «أما الصراط فقد جاء في صحيح مسلم (٤٠٥ / ٨٨) ومثله في البخاري (٧٩١ / ٥٢٧) قوله عليه الصلاة والسلام: «ويضرب الصراط بين ظهراي جهنم، فيمر أولكم كالبرق، ثم كمر الريح، ثم كمر الطير، حتى يجيء الرجل فلا يستطيع السير إلا زحفاً، وفي حافتي الصراط كلاليب مثل شوك السعدان تخطف الناس»، والذي جاء في كتابه العزيز في استيفاء العباد ما يستحقونه إنما هو الفرح والبشرى وأن الملائكة تأخذهم مباشرة من المحشر إلى الجنة وتفتح لهم أبوابها وتهنئهم وترحب بهم أجمل ترحيب وتقول لهم: ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ

طَبَنُ فَادُّوْهَا خَلْدِيْنَ ﴿١٣٦﴾، فلزم والحال كذلك تقديم الآيات وإيقاف العمل بحديث الصراط والنيران والكلاليب وشوك السعدان».

هذه نماذج من كلامه المتهافت الذي لا فائدة فيه ولا قيمة له، وقد بلغني أنه حصل ردود عليه لم أطلع على شيء منها، ولا أريد أن أناقش هذا الهذيان الذي مجرد تصويره يغني عن تكلف الرد عليه وإنما أكتب في هذه الموضوعات الثلاثة باختصار؛ فأقول: إن الإيمان بالحوض والصراط ورؤية الله ﷻ في الدار الآخرة من عقائد أهل السنة والجماعة التي تضمنتها كتب عقائد أهل السنة المطولة والمختصرة، ومن المختصرة «العقيدة الطحاوية»، و«مقدمة رسالة ابن أبي زيد القيرواني».

فأما الحوض فقد تواترت فيه الأحاديث عن رسول الله ﷺ، وقد قلت في كتابي: «قطف الجنى الداني شرح مقدمة رسالة ابن أبي زيد القيرواني» (ص ١٣٦): «أحاديث حوض نبينا ﷺ متواترة عن رسول الله ﷺ، أورد البخاري رحمه الله في باب: في الحوض، من كتاب الرقاق من صحيحه منها تسعة عشر طريقاً من (٦٥٧٥ - ٦٥٩٣)، وذكر الحافظ في الفتح أن الصحابة فيها يزيدون على خمسين صحابياً، ذكر خمسة وعشرين منهم نقلاً عن القاضي عياض، وثلاثة نقلاً عن النووي، وزاد عليهما قريباً من ذلك، فزادوا على الخمسين صحابياً (١١/ ٤٦٨ - ٤٦٩)، وأورد الإمام ابن كثير في كتاب النهاية أحاديث الحوض عن أكثر من ثلاثين صحابياً (٢/ ٢٩ - ٦٥)، ذكرها بأسانيد الأئمة الذين خرّجوها غالباً»، وقد أورد الشيخ محمد مرتضى الزبيدي رحمه الله في كتابه: «إتحاف السادة المتقين» (١٠/ ٥٠٠-٥٠٨) أسماء خمسة وأربعين صحابياً رويوا أحاديث

الحوض منهم أربعة ذكرهم صاحب الإحياء وذكر الأئمة الذين خرجوا أحاديث الحوض؛ منهم من ساق أسانيدهم ومنهم من اكتفى بالعزو إلى كتبهم، وقال بعد ذلك: «فهذا ما تيسر لي من جمع أحاديث الحوض في وقت الكتابة، ولو استوفيت النظر في مجموع ما عندي من الفوائد والأجزاء والتعليق والتخريج ربما بلغ أكثر مما ذكرت، والله الموفق»، وقوله هذا يدل على سعة اطلاعه على كتب الحديث، وقد نقل عن كتاب السنة للطبراني بأسانيده مما يدل على أنه اطلع على هذا الكتاب، وكانت وفاة الزبيدي سنة ١٢٠٥ هـ، وقد ولد في الهند وعاش في اليمن وتوفي في مصر، ولا أعلم شيئاً عن وجود هذا الكتاب؛ فمن كان عنده علم عن وجوده فليدل عليه مشكوراً، وقد نقل الزبيدي في هذا الكتاب (٥٠٩/١٠) عن النووي الجمع بين مختلف الروايات في تحديد مسافة الحوض فقال: «وأجاب النووي عن ذلك بأنه ليس في ذكر المسافة القليلة ما يدفع المسافة الكثيرة فالأكثر ثابت بالحديث فلا يعارضه»، ثم قال الزبيدي: «وحاصله يشير إلى أنه أخبر أولاً بالمسافة اليسيرة ثم أعلم بالمسافة الطويلة فأخبر بما كان الله ﷻ تفضل عليه باتساعه شيئاً بعد شيء فيكون الاعتماد على ما يدل على أطولها مسافة».

وأما الصراط فقد قلت في: «قطف الجنى الداني» (ص ١٣٤): «الصَّراطُ حقٌّ ثابتٌ بسُنَّةِ رسول الله ﷺ، وهو جسرٌ منصوبٌ على متن جهنم، يمرُّ عليه المسلمون للوصول إلى الجنة على قَدَرِ أعمالهم، فمنهم مَنْ يمرُّ كالبرق، ومنهم مَنْ يمرُّ كالريح، ومنهم مَنْ يزحف زحفاً، ففي صحيح البخاري (٨٠٦)، ومسلم (٢٩٩) من حديث أبي هريرة ؓ،

وفيه: «فِيضْرَبُ الصَّرَاطُ بَيْنَ ظَهْرَانِي جَهَنَّمَ، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يَجُوزُ مِنَ الرُّسُلِ بِأَمَّتِهِ، وَلَا يَتَكَلَّمُ يَوْمَئِذٍ أَحَدٌ إِلَّا الرُّسُلُ، وَكَلَامُ الرُّسُلِ يَوْمَئِذٍ: اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ، وَفِي جَهَنَّمَ كَلَالِيبٌ مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ، هَلْ رَأَيْتُمْ شَوْكَ السَّعْدَانِ؟ قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: فَإِنَّهَا مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ، غَيْرَ أَنَّهُ لَا يَعْلَمُ قَدْرَ عِظَمِهَا إِلَّا اللَّهُ، تَخْطِفُ النَّاسَ بِأَعْمَالِهِمْ، فَمِنْهُمْ مَنْ يُؤَبِّقُ بِعَمَلِهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُخْرَدِلُ ثُمَّ يَنْجُو»، وفي صحيح مسلم (٣٢٩) من حديث أبي هريرة وحذيفة رضي الله عنه، وفيه: «وَتُرْسَلُ الْأَمَانَةُ وَالرَّحْمُ، فَتَقُومَانِ جَنْبَيِ الصَّرَاطِ يَمِينًا وَشِمَالًا، وَيَمُرُّ أَوَّلُكُمْ كَالْبَرْقِ، قَالَ: قُلْتُ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي! أَيُّ شَيْءٍ كَمَرَّ الْبَرْقُ؟ قَالَ: أَوْ لَمْ تَرَوْا إِلَى الْبَرْقِ كَيْفَ يَمُرُّ وَيَرْجِعُ فِي طَرْفَةِ عَيْنٍ؟ ثُمَّ كَمَرَّ الرِّيحُ، ثُمَّ كَمَرَّ الطَّيْرُ وَشَدَّ الرِّجَالُ، تَجْرِي بِهِمْ أَعْمَالُهُمْ، وَنَبِيُّكُمْ قَائِمٌ عَلَى الصَّرَاطِ يَقُولُ: رَبِّ سَلِّمْ سَلِّمْ! حَتَّى تَعْبُزَ أَعْمَالُ الْعِبَادِ، حَتَّى يَجِيءَ الرَّجُلُ فَلَا يَسْتَطِيعُ السَّيْرَ إِلَّا زَحْفًا، قَالَ: وَفِي حَافَتِي الصَّرَاطِ كَلَالِيبٌ مَعْلَقَةٌ، مَأْمُورَةٌ بِأَخْذِ مَنْ أُمِرَتْ بِهِ، فَمَخْدُوشٌ نَاجٍ، وَمَكْدُوشٌ فِي النَّارِ».

وأما رؤية الله في الدار الآخرة فقد قلت في: «قطف الجنى الداني» (ص ١٢٩): «رؤية المؤمنين ربهم بأبصارهم في الدار الآخرة، هي أكبر نعيم يحصل لهم في دار النعيم، وقد دلَّ على ذلك الكتاب والسنة والإجماع، فمن أدلة الكتاب قول الله عز وجل: ﴿وَبُيُوتُهُمْ يُورَثُونَ﴾، وقوله: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُورُونَ﴾، قال الشافعي رحمه الله: «لَمَّا حُجِبَ هؤلاء في حال السخط، دلَّ على أنَّ المؤمنين يرونه في حال الرضى»، وقوله: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا لِحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾، الحسنَى: الجنة، والزيادة: النظر إلى وجه

الله ﷻ، فسرها بذلك رسول الله ﷺ، كما في صحيح مسلم (٢٩٧) عن صهيب رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «إذا دخل أهل الجنة الجنة، قال: يقول الله تبارك وتعالى: تريدون شيئاً أزيدكم؟ فيقولون: ألم تبيض وجوهنا؟ ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار؟ قال: فيكشف الحجاب، فما أعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إلى ربهم ﷻ، ثم تلا هذه الآية ﴿لَّذِينَ أَحْسَنُوا لِحُسْنِهِمْ زِيَادَةٌ﴾»، وقوله تعالى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾، وهو يدل على إثبات الرؤية بدون إدراك، فهو يرى ولا يدرك، أي: لا يحاط به رؤية، كما أنه يعلم ولا يحاط به علماً، ونفي الإدراك وهو أخص، لا يستلزم نفي الرؤية وهي أعم، وقوله: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَنِي وَلَكِنْ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَنِي فَلَمَّا بَلَغَ لَبَّ الْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا﴾، وموسى عليه الصلاة والسلام سأل الله أمراً ممكناً، ولم يسأله مستحيلاً، والله ﷻ شاء ألا يرى إلا في الدار الآخرة؛ لأن رؤيته أكمل نعيم يكون فيها، وقوله: ﴿لَنْ تَرَنِي﴾، أي: في الدنيا، وقد ذكر ابن القيم رحمه الله هذه الأدلة من الكتاب وغيرها في كتاب حادي الأرواح (ص: ١٧٩ - ١٨٦)، ثم ذكر الأدلة من السنة عن سبعة وعشرين صحابياً، وساق أحاديثهم، ثم ذكر الآثار عن الصحابة والتابعين ومن بعدهم من أهل السنة والجماعة، وهي تدل على الاتفاق والإجماع على ذلك من الصحابة ومن سار على طريقتهم.

وقد قال ابن القيم رحمه الله في كتابه «حادي الأرواح» (ص: ٢٢٠): «وإن لم يكن لما أخبر به - يعني رؤية المؤمنين ربهم في الآخرة - حقيقة كما يقوله أفراخ الصابئة والفلاسفة والمجوس والفرعونية بطل الشرع

والقرآنُ فإن الذي جاء بهذه الأحاديث هو الذي جاء بالقران والشرعة والذي بلغها هو الذي بلغ الدين، فلا يجوز أن يجعل كلام الله ورسوله عضيّن بحيث يؤمن ببعض معانيه ويكفر ببعضها فلا يجتمع في قلب العبد بعد الاطلاع على هذه الأحاديث وفهم معناها إنكارها والشهادة بأن محمد رسول الله أبداً والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كان لنهتدي لولا أن هدانا الله لقد جاءت رسل ربنا بالحق»، وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله في الفتح (٤٣٤ / ١٣): «جمع الدارقطني طرق الأحاديث الواردة في رؤية الله تعالى في الآخرة فزادت على العشرين، وتتبعها ابن القيم في حادي الأرواح فبلغت الثلاثين، وأكثرها جياذ، وأسند الدارقطني عن يحيى بن معين قال: عندي سبعة عشر حديثاً في الرؤية صحاح».

وأسأل الله ﷻ أن يصلح أحوال المسلمين ويمنحهم الفقه في الدين والثبات على الحق، وأن يهدي الصحفيين والقائمين على الصحف ويوفقهم للاشتغال بما يعينهم وترك ما لا يعينهم من كل ما فيه ضرر عليهم وعلى المسلمين، إنه سميع مجيب.

وصلّى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



لم يثبت أن لحواء أم البشر قبراً في جدة

(١٤٣١/٨/١٩هـ)

الحمد لله الذي خلق الناس من ذكر وأنثى، وأشهد أن لا إله إلا الله له الحمد في الآخرة والأولى، وأشهد أن نبينا محمداً خير الورى وقد بلغ في

السُّودد الذُّرى، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه وكل من بهديه اهتدى.

وبعد، فقد اطلعت على ما نشرته صحيفة عكاظ بتاريخ ١٠/٣/١٤٣١هـ حول قيام بعض الناس بالسعي إلى تطوير مقبرة في جدة يدعى أنها لحواء أم البشر وأنه رُصد مبلغ كبير لتكاليف تطويرها ونزع ملكيات حولها لتوسيعها، وأحب أن أنبّه حول هذا الموضوع إلى ما يلي:

١- أن دفن حواء أم البشر في جدة وفي هذه المقبرة المنسوبة إليها لا يصح؛ لأنه لا دليل من الشرع على ذلك، والأصل عدم ذلك حتى يثبت، ويدل على عدم صحته ما يلي:

أ- أن مجرد اشتهاً نسبة المقبرة إلى حواء لا اعتبار له ولا يفيد دفنها فيها؛ فإن من القبور ما اشتهرت نسبته ومع ذلك لا صحة لهذه النسبة، كالقبر الذي نُسب إلى الحسين عليه السلام في القاهرة.

ب - أن الناس في أول الخليقة كانت أجسامهم كبيرة وأعمارهم طويلة، قال الله عز وجل عن نوح عليه الصلاة والسلام: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾، ولما خلق الله آدم خلقه وطوله ستون ذراعاً، ويدخل أهل الجنة الجنة على قدر خلق أبيهم؛ ففي صحيح البخاري (٣٣٢٦) ومسلم (٧١٦٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «خلق الله عز وجل آدم على صورته طوله ستون ذراعاً، فلما خلقه قال: اذهب فسلم على أولئك النفر - وهم نفر من الملائكة جلوس - فاستمع ما يحوونك به؛ فإنها تحيتك وتحية ذريتك، قال: فذهب فقال: السلام عليكم، فقالوا: السلام عليك ورحمة الله، قال: فزادوه ورحمة الله، قال: فكل من يدخل الجنة على

صورة آدم وطوله ستون ذراعاً، فلم يزل الخلق ينقص بعده حتى الآن»، وروى البخاري (٣٣٢٧) ومسلم (٧١٤٩) أيضاً عن أبي هريرة رضي الله عنه في وصف دخول أهل الجنة الجنة، وفي آخره: «وأزواجهم الحور العين، على خلق رجل واحد على صورة أبيهم آدم ستون ذراعاً في السماء»، ففي هذين الحديثين ثبوت طول آدم وأنه ستون ذراعاً، وأما العرض فجاء في مسند الإمام أحمد (١٠٩١٣) بإسناد ضعيف عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «كان طول آدم ستين ذراعاً في سبع أذرع عرضاً»، وفي الحديثين أيضاً الإخبار عن أمر غيبي وقع في الماضي وهو خلق آدم وطوله ستون ذراعاً، والإخبار عن أمر غيبي يقع في المستقبل، وهو دخول أهل الجنة الجنة على خلق آدم طولهم ستون ذراعاً.

ومن المعلوم أن طول حواء مثل طول آدم أو قريب منه للتماثل والتقارب بين الرجال والنساء في مختلف الأزمان، وأن طول قبرها يكون ستين ذراعاً، وأن القبور في هذه المقبرة المنسوبة إلى حواء وغيرها من المقابر متماثلة، وهي في حدود أربعة أذرع، وحواء أول امرأة وُجدت في الأرض، فمن أين لأحد أن قبرها في أرض جدة؟! وما ذاك إلا من الأساطير والرجم بالغيب!.

٢- أن تطوير هذه المقبرة والعناية بها وصرف مبالغ كبيرة لهذا التطوير وتمييزها على غيرها من المقابر في جدة يلفت الأنظار إليها وإلى القبر الموهوم فيها، ويكون ذلك سبباً في تعظيمها وافتتان الناس بها مع أنه لا حقيقة لذلك، وما دام أن الأموات يُذهب بهم إلى المقابر بواسطة السيارات فالذي يناسب إيجاد مقابر في أماكن خالية لا يُحتاج معها إلى نزع ملكيات كالذي

أريد لهذه المقبرة من تطويرها وإظهارها بمظهر يكون سبباً لافتتان الناس بها، ولو ثبت أن قبر حواء في جدة وفي هذه المقبرة وأن طوله ستون ذراعاً لم تجز العناية بهذه المقبرة عناية خاصة تتميز بها عن المقابر في جدة.

وقد ذكر العلماء المحاذير التي تترتب على العناية ببعض القبور عناية خاصة يترتب عليها تعظيم أصحابها والغلو فيهم وسؤالهم قضاء الحاجات وكشف الكربات، ومن ذلك قول الرازي في تفسيره عند قول الله ﷻ في سورة يونس: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعُونَكَ عِنْدَ اللَّهِ﴾، قال: «ونظيره في هذا الزمان اشتغال كثير من الخلق بتعظيم قبور الأكابر؛ على اعتقاد أنهم إذا عظموا قبورهم فإنهم يكونون شفعاء لهم عند الله»، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى (٧٩/٢٧): «وكان العكوف على القبور والتمسح بها وتقيلها والدعاء عندها وفيها ونحو ذلك هو أصل الشرك وعبادة الأوثان»، وذكر ابن كثير في كتابه البداية والنهاية (١٤/١٧٠) في حوادث سنة ثمان ومائتين وفاة السيدة نفيسة بنت الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب - وقبرها في مصر - والغلو فيها وقال: «وأصل عبادة الأصنام من المغالاة في القبور وأصحابها، وقد أمر النبي ﷺ بتسوية القبور وطمسها، والمغالاة في البشر حرام».

وبناء على ما تقدم، فالواجب منع هذا التطوير لهذه المقبرة وعدم التمكين من ذلك لتحصل السلامة من الآثار السيئة المترتبة عليه.

وأسأل الله ﷻ أن يصلح أحوال المسلمين، وأن يمن عليهم بالفقه في الدين والثبات على الحق، إنه سميع مجيب، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا

محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



كلمة حول الآثار غير المشروعة في مكة المكرمة

(١٤٣١/٩/٢٠هـ)

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد، فقد نشرت صحيفة عكاظ للدكتور عبد الوهاب أبو سليمان مقالاً في ثمان حلقات بعنوان: «الأماكن التاريخية في مكة وعناية الملك عبد العزيز بها» مؤرخاً في ٢٠-٢٨/١/١٤٣٠هـ، وقد اطلعت عليه في هذه الأيام ووجدت أن الذي فيه نقل عن بعض المصادر التاريخية التي تُعنى بمثل هذه الآثار وبعضها ينقل من بعض، وقد ذكر أن كثيراً من تلك الآثار اندثرت لدخولها في توسعات المسجد الحرام، وبقي منها مواضع قليلة ذكرها، وما جاء في مقاله من آثار مكانية مأخوذ من مصادر تاريخية تُعنى بذكر مثل هذه الأخبار - وهو ما عبّر عنها بالرصد - دون تحييص لها لمعرفة ما يصح وما لا يصح كما هو شأن كتب التاريخ خلافاً لطريقة المحدثين، وأول مصدر نقل عنه رسالة منسوبة للحسن البصري رحمته الله بعث بها إلى رجل مقيم في مكة أراد الانتقال منها إلى اليمن، رغبه فيها بالبقاء في مكة والعدول عما أراد من مغادرتها، قال في تمهيدته لمقاله تحت عنوان: «تأصيل التدوين للأماكن الإسلامية الماثورة في مكة المكرمة» قال: «بداية هذا التدوين - فيما أحاط به العلم - رسالة التابعي الجليل الإمام أبو سعيد (كذا) الحسن بن أبي الحسن البصري، المتوفى سنة عشرة (كذا) ومائة بعد الهجرة، التي خاطب بها صديقه الزاهد عبد الرحيم أو عبد الرحمن بن أنس الرمادي، وكان يسكن مكة شرفها الله، ثم أراد مغادرتها إلى اليمن، فبلغ ذلك الحسن، وكان يواخيه في الله تعالى، فكتب إليه كتاباً

يرغبه في المقام بمكة زادها الله شرفاً، وذكر له من فضائلها وخصائصها ما يشني عزم صديقه الزاهد عبد الرحيم بن أنس الرمادي عن مغادرة مكة المكرمة.

ذكر في هذه الرسالة المواضع التي يستجاب فيها الدعاء في مكة المكرمة في الفقرة التالية: (وما على وجه الأرض بلدة يستجاب فيها الدعاء في خمسة عشر موضعاً إلا مكة: أولها: جوف الكعبة الدعاء فيه مستجاب، والدعاء عند الحجر الأسود مستجاب، والدعاء عند الركن اليماني مستجاب، والدعاء عند الحجر مستجاب، والدعاء خلف المقام مستجاب، والدعاء في الملتزم مستجاب، والدعاء عند بئر زمزم مستجاب، والدعاء على الصفا والمروة مستجاب، والدعاء بين الصفا والمروة مستجاب، والدعاء بجمع مستجاب، والدعاء بعرفات مستجاب، والدعاء في المشعر الحرام مستجاب، فهذه - يا أخي - خمسة عشر موضعاً، فاغتنم الدعاء فيها؛ فإنها المواضع التي لا يرد فيها الدعاء، وهي المشاهد العظام التي ترجى فيها المغفرة، فاجتهد - يا أخي - في الدعاء عند هذه المشاهد العظام، وإنك إذا خرجت من حرم الله تعالى وأمنه ذهبت عنك بركة هذه المشاهد).«

وأنبه حول هذه الرسالة المنسوبة إلى الحسن البصري إلى ما يلي:

١- في صحة نسبتها للحسن البصري رحمه الله نظر؛ فمن حيث إسنادها فقد بحثت وبحث غيري عن رجال الإسناد فلم يحصل الوقوف على تراجم غالبيتهم، وقد ذكر السخاوي في المقاصد الحسنة (ص ٤١٨) حديثاً مرفوعاً في فضل الطواف فيه مجازفة ومبالغة في الثواب، وفي الرسالة المنسوبة للحسن البصري نحوه، وقال: «أخرجه الجندي في تاريخ مكة من حديث سعيد بن جبير عن ابن عباس به مرفوعاً وفي رسالة الحسن البصري ومناسك ابن الحاج نحوه وهو باطل»، وذكره أيضاً العجلوني في كشف الخفاء (٢/ ٢٦٠) فقال: «وأخرجه الجندي في تاريخ مكة عن ابن عباس مرفوعاً، وفي

رسالة الحسن البصري ومناسك ابن الحاج نحوه، ولكن آثار الوضع عليه لائحة، ولذا قال السخاوي: «إنه باطل»، ومن حيث متنها ففيه مجازفات ومبالغات وجفاء في حق الأنبياء لا يليق صدورهما ممن هو دون الحسن البصري، وسيأتي بيان ذلك بعد قليل.

٢- لم يتطابق في الصحيفة المعدود مع العدد؛ إذ نقص المعدود عن العدد ذكر موضعين وهما: بين الركن والمقام ومنى، وفي الرسالة التي نشرتها مكتبة الفلاح بالكويت بعنوان: «فضائل مكة والسكن فيها» - وهي الأصل الذي نقل عنه صاحب المقال - التطابق بين العدد والمعدود.

٣- المواضع الخمسة عشر كلها الآن في داخل المسجد الحرام إلا أربعة وهي منى وعرفة وجمع والمشعر الحرام، وترجى إجابة الدعاء في أي مكان من المسجد، والتنصيب على استجابة الدعاء في المواضع المذكورة فيه بخصوصها يفتقر إلى دليل، والركن اليماني لم يثبت نص في الدعاء عنده، وإنما الثابت في حقه مسحه في حال الطواف، وأما الحجر الأسود فلا يوقف للدعاء عنده بل يقول عند استلامه: بسم الله والله أكبر، وعند محاذاته: الله أكبر، وقد ثبت الدعاء في حال الطواف بين الركن اليماني والحجر الأسود ولم يأت ذكره في الرسالة المنسوبة للحسن البصري، ففي سنن أبي داود (١٨٩٢) بإسناد حسن عن عبد الله بن السائب رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول ما بين الركنين: «ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار»، ولا يختص الدعاء ببئر زمزم، وإنما يكون عند شرب مائها ولو لم يكن عند البئر، وأما السعي بين الصفا والمروة والدعاء فيه فهو خاص بالسعي للحج والعمرة، ولا يجوز التطوع بالسعي بإجماع العلماء، فقد نقل الحافظ في الفتح (٤٩٩/٣) عن الطحاوي الإجماع على ذلك، ذكرت ذلك في رسالة: «تبصير الناسك بأحكام المناسك على ضوء الكتاب والسنة والمأثور عن الصحابة» (ص ١٦)، وذكرت أيضاً كلام بعض العلماء في معنى قوله تعالى: يُحِجُّ بِكُكْ

وأنه ليس المراد به تكرار السعي بدون حج أو عمرة، بل المراد تكرار الحج والعمرة أو التطوع بالعبادات الأخرى التي شرع فيها التكرار كالطواف والصلاة وغيرها، وأما المواضع الأربعة الأخرى فلا تُقصد للعبادة والدعاء إلا في موسم الحج، وليس لأحد أن يقصدها في غير الموسم للعبادة والدعاء لأنه لم يرد دليل على ذلك.

٤- جاء في المقال: «وذكر له — أي الحسن البصري لصديقه — من فضائلها وخصائصها ما يشني عزم صديقه الزاهد عبد الرحيم بن أنس الرمادي عن مغادرة مكة المكرمة».

وهذه الفضائل في الرسالة التي أشار إليها صاحب المقال بعضها مرفوع إلى رسول الله ﷺ وبعضها لم يُنصص على رفعه، وقد ختمت هذه الفضائل بما يلي: «ومن صلى في الحِجْر ركعتين ناحية الركن الشامي فكأنه أحيا سبعين ألف ليلة، وكان له كعبادة كل مؤمن ومؤمنة، وكأنها حج أربعين حجة مبرورة متقبلة، ومن صلى مقابل باب الكعبة أربع ركعات فكأنها عبد الله تعالى كعبادة جميع خلقه أضعافاً مضاعفةً، وآمنه الله تعالى يوم القيامة من الفزع الأكبر، وأمر الله ﷻ جبريل وميكائيل وجميع ملائكته عليهم السلام أن يستغفروا له إلى يوم القيامة، فاغتنم — يا أخي! — هذا الخير كله، وإياك أن يفوتك، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته!!»

أقول: مثل هذه المجازفات والمبالغات في الثواب لهاتين الركعتين والأربع ركعات يبعد معها كل البعد صدورها من الحسن البصري رحمته الله، بل إن مجرد ذكرها مما يستحي منه، ومن الفضائل التي اشتملت عليها تلك الرسالة (ص ٣٨): «ومن مات في الحرم فكأنما مات في السماء الرابعة!!» ومنها (ص ٢٣): «وما على وجه الأرض بلدة أبواب الجنة كلها مفتوحة إليها إلا مكة، وإن أبواب الجنة لثمانية أبواب كلها مفتوحة إليها بمكة إلى يوم القيامة، فباب منها للكعبة، وباب منها تحت الميزاب، ومنها باب عند الركن

اليمني، وباب منها عند الركن الأسود، وباب منها خلف المقام، وباب منها عند زمزم، وباب منها على الصفا، وباب منها على المروة!! ومنها (ص ١٩): «وما من ملك يبعثه الله تعالى من السماء إلى الأرض في حاجة إلا اغتسل من تحت العرش وانقض محرمًا، فيبدأ ببيت الله تعالى فيطوف به أسبوعاً ثم يصلي خلف المقام ركعتين، ثم يمضي لحاجته وما بُعث إليه!! ومنها (ص ٢٥): «قال رسول الله ﷺ: إن خير البقاع وأطهرها وأزكاها وأقربها من الله تعالى ما بين الركن والمقام!! ومنها (ص ٢٦): «قال رسول الله ﷺ: المقام بمكة سعادة، والخروج منها شقاوة!! ومنها (ص ٢٧): «قال ﷺ: من مرض بمكة يوماً كتب الله له من العمل الصالح الذي كان يعمل في غيرها عبادة ستين سنة!! ومنها (ص ٣٠): «والنظر في بئر زمزم عبادة!!»

وبعد ذكر هذه النماذج من الفضائل المضحكة المبكية التي ليس لها خطام ولا زمام والتي لا يقبلها عقل، أقول: أفمثل هذه الفضائل يفرح بها عضو في هيئة كبار العلماء ويثني عليها بقوله: «وذكر له من فضائلها وخصائصها ما يثني عزم صديقه الزاهد عبد الرحيم بن أنس الرمادي عن مغادرة مكة المكرمة»؟!

٥- ومما جاء في الرسالة (ص ٢٠): «وإن حول الكعبة قبر ثلاثمائة نبي، وما بين الركن اليمني والركن الأسود قبر سبعين نبياً قتلهم الجوع والقمل، وقبر إسماعيل وأمه هاجر صلى الله عليهما وسلم في الحجر تحت الميزاب، وقبر نوح وهود وشعيب وصالح صلى الله على نبينا وعليهم وسلم فيما بين زمزم والمقام!!»

وأشير حول هذه القبور المزعومة إلى ما يلي:

أ. هذه القبور المزعومة لهؤلاء الأنبياء هل هي من الخصائص أو الفضائل لمكة أو هما معاً التي نوّه عنها صاحب المقال بقوله: «وذكر له من فضائلها وخصائصها ما يثني عزم صديقه الزاهد عبد الرحيم بن أنس الرمادي عن مغادرة مكة المكرمة»؟! وكل

ذلك غير لائق.

ب. أن شريعة نبينا محمد ﷺ منعت من اتخاذ القبور مساجد وجاء فيها ذم الأمم السابقة لاتخاذها قبور أنبيائهم وصالحهم مساجد، وذكر هذه الخصائص والفضائل المزعومة في أشرف البقاع مناف لذلك.

ج. أن وصف هذا العدد الكبير من الأنبياء الذين زُعم دفنهم حول الكعبة بكونهم قتلهم الجوع والقمل فيه جفاء في حق الأنبياء وسوء ظن بالله ﷻ؛ إذ كيف يليق أن يوصفوا بأن هلاكهم بسبب الجوع والقمل؟! وينزه الله أن يتركهم بلا زاد وأن يسلط عليهم القمل فيجعل إهلاكهم بجوع من الداخل وقمل من الخارج، سبحانه هذا بهتان عظيم!

د. أما زعم دفن إسماعيل وأمه في الحجر تحت الميزاب، فإن إسماعيل أعان أباه إبراهيم عليهما الصلاة والسلام على بناء الكعبة، وكان موضع الحجر داخلًا في بناء الكعبة على القواعد التي بناها إبراهيم وابنه إسماعيل عليهما الصلاة والسلام؛ والحجر بدء وجوده في زمن قريش لما قصّرت بهم النفقة عند بنائها تركوا المقدار الذي داخل الحجر خارجاً عن بنائها وجعلوا من ورائه الجدار علامة على ذلك، وقد جاء ذلك مبيناً في قوله ﷺ لعائشة رضي الله عنها: «يا عائشة! لولا أن قومك حديثو عهد بشرك لهدمت الكعبة فالزقتها بالأرض وجعلت لها بايين: باباً شرقياً وباباً غربياً، وزدت فيها ستة أذرع من الحجر، فإن قريشاً اقتصرتها حيث بنت الكعبة» رواه البخاري (١٥٨٦) ومسلم (٣٢٤٤) واللفظ له، وفي رواية للبخاري (١٥٨٤) ومسلم (٣٢٤٩) عن عائشة قالت: «سألت رسول الله ﷺ عن الجدر أمن البيت هو؟ قال: نعم، قلت: فلم لم يدخلوه البيت؟ قال: إن قومك قصّرت بهم النفقة» الحديث.

هـ. وأما الزعم بأن قبر نوح وهود وشعيب وصالح فيما بين زمزم والمقام، فمعلوم

أن نوحاً وهوداً وصالحاً كانوا قبل زمن إبراهيم وقبل وجود بئر زمزم والمقام، وأما شعيب فكان بعد لوط ولوط كان في زمن إبراهيم؛ قال الله ﷻ عن شعيب: ﴿وَيَقُولُوا لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمَ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ﴾، وهؤلاء الرسل الخمسة وهم نوح وهود وصالح ولوط وشعيب أسماؤهم مصروفة، وقد ذكر الله قصصهم مع أمهم مرتبة حسب أزمانهم في سور الأعراف وهود والشعراء وكذا سورة القمر إلا أن قصة شعيب لم تذكر فيها.

وكل ما جاء في الرسالة المنسوبة إلى الحسن البصري من ذكر قبور أنبياء مسمين وغير مسمين وكذا ما جاء فيها من مجازفات ومبالغات في فضائل ليس لها أصل هو من الرجم بالغيب، ويعد صدور ذلك من الحسن البصري رحمته الله.

وبعد ذكر صاحب المقال ما نقله عن الرسالة المنسوبة إلى الحسن البصري رحمته الله قال: «يقول العلامة قطب الدين بن علاء الدين النهروالي المكي الحنفي في خاتمة كتابه الإعلام بأعلام بيت الله الحرام في تاريخ مكة المشرفة تحت عنوان: (ذكر المواضع المباركة، والأماكن الماثورة بمكة المشرفة): (فمنها المواضع التي نص العلماء رحمهم الله تعالى أن الدعاء فيها مستجاب، وذكر الحسن البصري رحمته الله خمسة عشر موضعاً يستجاب الدعاء فيها، عددها، وزاد غيره مواضع أخرى فبلغت ثلاثة وخمسين موضعاً، وذكر منها مواضع غير معروفة الآن)، ثم تتابعت الكتابات في هذا الموضوع وتواترت عند المؤرخين والفقهاء، وتوسعوا في ذكرها نثراً ونظماً، حتى أصبحت تمثل جزءاً من موضوعات كتب التاريخ المكي وكتب فقه المناسك بخاصة، يأتي في مقدمة المصادر التاريخية التي عدت الأماكن التاريخية التي تنتسب إلى رسول الله ﷺ وصحابته الكرام كتب السيرة النبوية والمصادر التاريخية العامة والمتخصصة: أولاً: الأماكن التاريخية الماثورة في مؤلفات السيرة النبوية الشريفة: عرض علماء السيرة النبوية الشريفة للأماكن

التاريخية الماثورة في مكة المكرمة مما له علاقة بسيرة النبي ﷺ، وأضافوا في مقالاتهم كل ما يذكر عنها من أقوال كما هي عادة المؤرخين؛ إذ إن من وظائف المؤرخ أن يرصد كل ما يقال عن المكان والحدث بصرف النظر عن صحته أو عدم صحته، فمنهم من يطلق الرواية، ومنهم من يكون أكثر دقة فيسقط من الاعتبار ما لم تشهد له الشواهد أو الوقائع في زيفها ويطلبها من اعتباره، ثم يبين في النهاية الراجح من تلك الأقوال، وبهذا يستقيم لهم المنهج التاريخي كاملاً.

ثم بعد ذلك أورد صاحب المقال ما أمكنه من أسماء الكتب في السيرة النبوية والتاريخ وغيرها التي تشتمل على ذكر أخبار حول ما أراده من آثار مكانية دون تمييز بين صحيح وغيره ودون اعتماد على الأسانيد كما هي طريقة كتب التاريخ خلافاً لطريقة المحدثين، وفي مقدمة صحيح مسلم (٣٢) عن عبد الله بن المبارك رحمته الله قال: «الإسناد من الدين؛ ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء»، وقد أعجبتني كلمة من أحد أساتذة التاريخ في الجامعة الإسلامية بالمدينة قبل ربع قرن شارك في مناقشة رسالة جامعية موضوعها مرويّات غزوة من غزوات الرسول ﷺ، قال: «قد شارك القصاصُ المحدثين في مناقشة هذه الرسالة»، يعني نفسه لكونه من المؤرخين الذين وصفهم بالقصاص.

ثم خلص صاحب المقال إلى أنه لم يبق من الأماكن التاريخية بمكة في عام ١٤٢٩ هـ إلا أحد عشر موضعاً عدّها، وهي: الموضع الذي يُذكر أن النبي ﷺ ولد فيه وغاران وثمانية مساجد، وأشهر هذه المساجد مسجد الخيف بمنى الذي صلى فيه النبي ﷺ في حجته، ولم يأت ما يدل على أن النبي ﷺ قصده للصلاة فيه في غير حجته ولا أرشد أمته إلى قصده للصلاة فيه في غير الحج، وقد أحرم النبي ﷺ في عمرته الثالثة من الجعرانة بعد غزوة حنين وأذن لعائشة رضي الله عنها أن تحرم بعمره بعد الحج من التنعيم، وأهل

مكة إذا أرادوا الإحرام بالعمرة يحرمون من الحل سواء كان من التنعيم أو الجعرانة أو من أي مكان خارج حدود الحرم من جميع الجهات، ولا يلزم أن يكون الإحرام من الجعرانة أو التنعيم من المسجدين الموجودين فيهما، بل يجوز أن يكون الإحرام من داخلهما أو خارجهما، ولا يُقصد هذان المسجدان من أجل الصلاة فيهما، ويصدق على قصد مسجد الخيف ومسجدَي الجعرانة والتنعيم وكذا المساجد الأخرى ما جاء في الأثر الذي جاء عن عمر رضي الله عنه المتعلق بمسجد بين مكة والمدينة سيأتي ذكره قريباً، والحجاج والعمار بحاجة إلى توجيههم إلى الإكثار من الطواف بالبيت والصلاة في المسجد الحرام فرضاً ونفلاً، وليسوا بحاجة إلى إرشادهم إلى الذهاب إلى غيران وغير غيران مما لم يأت في مشروعية قصدها عن الله ورسوله ﷺ برهان.

والآثار المكانية تنقسم إلى قسمين:

الأول: مواضع ثبت في الأدلة الشرعية بيان فضلها والترغيب في التقرب إلى الله ﷻ فيها، كالمساجد الثلاثة التي لا تُشد الرحال إلا إليها ومسجد قباء، فهذا القسم يُقصد ويُتقرب إلى الله ﷻ فيه.

الثاني: مواضع لم يثبت فيها سنة عن رسول الله ﷺ ترشد إلى قصدها والتقرب إلى الله ﷻ فيها، فلا تُقصد للصلاة فيها، ومن ذلك المساجد التي اتفق أن النبي ﷺ صلى فيها دون قصدها؛ يدل على ذلك الأثر الذي رواه عبد الرزاق (١١٨/٢) وابن أبي شيبه (٣٧٦-٣٧٧/٢) بإسناد صحيح عن المعرور بن سويد قال: «كنت مع عمر بين مكة والمدينة، فصلى بنا الفجر فقراً ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ﴾، و ﴿لَا يَلْفُ قُرَيْشٌ﴾، ثم رأى قوماً ينزلون فيصلون في مسجد، فسأل عنهم فقالوا: مسجد صلى فيه النبي ﷺ، فقال: إنما أهلك من كان قبلكم أنهم اتخذوا آثار أنبيائهم بيعاً، من مرَّ بشيء من المساجد فحضرت الصلاة فليصل وإلا فليمض»، قال شيخ الإسلام ابن تيمية معلقاً

على هذا الأثر: «فلما كان النبي ﷺ لم يقصد تخصيصه بالصلاة فيه، بل صلى فيه لأنه موضع نزوله، رأى عمر أن مشاركته في صورة الفعل من غير موافقة له في قصده ليس متابعة، بل تخصيص ذلك المكان بالصلاة من بدع أهل الكتاب التي هلكوا بها، ونهى المسلمين عن التشبه بهم في ذلك، ففاعل ذلك متشبه بالنبي ﷺ في الصورة، ومتشبه باليهود والنصارى في القصد الذي هو عمل القلب» مجموع الفتاوى (١/ ٢٨١)

وقد كتبت في الموضوع رسالة بعنوان: «التحذير من تعظيم الآثار غير المشروعة» وهي مطبوعة في عام ١٤٢٨ هـ ضمن مجموعة كتبي ورسائلي (٤/ ٢٠٧-٢٢٩).

والآثار الحقيقية للرسول ﷺ التي على المسلم المحافظة عليها سنته المطهرة وهي أقواله وأفعاله وتقريراته ﷺ واتباع ما جاء في الكتاب والسنة، وذلك علامة محبة الله ورسوله ﷺ؛ كما قال الله ﷻ: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾، وقد قال الله ﷻ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾، وقال: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾، وقال ﷺ: «(ما نهيتكم عنه فاجتنبوه، وما أمرتكم به فافعلوا منه ما استطعتم)» الحديث رواه البخاري (٧٢٨٨) ومسلم (٦١١٣)، وقال ﷺ: «كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى، قيل: ومن يأبى يا رسول الله؟! قال: من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبى» رواه البخاري (٧٢٨٠)، وقال الشاعر:

دين النبي محمد أخبار	نعم المطية للفتى آثار
لا ترغبَنَّ عن الحديث وأهله	فالرأي ليل والحديث نهار
ولربما جهل الفتى أثر الهدى	والشمس بازغة لها أنوار

وقد وُضعت صورة صاحب المقال في حلقاته الثمان خالية من أثر الآثار الشرعية،

وكان ينبغي له أن يحافظ على هذه الآثار الشرعية وأن يسلم من التعلق بالآثار غير الشرعية والإرشاد إليها، وقد اجتمع في إعفاء اللحي الوجوه الثلاثة التي تثبت بها السنة وهي القول والفعل والتقدير؛ وقد كان ﷺ كثر اللحية وأمر بإعفائها وكان أصحابه ذوي لحي وقد أقرهم على ذلك، وقد قلت في رسالة: «تبصير الناسك بأحكام المناسك على ضوء الكتاب والسنة والمأثور عن الصحابة» (ص ٥٠) عند ذكر محظورات الإحرام: «وأما اللحية فإن حلقها أو أخذ شيء منها حرام في جميع الأحوال في حال الإحرام وغيرها؛ لحديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «خالفوا المشركين، أحفوا الشوارب، وأوفوا اللحي» رواه البخاري (٥٨٩٢) ومسلم (٦٠٢)، ولفظه في البخاري: «ووفروا اللحي»، وعند البخاري (٥٨٩٣) ومسلم (٦٠٠) بلفظ: «وأعفوا»، ولحديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «جزوا الشوارب وأرخوا اللحي، خالفوا المجوس» رواه مسلم (٦٠٣)، وفي هذين الحديثين جاء الأمر بذلك بألفاظ أربعة وهي: الإعفاء والإيفاء والإرخاء والتوفير، قال شيخنا الشيخ عبد العزيز بن باز رحمته الله في منسكه: «وقد عظمت المصيبة في هذا العصر بمخالفة كثير من الناس هذه السنة ومحاربتهم للحي ورضاهم بمشابهة الكفار والنساء، ولا سيما من ينتسب إلى العلم والتعليم، فإننا لله وإنا إليه راجعون!»، وذكر شيخنا الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رحمته الله في أضواء البيان (٤/ ٦٣٠) في تفسير سورة طه عند ذكر هارون وموسى دلالة القرآن على إعفاء اللحي وأنه كان سمت الرسل الكرام صلوات الله وسلامه عليهم وقال: «وقد كان ﷺ كثر اللحية وهو أجمل الخلق وأحسنهم صورة، والرجال الذين أخذوا كنوز كسرى وقيصر ودانت لهم مشارق الأرض ومغاربها ليس فيهم حالق».

وأسأل الله ﷻ أن يوفقني وصاحب المقال وسائر المسلمين للفقهِ في الدين والثبات

على الحق والالتزام بسنة الرسول ﷺ.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.



رسالة نصح وإشفاق إلى الإعلاميين ومالكي القنوات من المسلمين

حاكمين ومحكومين

(٤/٢/١٤٣٠هـ)

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على عبده
ورسوله نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد، فهذه رسالة نصح وإشفاق إلى كل مسلم من الإعلاميين ومالكي
القنوات والقائمين على وسائل الإعلام المختلفة مقروءة أو مسموعة أو مرئية،
أسأل الله ﷻ أن يشرح صدر كل مسلم في أي موقع فيها إلى الأخذ بها فيه الخير له
وللمسلمين في الدنيا والآخرة، والسلامة مما فيه الشر له وللمسلمين في الحال
والمآل، إنه سميع مجيب.

١- أيها الإخوة! إن خير ما يذكرك به كلام الله ﷻ الذي هو خير الكلام وأبلغه
وأأنفعه، وقد قال الله عنه: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ۚ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ
يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الحشر: ٢١]، وقال: ﴿فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾
[ق: ٤٥]، وقال: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾
[محمد: ٢٤]، وقال: ﴿كَتَبْنَا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَذَكِّرَ بِهِ وَيَتَذَكَّرَ
أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [ص: ٢٩]، وقال: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ
كَثِيرًا مِّمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ ۚ قَدْ

جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴿١﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٢﴾ [المائدة: ١٥-١٦]، وقال: ﴿ وَنَزَّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾ [الإسراء: ٨٢]، وقال: ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدْكِرٍ ﴾ [القمر: ١٧]، وقال: ﴿ يَتَأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [يونس: ٥٧]، وقال في صفات عباد الرحمن: ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِغَايَةِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴾ [الفرقان: ٧٣]، نقل ابن كثير في تفسيره عن قتادة قال: «لم يصموا عن الحق ولم يعموا فيه، فهم - والله! - قوم عقلوا عن الله فانتفعوا بها سمعوا من كتابه».

٢- الواجب على المسلم الاستسلام والانقياد لما جاء عن الله ورسوله ﷺ، قال الله ﷻ: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا ﴾ [الأحزاب: ٣٦]، وقال: ﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْدِمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [الحجرات: ١]، وقال: ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [النور: ٥١-٥٢]، وقال: ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [آل عمران: ٣١]، وقال: ﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ

فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿ [النساء: ٥٩]، وقال: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [النساء: ٦٥]، وقال: ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ [الحشر: ٧]، وقال: ﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ ۚ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [النور: ٦٣]، وقال: ﴿ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا ۚ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴾ [النور: ٥٤]، وقال: ﴿ أَسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ مِّن قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ ۚ مِن اللَّهِ ۚ مَا لَكُم مِّن مَّلْجَأٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكَيرٍ ﴾ [الشورى: ٤٧]، وقال: ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۚ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ ۚ وَأَنَّهُ يُخَوِّطُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿١٦﴾ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ [الأَنْفَال: ٢٤ - ٢٥]، وقال: ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٧﴾ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ۚ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ ﴿١٨﴾ هَٰذَا بَصِيرَةٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ [الجاثية: ١٨ - ٢٠]، وقال: ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [الأَنْعَام: ١٥٣].

٣- من حسن حظ المسلم سعيه في دنياه لعمارة آخرته وتذكر الموت والمعاد والعرض والحساب والجزاء على الأعمال والاستعداد لذلك بالأعمال الصالحة، قال الله ﷻ: ﴿ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ ۚ

وَاتَّقُونَ يَتَأُولَى الْآلِبِ ۝ [البقرة: ١٩٧]، وقال: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ۝ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ۝ [الحشر: ١٨ - ١٩]، وقال: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ۝ [البقرة: ٢٨١]، وقال: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ۝ [آل عمران: ٣٠]، وقال: ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ ۝ [الحاقة: ١٨]، وقال: ﴿يُنَبِّئُ الْإِنسَانَ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ۝ [القيامة: ١٣]، وقال: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ۝ [المجادلة: ٦]، وقال: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝ [الزلزلة: ٧ - ٨]، وقال: ﴿وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌّ ۝ [القمر: ٥٣]، وقال: ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَتَوَلَّىٰ ذَنُّبًا مَّا هَذَا الْكِتَابُ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ۝ [الكهف: ٤٩]، وقال: ﴿فَالْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ۝ [يس: ٥٤]، وقال: ﴿وَكُلٌّ إِنْسَنَ الْزَمْنَهُ طَبْرِهُ فِي عُنُقِهِ وَخُزِّجُوا لَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا ۝ [الأنعام: ١٣ - ١٤]، وقال: ﴿وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ۝ [المؤمنون: ٦٢]، وقال: ﴿وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَائِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰ إِلَىٰ كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ۝ [طه: ٢٨] هذا

كِتَبْنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿[الجنّة: ٢٨-٢٩]﴾ وقال: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ [الجنّة: ١٥]، وقال: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا تُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [الأنعام: ١٦٠]، وقال: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧]، وقال: ﴿كُلُّ أَمْرٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ [الطور: ٢١]، وقال: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٢٢﴾ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الحجر: ٩٢-٩٣]، وقال: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جُمِعْتَهُمْ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ٢٥]، وقال: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَايِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتْنَعُ الْغُرُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٥]، وقال: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَايِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٥]، وقال: ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّىٰ لَهُ الذِّكْرُ ﴿٣٦﴾ يَقُولُ يَلَيَّتَنِ قَدَمْتُ لِحَيَاتِي﴾ [الفجر: ٢٣-٢٤]، وقال: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠١]، وقال: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْكَرَّةُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٧﴾ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ﴿٣٨﴾ وَصَلْبَتِهِ وَبَنِيهِ ﴿٣٩﴾ لِكُلِّ أَمْرٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ [عبس: ٣٤-٣٧].

٤- ومن أعطاه الله المال ووسع عليه في الرزق ينبغي ألا يغيب عن باله أن المال لصاحبه نعمة أو نقمة، فمن أخذه من حله وصرفه في حله فهو له نعمة، ومن أخذه من حرام أو صرفه في حرام فهو عليه نقمة، والعاقل هو

الذي يعمل على أن يكون ماله له نعمة، ويحذر أن يكون المال عليه نقمة، فيستعمله فيما أحل الله ويبذله فيما شرع الله، قال الله ﷻ: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [البقرة: ١٧٢]، وقال: ﴿ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾ [الحديد: ٧]، وقال: ﴿وَأَنْفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُمْ مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾ [٥] وَلَن يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المنافقون: ١٠ - ١١]، وقال: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٤]، وقال: ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا لِلَّهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [المزمل: ٢٠]، وقال: ﴿قُلْ لِّعِبَادِي الَّذِينَ ءَامَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ﴾ [إبراهيم: ٣١]، وأخبر النبي ﷺ أن مال المرء هو ما قدمه وأن مال وارثه هو ما أخره، رواه البخاري (٦٤٤٢)، ومن استعمل ماله في حرام وصرفه في حرام فإن ماله وبال عليه، ومن ذلك صرفه في وسائل الإعلام التي يعود ضررها عليه ويصل ضررها إلى المسلمين في كل مكان، وقد أخبر الله أن الغنى سبب للطغيان، قال الله ﷻ: ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَاطِفٌ﴾ [١] ﴿أَن رَّءَاهُ أَسْتَغْنَى﴾ [العلق: ٦ - ٧]، وأخبر أن المال لا يفيد صاحبه إلا إذا كان في طاعة الله، قال الله ﷻ: ﴿أَفَرَأَيْتَ إِن مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ﴾ [٢٥] ﴿ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ﴾ [٢٦] ﴿مَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمْتَعُونَ﴾ [الشعراء: ٢٠٥ - ٢٠٧]، وقال: ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ

وَلَا بُنُونَ ﴿٣٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿[الشعراء: ٨٨ - ٨٩]، وقال: ﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرَّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ هُم جَزَاءُ الْوَعْدِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ ءَامِنُونَ﴾ [سبأ: ٣٧]، وقال: ﴿وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى﴾ [الليل: ١١]، وقال عمن يأخذ كتابه بشماله: ﴿مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَّةٌ ﴿٣٩﴾ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَّةٌ﴾ [الحاقة: ٢٨ - ٢٩]، وقال: ﴿يَتَأَيُّمُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [المنافقون: ٩]، وقال: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [التغابن: ١٥]، وقال: ﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ ﴿٤٠﴾ وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ﴾ [القيامة: ٢٠ - ٢١]، وقال: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٤١﴾ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ [الأعلى: ١٦ - ١٧]، وقال: ﴿أَلْهَيْكُمْ التَّكَاثُرُ ﴿٤٢﴾ حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾ [التكاثر: ١ - ٢]، وقال ﷺ: «الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر» رواه مسلم (٧٤١٧)، وقال ﷺ: «إن رجلا يتخوضون في مال الله بغير حق فلهم النار يوم القيامة» رواه البخاري (٣١١٨).

والدعوة إلى الخير في وسائل الإعلام المختلفة وبذل المال فيها صلاح وإصلاح وإحسان، قال الله ﷻ: ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ﴾ [الأعراف: ١٧٠]، وقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ [النحل: ١٢٨]، وقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ [الكهف: ٣٠]، وقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [التوبة: ١٢٠].

والدعوة إلى الشر في وسائل الإعلام المختلفة فساد وإفساد، قال الله ﷻ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [يونس: ٨١]، وقال: ﴿وَلَا

تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ﴿ [الأعراف: ٥٦]، وقال: ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ [المائدة: ٢]، والدعوة إلى الخير في وسائل الإعلام المختلفة لا حد لنفعها، والدعوة إلى الشر فيها لا حد لضررها، قال ﷺ: «من دعا إلى هدى كان له مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً» رواه مسلم (٦٨٠٤)، وإن إلحاق الضرر بفرد من المسلمين أمر خطير، فكيف بتوزيع الشر في وسائل الإعلام المختلفة على المسلمين في بيوتهم في أنحاء الأرض؟! وقد قال الله ﷻ في المطففين في المكايل والموازين: ﴿ أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ ﴿١﴾ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٢﴾ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [المطففين: ٤ - ٦]، وإن من أوصل الشر إلى المسلمين في أنحاء العالم في وسائل الإعلام المختلفة أولى وأولى وأولى أن يقال له ذلك.

والحد الفاصل بين الدنيا والآخرة الموت، فمن مات قامت قيامته وانتقل من دار العمل إلى دار الجزاء، والقبر أول منازل الآخرة، ينعم المرء في قبره إذا كان موفقاً فيفتح له باب إلى الجنة ويأتيه من روحها وطيبها، وإن كان غير ذلك يفتح له باب إلى النار ويأتيه من حرّها وسمومها، رواه الإمام أحمد (١٨٥٣٤) بإسناد صحيح، وعذاب القبر يكون للكفار كما قال الله ﷻ: ﴿ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴾ [غافر: ٤٦]، ويكون لعصاة المؤمنين كما في حديث مرور النبي ﷺ بقبرين أحدهما يعذب في النميمة، والثاني يعذب لكونه لا يستتر من البول، رواه البخاري (٢١٦) ومسلم (٦٧٧) وفي لفظ لمسلم (٦٧٨): «لا يستتره عن البول»، وقال ﷺ: «لولا أن لا تدافنوا

للعوت الله أن يُسمعكم من عذاب القبر» رواه مسلم (٧٢١٤) عن أنس رضي الله عنه، وفي رواية له (٧٢١٣) من حديث زيد بن ثابت رضي الله عنه: «فلولا أن لا تدافنوا للبعوت الله أن يُسمعكم من عذاب القبر الذي أسمع منه».

وفي تاريخ الخلفاء للسيوطي (ص: ٢٣٢) قال: «وروي أن ابن السماك دخل على الرشيد يوماً فاستسقى فأُتي بكوز، فلما أخذه قال: على رسلك يا أمير المؤمنين! لو مُنعت هذه الشربة بكم كنت تشتريها؟ قال: بنصف ملكي! قال: اشرب هنالك الله تعالى، فلما شربها قال: أسألك لو مُنعت خروجها من بدنك بماذا كنت تشتري خروجها؟ قال: بجميع ملكي! قال: إن ملكاً قيمته شربة ماء وبولة لجدير أن لا ينافس فيه، فبكى هارون بكاء شديداً».

وعلى هذا القياس يقال لمن أعطاهم الله الأموال العظيمة لاسيما من يبذلونها في وسائل الإعلام المختلفة مما فيه ضرر على المسلمين، يقال لهم: لو أن أحدكم حصل له ألم شديد في أي موضع من جسده ولم يجد شفاء له منه إلا ببذل ما يملك لفعل ليسلم من الألم والعذاب الدنيوي، وعذاب الدنيا ليس بشيء مع عذاب الآخرة؛ قال عليه السلام: «يؤتى بأهل الدنيا من أهل النار يوم القيامة، فيُصبغ في النار صبغة، ثم يقال: يا ابن آدم! هل رأيت خيراً قط؟ فيقول: لا والله يا رب! ويؤتى بأشد الناس بؤساً في الدنيا من أهل الجنة، فيُصبغ صبغة في الجنة، فيقال له: يا ابن آدم! هل رأيت بؤساً قط؟ فيقول: لا والله يا رب! ما مرّ بي بؤس قط ولا رأيت شدة قط» رواه مسلم (٧٠٨٨)، وقال عليه السلام: «ناركم هذه - التي يوقد ابن آدم - جزء من سبعين جزءاً من حرّ جهنم، قالوا: والله! إن كانت لكافية يا رسول الله! قال: فإنها فضلت عليها بتسعة وستين جزءاً كلها مثل حرّها» رواه البخاري (٣٢٦٥) ومسلم (٧١٦٥).

وإنما أوردت الآيات الكثيرة المشتملة على الترغيب والترهيب؛ لأن كلام الله ﷻ أعظم واعظ وأكبر زاجر، ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من يحيى عن بينة والمأمول ممن يطلع على هذه الرسالة ممن تعنيهم أن يكونوا ممن يحيى عن بينة.

٥- أما أنتم أيها الإخوة المسلمون المتابعون وسائل الإعلام المختلفة مقروءة أو مسموعة أو مرئية، فإن اللائق بكم والمتعين عليكم أن يكون تعاملكم معها بالاستفادة منها فيما يعود عليكم بالخير في الدنيا والآخرة والابتعاد عن كل ما يعود عليكم ضرره في حالكم ومآلكم، فاتقوا الله في صحتكم وعافيتكم، واتقوا الله في أسماكم وأبصاركم، واتقوا الله في أوقاتكم؛ فإنكم مسؤولون عن كل هذه النعم، فهنيئاً لمن يستعملها فيما فيه سعادة الدنيا والآخرة، وبؤساً لمن ضيعها واستعملها فيما فيه خسارة الدنيا والآخرة، قال الله ﷻ: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً﴾ [الإسراء: ٣٦]، وقال: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النور: ٢٤]، وقال ﷺ: «نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ» رواه البخاري (٦٤١٢).

والمسلم الناصح لنفسه يحرص على استعمال صحته وشغل وقته فيما يعود عليه بالخير ليكون من الرابحين، ويحذر أن يستعمل صحته أو يشغل وقته فيما يعود عليه بالضرر فيكون من المغبونين الخاسرين.

فاحفظوا أسماكم وأبصاركم من الاستماع والنظر إلى السحرة والدجالين والمشعوذين، والاستماع والنظر إلى المغنيات والمغنين، وغضوا أبصاركم عن النظر إلى النساء، ومثل ذلك النساء مع الرجال؛ امتثالاً لقول

ربكم: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَرَبَّكُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ [النور: ٣٠-٣١]، واتركوا المسلسلات القاتلة للأوقات والملهية عن ذكر الله وعن الصلاة، وأعرضوا عن الصحف والمجلات الخليعة، واحذروا من مشاهدة المواقع السيئة في شبكة المعلومات، وهذا على سبيل التمثيل، أما وسائل الإعلام الكافرة فينبغي أن يكون حظها منكم الترك والإعراض والإهمال.

وأقول في ختام هذه الرسالة لكل من الإعلاميين ومالكي القنوات والمتابعين لوسائل الإعلام ولسائر المسلمين:

إن نعم الله وحقوقه وحقوق عباده أمانة عند كل مسلم ومسلمة، فالطهارة أمانة، والصلاة أمانة، وكل ما أمر الله به أمانة، وكل ما نهى عنه أمانة، والمال أمانة، والولد أمانة، والنفس أمانة، واللسان أمانة، والفرج أمانة، والسمع والبصر أمانة، وسائر نعم الله على العبد أمانة، وقد قال الله ﷻ: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [الأحزاب: ٧٢]، وقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾ [النساء: ٥٨]، وقال: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمْنَتَكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [٢٧-٢٨]، وقال: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦].

وأسأل الله ﷻ أن يوفق المسلمين حاكمين ومحكومين للفقهِ في الدين والثبات على الحق ولما فيه عزهم وسعادتهم في الدنيا والآخرة إنه سميع مجيب، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



ومرة أخرى: رفقا أهل السنة بأهل السنة

(١٦/١/١٤٣٢هـ)

الحمد لله، ولا حول ولا قوة إلا بالله، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن والاه

وبعد، فإن المشتغلين بالعلم الشرعي من أهل السنة والجماعة السائرين على ما كان عليه سلف الأمة هم أحوج في هذا العصر إلى التآلف والتناصح فيما بينهم، لاسيما وهم قلة قليلة بالنسبة للفرق والأحزاب المنحرفة عما كان عليه سلف الأمة، وقبل أكثر من عشر سنوات وفي أواخر زمن الشيخين الجليلين: شيخنا الشيخ عبد العزيز بن باز والشيخ محمد بن عثيمين رحمهما الله اتجهت فئة قليلة جداً من أهل السنة إلى الاشتغال بالتحذير من بعض الأحزاب المخالفة لما كان عليه سلف الأمة، وهو عمل محمود ومشكور، ولكن المؤسف أنه بعد وفاة الشيخين اتجه بعض هذه الفئة إلى النيل من بعض إخوانهم من أهل السنة الداعين إلى التمسك بما كان عليه سلف الأمة من داخل البلاد وخارجها، وكان من حقهم عليهم أن يقبلوا إحسانهم ويشدوا أزرهم عليه ويسددوهم فيما حصل منهم من خطأ إذا ثبت أنه خطأ، ثم لا يشغلون أنفسهم بعمارة مجالسهم بذكرهم والتحذير منهم، بل يشتغلون

بالعلم اطلاعاً وتعليماً ودعوة، وهذا هو المنهج القويم للإصلاح والذي كان عليه شيخنا الشيخ عبد العزيز بن باز إمام أهل السنة والجماعة في هذا العصر رحمته الله، والمشتغلون بالعلم من أهل السنة في هذا العصر قليلون وهم بحاجة إلى الازدياد لا إلى التناقص وإلى التآلف لا إلى التقاطع، ويقال فيهم مثل ما قال النحويون: «المصغر لا يصغر»، قال شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى (٥١ / ٢٨): «وتعلمون أن من القواعد العظيمة التي هي جماع الدين تأليف القلوب واجتماع الكلمة وصلاح ذات البين؛ فإن الله تعالى يقول: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾، ويقول: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾، ويقول: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾، وأمثال ذلك من النصوص التي تأمر بالجماعة والائتلاف وتنهى عن الفرقة والاختلاف، وأهل هذا الأصل هم أهل الجماعة؛ كما أن الخارجين عنه هم أهل الفرقة».

وقد كتبت في هذا الموضوع رسالة بعنوان: «رفقاً أهل السنة بأهل السنة» طبع في عام ١٤٢٤هـ، ثم في عام ١٤٢٦هـ، ثم طبعت ضمن مجموع كتيبي ورسائلي (٦ / ٢٨١-٣٢٧) في عام ١٤٢٨هـ، أوردت فيها كثيراً من نصوص الكتاب والسنة وأقوال العلماء المحققين من أهل السنة، وقد اشتملت الرسالة بعد التقديم على الموضوعات التالية: نعمة النطق والبيان، حفظ اللسان من الكلام إلا في خير، الظن والتجسس، الرفق واللين، موقف أهل السنة من العالم إذا أخطأ أنه يُعذر فلا يُبدع ولا يُهجر، فتنة التجريح والهجر من بعض أهل السنة في هذا العصر وطريق السلامة منها، بدعة امتحان الناس بالأشخاص، التحذير من فتنة التجريح والتبديع من بعض أهل السنة في هذا

العصر.

ومما يؤسف له أنه حصل أخيراً زيادة الطين بلة بتوجيه السهام لبعض أهل السنة تجريحاً وتبديعاً وما تبع ذلك من تهاجر، فتتكرر الأسئلة: ما رأيك في فلان بدّعه فلان؟ وهل أقرأ الكتاب الفلاني لفلان الذي بدّعه فلان؟ ويقول بعض صغار الطلبة لأمثالهم: ما موقفك من فلان الذي بدّعه فلان؟ ولا بد أن يكون لك موقف منه وإلا تركناك!!! ويزداد الأمر سوءاً أن يحصل شيء من ذلك في بعض البلاد الأوربية ونحوها التي فيها الطلاب من أهل السنة بضاعتهم مزجاة وهم بحاجة شديدة إلى تحصيل العلم النافع والسلامة من فتنة التهاجر بسبب التقليد في التجريح، وهذا المنهج شبيه بطريقة الإخوان المسلمين الذين قال عنها مؤسس حزبهم: «فدعوتكم أحق أن يأتيها الناس ولا تأتي أحداً... إذ هي جاع كل خير، وغيرها لا يسلم من النقص!!». (مذكرات الدعوة والداعية ص ٢٣٢، ط. دار الشهاب) للشيخ حسن البناء، وقال: «وموقفنا من الدعوات المختلفة التي طغت في هذا العصر ففرقت القلوب وبلبلت الأفكار، أن نزنها بميزان دعوتنا، فما وافقها فمرحباً به، وما خالفها فنحن براء منه!!!» (مجموعة رسائل حسن البناء ص ٢٤٠، ط. دار الدعوة سنة ١٤١١هـ)، ومن الخير لهؤلاء الطلاب - بدلاً من الاشتغال بهذه الفتنة - أن يشتغلوا بقراءة الكتب المفيدة لأهل السنة لاسيما كتب العلماء المعاصرين كفتاوى شيخنا الشيخ عبد العزيز بن باز وفتاوى اللجنة الدائمة للإفتاء ومؤلفات الشيخ ابن عثيمين وغير ذلك، فإنهم بذلك يحصلون علماً نافعاً ويسلمون من القيل والقال وأكل لحوم بعض إخوانهم من أهل السنة، قال ابن القيم في الجواب الكافي (ص ٢٠٣): «ومن العجب أن

الإنسان يهون عليه التحفظ والاحتراز من أكل الحرام والظلم والزنى والسرقة وشرب الخمر ومن النظر المحرم وغير ذلك، ويصعب عليه التحفظ من حركة لسانه، حتى يُرى الرجل يشار إليه بالدين والزهد والعبادة وهو يتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقي لها بالاً ينزل بالكلمة الواحدة منها أبعد مما بين المشرق والمغرب، وكم ترى من رجل متورع عن الفواحش والظلم ولسانه يفري في أعراض الأحياء والأموات ولا يبالي ما يقول».

وإذا وُجد لأحد من أهل السنة كلام مجمل وكلام مفصل فالذي ينبغي إحسان الظن به وحمل مجمله على مفصله؛ لقول عمر رضي الله عنه: «ولا تظنَّ بكلمة خرجت من أخيك المؤمن إلا خيراً وأنت تجد لها في الخير محملاً» ذكره ابن كثير في تفسير سورة الحجرات، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في الرد على البكري (ص ٣٢٤): «ومعلوم أن مفسر كلام المتكلم يقضي على مجمله، وصريحه يُقدَّم على كنيته»، وقال في الصارم المسلول (٢/٥١٢): «وأخذ مذاهب الفقهاء من الإطلاقات من غير مراجعة لما فسروا به كلامهم وما تقتضيه أصولهم يجزُّ إلى مذاهب قبيحة»، وقال في الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (٤/٤٤): «فإنه يجب أن يفسر كلام المتكلم بعضه ببعض ويؤخذ كلامه هاهنا وهاهنا، وتُعرف ما عادته يعنيه ويريده بذلك اللفظ إذا تكلم به».

والناقدون والمنقودون لا عصمة لهم ولا يسلم أحد منهم من نقص أو خطأ، والبحث عن الكمال مطلوب، لكن لا يُزهد فيما دونه من الخير ويُهدر، فلا يقال: إما كمال وإلا ضياع، أو إما نور تام وإما ظلام، بل يحافظ على النور الناقص ويسعى لزيادته وإذا لم يحصل سراجان أو أكثر فسراج واحد خير من

الظلام، ورحم الله شيخنا الشيخ عبد العزيز بن باز الذي وقف حياته للعلم الشرعي تعلمًا وعملاً وتعليمًا ودعوةً وكان معنيًا بتشجيع المشايخ وطلبة العلم على التعليم والدعوة، وقد سمعته يوصي أحد المشايخ بذلك، فاعتذر بعذر لم يرتضه الشيخ، فقال رحمته الله: «العمش ولا العمى»، والمعنى: ما لا يُدرك كله لا يترك بعضه، وإذا لم يوجد البصر القوي ووُجد بصر ضعيف وهو العمش فإن العمش خير من العمى، وقد فقد شيخنا رحمته الله بصره في العشرين من عمره ولكن الله عوضه عنه نوراً في البصيرة اشتهر به عند الخاص والعام، وقال شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى (١٠/٣٦٤): «فإذا لم يحصل النور الصافي بأن لم يوجد إلا النور الذي ليس بصاف وإلا بقي الناس في الظلمة، فلا ينبغي أن يعيب الرجل وينهى عن نور فيه ظلمة إلا إذا حصل نور لا ظلمة فيه، وإلا فكم ممن عدل عن ذلك يخرج عن النور بالكلية»، ويشبه هذا مقولة بعض الناس: «الحق كل لا يتجزأ فخذوه كله أو دعوه كله»، فإن أخذَه كله حق وتركه كله باطل، ومن كان عنده شيء من الحق يوصى بالإبقاء عليه والسعي لتحقيق ما ليس عنده من الحق.

والهجر المحمود هو ما يترتب عليه مصلحة وليس الذي يترتب عليه مفسدة، قال شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى (٢٨/١٧٣): «ولو كان كل ما اختلف مسلمان في شيء تهاجرا لم يبق بين المسلمين عصمة ولا أخوة»، وقال أيضاً (٢٨/٢٠٦): «وهذا الهجر يختلف باختلاف الهاجرين في قوتهم وضعفهم وقلتهم وكثرتهم؛ فإن المقصود به زجر المهجور وتأديبه ورجوع العامة عن مثل حاله، فإن كانت المصلحة في ذلك راجحة بحيث يفضي هجره إلى ضعف الشر وخفيته كان مشروعاً، وإن كان لا المهجور ولا غيره يرتدع

بذلك بل يزيد الشر، والهاجر ضعيف، بحيث يكون مفسدة ذلك راجحة على مصلحته لم يشرع الهجر» إلى أن قال: «إذا عُرِفَ هذا، فالهجرة الشرعية هي من الأعمال التي أمر الله بها ورسوله، فالطاعة لا بد أن تكون خالصة لله وأن تكون موافقة لأمره، فتكون خالصة لله صواباً، فمن هجر لهوى نفسه أو هجر هجراً غير مأمور به كان خارجاً عن هذا، وما أكثر ما تفعل النفوس ما تهواه ظانة أنها تفعله طاعة لله».

وقد ذكر أهل العلم أن العالم إذا أخطأ لا يتابع على خطئه ولا يُتبرأ منه وأنه يُغتفر خطؤه في كثير صوابه، ومن ذلك قول شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى (٣/٣٤٩) بعد كلام سبق: «ومثل هؤلاء إذا لم يجعلوا ما ابتدعوه قولاً يفارقون به جماعة الإسلام، يوالون عليه ويعادون كان من نوع الخطأ، والله سبحانه وتعالى يغفر للمؤمنين خطأهم في مثل ذلك، ولهذا وقع في مثل هذا كثير من سلف الأمة وأئمتها لهم مقالات قالوها باجتهاد، وهي تخالف ما ثبت في الكتاب والسنة، بخلاف من والى موافقه وعادى مخالفه وفرق جماعة المسلمين...»، وقال الذهبي في سير أعلام النبلاء (١٤/٣٩): «ولو أننا كلنا أخطأ إمام في اجتهاده في آحاد المسائل خطأً مغفوراً له فمنا عليه وبدعناه وهجرناه، لما سلم معنا لا ابن نصر ولا ابن منده ولا من هو أكبر منهما، والله هو هادي الخلق إلى الحق، وهو أرحم الراحمين، فنعوذ بالله من الهوى والفظاظة»، وقال أيضاً (١٤/٣٧٦): «ولو أن كل من أخطأ في اجتهاده - مع صحة إيمانه وتوحيه لاتباع الحق - أهدرناه وبدعناه، لقل من يسلم من الأئمة معنا، رحم الله الجميع بمنه وكرمه»، وذكر ابن الجوزي أن من التجريح ما يكون الباعث عليه الهوى، قال في كتابه صيد الخاطر

(ص ١٤٣): «لقيت مشايخ أحوالهم مختلفة يتفاوتون في مقاديرهم في العلم، وكان أنفعهم لي في صحبته العامل منهم بعلمه وإن كان غيره أعلم منه، ولقد لقيت جماعة من علماء الحديث يحفظون ويعرفون ولكنهم كانوا يتسامحون بغيبة ويخرجونها مخرج جرح وتعديل ... ولقد لقيت عبد الوهاب الأنطاقي فكان على قانون السلف ولم يُسمع في مجلسه غيبة...»، وقال في كتابه تلبس إبليس (٢/ ٦٨٩): «ومن تلبس إبليس على أصحاب الحديث قدح بعضهم في بعض طلباً للتشفي، ويُخرجون ذلك مخرج الجرح والتعديل الذي استعمله قدماء هذه الأمة للذب عن الشرع، والله أعلم بالمقاصد»، وإذا كان هذا في زمن ابن الجوزي المتوفى سنة (٥٩٧هـ) وما قاربه فكيف بأهل القرن الخامس عشر؟! عشر!

وقد صدر أخيراً رسالة قيمة بعنوان: «الإبانة عن كيفية التعامل مع الخلاف بين أهل السنة والجماعة» تأليف الشيخ محمد بن عبد الله الإمام من اليمن وقد قرّظها خمسة من مشايخ اليمن، وقد اشتملت على نقول كثيرة عن علماء أهل السنة قديماً وحديثاً، ولا سيما شيخ الإسلام ابن تيمية والإمام ابن القيم رحمهما الله، وهي نصيحة لأهل السنة لإحسان التعامل فيما بينهم، وقد اطلعت على كثير من مباحث هذه الرسالة واستفدت منها الدلالة على مواضع بعض النقول التي أوردتها في هذه الكلمة عن الإمامين ابن تيمية وابن القيم، فأنا أوصي بقراءتها والاستفادة منها، وما أحسن ما قاله في هذه الرسالة (ص ١٧٠): «وقد يجرح المعتبرُ بعض أهل السنة فتنشأ فتن الهجر والتمزيق والمضاربات، وقد ينشب القتال بين أهل السنة أنفسهم، فعند حصول شيء من هذا يعلم أن الجرح قد أدى إلى الفتن، فالواجب إعادة النظر

في طريقة التجريح والنظر في المصالح والمفاسد، وفيما تدوم به الأخوة وتحفظ به الدعوة وتعالج به الأخطاء، ولا يصلح الإصرار على طريقة في الجرح ظهر فيها الضرر».

وما من شك أن المشايخ وطلبة العلم الآخرين من أهل السنة يشعرون بما شعر به هؤلاء الإخوة اليمينيون ويتألمون لهذه الفُرقة والاختلاف ويرغبون تقديم النصيح لإخوانهم وقد سبق إليه الإخوة اليمينيون فجزاهم الله خيراً، ولعل لهذه النصيحة نصيباً من قوله ﷺ: «الإيمان يمان والحكمة يمانية» رواه البخاري (٣٤٩٩) ومسلم (١٨٨)، والمأمول أن تكون هذه النصيحة من الإخوة اليمينيين محققة للغرض من كتابتها ونشرها، ولا أظن أن أحداً من أهل السنة يؤيد هذا النوع من التجريح والاهتمام بالمتابعة عليه وهو الذي لا يثمر إلا العداوة والبغضاء بين أهل السنة وغلظ القلوب وقسوتها.

ولا ينتهي عجب العاقل أنه في الوقت الذي يسعى فيه التغريبيون للإفساد في بلاد الحرمين بعد إصلاحها، ولاسيما الكارثة الأخلاقية في متداهم في جدة الذي سموه زوراً: «متدى خديجة بنت خويلد» والذي كتبت عنه كلمة بعنوان: «لا يليق اتخاذ اسم خديجة بنت خويلد عنواناً لانفلات النساء»، أقول: في هذا الوقت يكون بعض أهل السنة منشغلين بنيل بعضهم من بعض والتحذير منهم.

وأسأل الله ﷻ أن يوفق أهل السنة في كل مكان للتمسك بالسنة والتآلف فيما بينهم والتعاون على البر والتقوى ونبذ كل ما يكون فيه فُرقة أو خلاف بينهم، وأسأله تعالى أن يوفق المسلمين جميعاً للفقهِ في الدين والثبات على الحق، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله صحبه.

تحذير أهل الطاعة من الهذيان المثبط عن صلاة الجماعة

(٢٠/٥/١٤٣١هـ)

الحمد لله، وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه ومن والاه.

وبعد، ففي أوائل عام ١٤٣٠هـ كتبت رسالة طُبعت بعنوان: «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أهم أسباب قيام الدولة السعودية وبقائها»، ذكرت فيها اثني عشر دليلاً على أهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وعظم شأنهما، وأنه لهذه الأهمية العظيمة قام الملك عبد العزيز رحمته الله مؤسس المملكة العربية السعودية قبل مائة عام بإنشاء هيئات للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر - وذلك من أجل أعماله وأعظم حسناته - تحقيقاً لقول الله تعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾، وأن ابن كثير رحمته الله قال في تفسير هذه الآية: «يقول تعالى: ولتكن منكم أمة منتصبة للقيام بأمر الله في الدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر»، وقال: «والمقصود من هذه الآية أن تكون فرقة من هذه الأمة متصدية لهذا الشأن وإن كان واجباً على كل فرد من الأمة بحسبه»، ثم ذكر حديث درجات تغيير المنكر، وأيضاً لما في ذلك من حفظ الله لهذه البلاد من الشرور؛ كما قال رحمته الله: «احفظ الله يحفظك»، ولأن ذلك من أعظم أسباب حصول النصر من الله والتمكين في الأرض، كما قال الله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَصُرُوا اللَّهَ يَصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾، وقال: ﴿وَلْيَنْصُرْكُمْ اللَّهُ مِنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ ١٥٠ الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عِاقِبَةُ الْأُمُورِ

وأنه منذ إنشاء تلك الهيئات استمرت مؤسسة من مؤسسات الدولة في عهده رحمته الله وعهود أبنائه الذين ولّوا الأمر من بعده، وهي من الميزات التي

تميزت بها هذه البلاد على غيرها من البلاد الأخرى التي لا توجد فيها مثل هذه المؤسسة، وقد حصل بسببها خير عظيم ومنافع، واندفع بها شرور كثيرة، وأنه قد جاء في المادة (٢٣) من النظام الأساسي للحكم الذي صدر أخيراً في عهد الملك فهد رحمه الله: «تحمي الدولة عقيدة الإسلام وتطبق شريعته وتأمّر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتقوم بواجب الدعوة إلى الله».

وأنه مع عظم شأن هيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في هذه البلاد وعموم نفعها واهتمام ولاية الأمر بها، فقد وجد من بعض الكتّاب من ينال منها ويتصيد أخطاءها ويقلل من شأنها، وأن من متبعي الشهوات من يتمنى أن يكون للهيئات تنظيم يقص أجنتها ويشل حركتها ويحد من نشاطها لتكون اسماً بدون مسمى وجسداً بلا روح، يكون المعروف فيه ما أجمع على أنه معروف، والمنكر ما أجمع على أنه منكر، يتسنى فيه لمن يهوى الانفلات واتباع الشهوات أن يقول مثلاً: إن كشف وجه المرأة واختلاطها بالرجال جائز، وإن حضور صلاة الجماعة في المساجد ليس بلازم، وإن في إغلاق الحوانيت لأداء صلاة الجماعة شلاً للحركة الاقتصادية - وقد قيل ذلك من قبل في بعض الصحف - بدعوى أن في ذلك خلافاً، فينتقي متبعو الشهوات ما يناسب نفوسهم الأماراة بالسوء، والواجب عند الخلاف التعويل على ما يؤيده الدليل لا الأخذ بما تشتهي النفوس وتميل إليه، ثم نقلت عن عشرة من العلماء نقولاً في ذلك، منها قول سليمان التيمي: «إذا أخذت برخصة كل عالم اجتمع فيك الشر كله»، وقول ابن عبد البر تعليقاً عليه: «هذا إجماع لا أعلم فيه خلافاً»، ثم ذكرت بعض الأدلة على وجوب الحجاب وتحريم الاختلاط، وكتبت في ذلك أيضاً رسالة بعنوان: «وجوب تغطية المرأة وجهها وتحريم اختلاطها بغير محارمها» طُبعت في عام ١٤٣٠هـ، وكتبت كلمة نشرت في ٢٤ / ٢ / ١٤٣١هـ

بعنوان: «دعاة التغريب ومصطلحهم «التعددية» و«الأحادية» لانتقاء ما يوافق أهواءهم»، وأما صلاة الجماعة فقد أوردت تسعة أدلة على وجوب أدائها في المساجد وعدم التخلف عنها، وهي:

١- قول الله ﷻ: ﴿وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ﴾ الآية.

ففي هذه الآية أوضح دليل على وجوب صلاة الجماعة؛ لأنها لم تسقط حتى في حال الخوف، قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله في كتابه آداب المشي إلى الصلاة: «وهي واجبة على الأعيان حضراً وسفراً حتى في خوف؛ لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ﴾ الآية»، وقال شيخنا الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله في كتابه أضواء البيان (١/ ٤٢٠): «تنبيهان:

الأول: آية صلاة الخوف هذه من أوضح الأدلة على وجوب الجماعة؛ لأن الأمر بها في هذا الوقت الحرج دليل واضح على أنها أمر لازم، إذ لو كانت غير لازمة لما أمر بها في وقت الخوف؛ لأنه عذر ظاهر.

الثاني: لا تختص صلاة الخوف بالنبي ﷺ، بل مشروعيتها باقية إلى يوم القيامة، والاستدلال على خصوصها به ﷺ بقوله تعالى: ﴿وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ﴾ الآية استدلال ساقط، وقد أجمع الصحابة وجميع المسلمين على رد مثله في قوله: ﴿حُذِّمْنَ أَمْوَالُهُمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ﴾ الآية، واشترط كونه ﷺ فيهم إنما ورد لبيان الحكم لا لوجوده، والتقدير: بين لهم بفعلك لكونه أوضح من القول كما قاله ابن العربي وغيره».

ثم ذكر أن أربعة شذُّوا في ذلك وقالوا: إن صلاة الخوف لم تشرع بعده ﷺ واحتجوا بمفهوم الشرط في قوله: ﴿وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ﴾ الآية، ثم قال: «ورَدَّ عليهم

بإجماع الصحابة عليها بعده ﷺ، وبقوله ﷺ: (صلُّوا كما رأيتموني أصلي)، وعموم منطوق هذا الحديث مقدم على ذلك المفهوم).
وأحد هؤلاء الأربعة الذين شذوا في هذه المسألة إبراهيم بن إسماعيل بن عليّة، قال فيه الذهبي في الميزان (١/ ٢٠): «جهمي هالك، كان يناظر ويقول بخلق القرآن».

ومن أمثلة فعل الصحابة ﷺ صلاة الخوف بعد رسول الله ﷺ ما جاء في سنن أبي داود (١٢٤٦) والنسائي (١٥٣٠) - واللفظ له - بإسناد صحيح عن ثعلبة بن زهدم قال: «كنا مع سعيد بن العاص بطبرستان، فقال: أيكم صلى مع رسول الله ﷺ صلاة الخوف؟ فقال حذيفة: أنا، فقام حذيفة فصف الناس خلفه صفين: صفّاً خلفه، و صفّاً موازي العدو، فصلّى بالذين خلفه ركعة، ثم انصرف هؤلاء إلى مكان هؤلاء، وجاء أولئك فصلّى بهم ركعة ولم يقضوا»، وهذه الصفة إحدى صفات صلاة الخوف الست التي جاءت في أحاديث صحيحة عن رسول الله ﷺ، وقد أوردتها في شرحي كتاب آداب المشي إلى الصلاة المطبوع ضمن مجموع كتبي ورسائل (٥/ ٢٤٦).

٢- قول الله ﷻ: ﴿وَأَقِمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾، ففي قوله: ﴿وَأَقِمُوا الصَّلَاةَ﴾ الأمر بإقام الصلاة التي هي أعظم أركان الإسلام بعد الشهادتين، وفي قوله: ﴿وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ الأمر بأدائها جماعة، قال ابن كثير رحمه الله في تفسير هذه الآية من سورة البقرة: «وقد استدل كثير من العلماء بهذه الآية على وجوب الجماعة»، وقال ابن تيمية رحمه الله في منهاج السنة (٧/ ٢٧٣): «وقيل: المراد به الصلاة في الجماعة؛ لأن الركعة لا تدرك إلا بإدراك الركوع».

٣- قوله ﷺ: «والذي نفسي بيده! لقد هممت أن أمر بحطب ليُحطَب، ثم أمر بالصلاة فيؤدَّن لها، ثم أمر رجلاً فيؤم الناس، ثم أخالف إلى رجال فأحرق

عليهم بيوتهم، والذي نفسي بيده! لو يعلم أحدهم أنه يجد عرقاً سميناً أو مرماتين حسنتين لشهد العشاء» رواه البخاري (٦٤٤) ومسلم (١٤٨١) عن أبي هريرة رضي الله عنه، وقد أورده البخاري في (باب وجوب صلاة الجماعة)، وأورد في الباب أثراً معلقاً عن الحسن قال: «إِنْ مَنْعَتْهُ أُمُّهُ عَنِ الْعِشَاءِ فِي الْجَمَاعَةِ شَفَقَةٌ عَلَيْهِ لَمْ يُطْعَمْهَا»، قال الحافظ ابن حجر في شرحه (٢/ ١٢٥): «ولم ينبه أحد من الشراح على وصل أثر الحسن، وقد وجدته بمعناه وأتم منه وأصرح في كتاب الصيام للحسين بن الحسن المروزي بإسناد صحيح عن الحسن في رجل يصوم - يعني تطوعاً - فتأمره أمه أن يفطر، قال: فليفطر ولا قضاء عليه وله أجر الصوم وأجر البر، قيل: فتنهاه أن يصلي العشاء في جماعة، قال: ليس ذلك لها؛ هذه فريضة».

والعَرَقُ في الحديث العظم عليه بقية اللحم، والمرماتان ما بين ظِلْفِي الشاة من اللحم، والمعنى: أن المنافقين الذين يتخلفون عن الجماعة يزهدون في الثواب العظيم في صلاة الجماعة، ويحرصون على متاع الدنيا ولو كان شيئاً يسيراً، فهم لا يشهدون الجماعة ولو علموا أن لحماً يسيراً في المسجد في وقت صلاة العشاء لشهدوها؛ لأن همهم الدنيا دون الآخرة.

٤- قوله ﷺ: «إِنْ أَثْقَلَ صَلَاةٌ عَلَى الْمُنَافِقِينَ صَلَاةُ الْعِشَاءِ وَصَلَاةُ الْفَجْرِ، وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِيهَا لَأَتَوْهَا وَلَوْ حُبًّا»، ولقد هممت أن أمر بالصلاة فتقام، ثم أمر رجلاً فيصلي بالناس، ثم أنطلق معي برجال معهم حزم من حطب إلى قوم لا يشهدون الصلاة فأحرق عليهم بيوتهم بالنار» رواه البخاري (٦٥٧) ومسلم (١٤٨٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه، والمعنى: أن الصلوات في الجماعة ثقيلة على المنافقين، ولكن العشاء والفجر أثقلها؛ لأن العشاء تقع في أول الليل بعد التعب والكدح في النهار، ولهذا كان النبي ﷺ يكره النوم قبلها والحديث

بعدها، رواه البخاري (٥٦٨) ومسلم (١٤٦٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه، والنوم قبل صلاة العشاء سبب في فواتها، والحديث بعدها قد يمتد فيكون سبباً في فوات الفجر، ولأن صلاة الفجر تقع في الوقت الذي يطيب فيه الفراش ويُتَلَذَّذ فيه بالنوم، ولهذا جاء في أذانها: الصلاة خير من النوم، والمعنى: أن ما تُدعون إليه - وهو الصلاة - خير من النوم الذي أنتم متلذذون فيه.

٥- حديث أبي بن كعب رضي الله عنه قال: «صلى رسول الله ﷺ الصبح، فقال: شاهد فلان؟ فقالوا: لا، فقال: شاهد فلان؟ فقالوا: لا، فقال: شاهد فلان؟ فقالوا: لا، فقال: إن هاتين الصلاتين من أثقل الصلوات على المنافقين، ولو يعلمون ما فيهما لأتوهما ولو حبواً» الحديث، رواه أحمد (٢١٢٦٥) والدارمي (١٢٧٣) وأبو داود (٥٥٤) بإسناد حسن.

٦- حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: «أتى النبي ﷺ رجلٌ أعمى فقال: يا رسول الله! إنه ليس لي قائد يقودني إلى المسجد، فسأل رسول الله ﷺ أن يرخص له فيصلّي في بيته فرخص له، فلما ولىّ دعاه فقال: هل تسمع النداء بالصلاة؟ فقال: نعم، قال: فأجب» رواه مسلم (١٤٨٦)، وروى أبو داود (٥٥٢) بإسناد صحيح عن ابن أم مكتوم رضي الله عنه أنه سأل النبي ﷺ فقال: «يا رسول الله! إني رجل ضير البصر، شاسع الدار، ولي قائد لا يلائمني، فهل لي رخصة أن أصلي في بيتي؟ قال: هل تسمع النداء؟ قال: نعم، قال: لا أجد لك رخصة».

ففي هذين الحديثين دلالة واضحة على وجوب صلاة الجماعة، وإذا كان النبي ﷺ لم يرخص في التخلف عنها لرجل أعمى، فمن باب أولى من يكون صحيحاً معافى، وقد قال ﷺ: «نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ» رواه البخاري (٦٤١٢) عن ابن عباس رضي الله عنه وهو أول حديث عنده

في كتاب الرقاق.

٧- قوله ﷺ: «(من سمع النداء فلم يأتِه فلا صلاة له إلا من عذر)» رواه ابن ماجه (٧٩٣) عن ابن عباس ؓ بإسناد صحيح، ورواه الحاكم في المستدرک (٢٤٥ / ١) وقال: «صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه» ووافقه الذهبي.

والحديث يدل على تأكد وجوب صلاة الجماعة على الأعيان.

٨- حديث عبد الله بن مسعود ؓ قال: «مَنْ سَرَّه أَنْ يَلْقَى اللَّهَ تَعَالَى غَدًا مُسْلِمًا فَلْيَحَافِظْ عَلَى هَؤُلَاءِ الصَّلَوَاتِ حَيْثُ يَنَادِي بِهِنَ؛ فَإِنَّ اللَّهَ شَرَعَ لِنَبِيِّكُمْ سُنَنَ الْهُدَى، وَإِنَّهُنَّ مِنْ سُنَنِ الْهُدَى، وَلَوْ أَنَّكُمْ صَلَّيْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ كَمَا يُصَلِّي هَذَا الْمُتَخَلِّفُ فِي بَيْتِهِ لَتَرَكْتُمْ سُنَّةَ نَبِيِّكُمْ، وَلَوْ تَرَكْتُمْ سُنَّةَ نَبِيِّكُمْ لَضَلَلْتُمْ، وَمَا مِنْ رَجُلٍ يَتَطَهَّرُ فَيُحَسِّنُ الطَّهَوْرَ ثُمَّ يَعْمَدُ إِلَى مَسْجِدٍ مِنْ هَذِهِ الْمَسَاجِدِ إِلَّا كَتَبَ اللَّهُ لَهُ بِكُلِّ خُطْوَةٍ يَخْطُوهَا حَسَنَةً وَيَرْفَعُهُ بِهَا دَرَجَةً وَيَحِطُّ عَنْهُ بِهَا سَيِّئَةٌ، وَلَقَدْ رَأَيْتَنَا وَمَا يَتَخَلَّفُ عَنْهَا إِلَّا مُنَافِقٌ مَعْلُومُ النِّفَاقِ، وَلَقَدْ كَانَ الرَّجُلُ يُؤْتَى بِهِ يَهَادَى بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ حَتَّى يَقَامَ فِي الصَّفِّ» رواه مسلم (١٤٨٨).

والحديث يدل على أن المحافظة على الصلوات الخمس في المساجد من أسباب لُقِّي الله مسلماً والخروج من الدنيا على نهاية حسنة كما قال الله ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾، ويدل على أن في التخلف عن صلاة الجماعة في المساجد وأدائها في البيوت تركاً لسنة النبي صلى الله عليه وسلم وأن ذلك من الضلال، ويدل على بيان عظم الأجر والثواب للمصلين في المساجد، ويدل على أن من علامات النفاق عند الصحابة ؓ التخلف عن صلاة الجماعة، ويدل على أن الصحابة ؓ يحافظون على الصلوات في المساجد ولو كانوا في شدة المرض لما يعلمونه من عظيم الأجر والثواب في

صلاة الجماعة مع أنهم معذورون لو تخلفوا عنها، وهذا بخلاف المنافقين الذين قال النبي صلى الله عليه وسلم عن تخلفهم عن صلاتي العشاء والفجر: «ولو يعلمون ما فيهما لأتوهما ولو حبواً».

٩- قول عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: «كنا إذا فقدنا الرجل في صلاة العشاء الآخرة والصبح أسأنا به الظن» رواه الحاكم في المستدرک (٢١١/١) وقال: «صحيح على شرطهما» ووافقه الذهبي.

ومعنى قوله: «أسأنا به الظن» أي: اتهمناه بالنفاق، كما بين ذلك عبد الله بن مسعود رضي الله عنه بقوله المتقدم: «ولقد رأيتنا وما يتخلف عنها إلا منافق معلوم النفاق»، وقوله: «ولو أنكم صليتم في بيوتكم كما يصلي هذا المتخلف لتركتم سنة نبيكم، ولو تركتم سنة نبيكم لضللتم».

فهذه جملة من الأدلة على وجوب صلاة الجماعة، وأما قوله صلى الله عليه وسلم: «صلاة الجماعة تفضل صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة» رواه البخاري (٦٤٥) ومسلم (١٤٧٧) عن ابن عمر رضي الله عنهما، وقوله صلى الله عليه وسلم: «صلاة الجماعة أفضل من صلاة أحدكم وحده بخمسة وعشرين جزءاً» رواه البخاري (٦٤٨) ومسلم (١٤٧٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه، فإنه يدل على أن من صلى وحده صحت صلاته وفاته أجر عظيم وسلم من أن يكون تاركاً للصلاة، ولكنه يكون آثماً لعدم أدائها جماعة؛ لدلالة النصوص المتقدمة على ذلك.

ولا يسوغ لأحد من متبعي الشهوات التهوين من شأن صلاة الجماعة بدعوى أن في المسألة خلافاً؛ لأن الأدلة المذكورة واضحة الدلالة على وجوبها على الأعيان؛ وذلك للزومها على جميع أفراد الجيش حال الخوف، وهم الرسول صلى الله عليه وسلم بتحريق البيوت على أهلها المتخلفين عن الجماعة في الوقت الذي تؤدى فيه الجماعة في المسجد ولو أدوها جماعة في البيوت،

ووصف المتخلفين عن صلاة الجماعة بالنفاق والضلال، وعدم ترخيص النبي صلى الله عليه وسلم للرجل الأعمى بالصلاة في بيته، وكون سامع النداء إذا لم يُجب لا صلاة له إلا من عذر، وكون علامة النفاق عند الصحابة رضي الله عنهم التخلف عن صلاة الجماعة.

ودلّ قول الله عز وجل: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِابْنِ الصَّلَاةِ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾، على أن المحافظة عليها لاسيما في الجماعة سبب للسلامة من الوقوع في الفحشاء والمنكر، وقد جاء في القرآن الكريم التلازم بين إضاعة الصلاة واتباع الشهوات، قال الله عز وجل: ﴿خَلَفَ مِنْ بَعدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ﴾، فلا يجوز لمسلم يرجو ثواب الله ويخشى عقابه أن يتهاون في الصلاة وأدائها جماعة أو يهون من أمر صلاة الجماعة، كما فعل ذلك بعض الكتّاب في بعض الصحف.

وهاتان المسألتان اللتان مثلت بهما لانتقاء هواة الانفلات ما يوافق أهواءهم، وهما تهوين شأن السفور واختلاط النساء بالرجال، وتهوين شأن صلاة الجماعة كانت الكتابة عن هذا التهوين من التغريبيين ومن كان على شاكلتهم من الصحفيين، ثم حصل في أواخر العام الماضي (١٤٣٠هـ) إقدام اثنين من المتكلفين ممن ينتسب إلى العلم الشرعي على الكتابة في الصحف في مسألة السفور والاختلاط رددت على الأول منها بكلمة بعنوان: «لماذا النشاط المحموم في تأييد اختلاط الجنسين في بلاد الحرمين؟!» نشرت في ١٨ / ١١ / ١٤٣٠هـ، وعلى الثاني بكلمة بعنوان: «أسوأ هذيان ظهر حتى الآن في فتنة اختلاط الجنسين في بلاد الحرمين» نشرت في ١٠ / ١ / ١٤٣١هـ، وجاء بعدهما ثالث كتب في الموضوع في أول هذا العام رددت عليه بكلمة نشرت في ٢٠ / ١ / ١٤٣١هـ بعنوان: «وأخيراً وصلوا في استنطاقهم لتأييد اختلاط الجنسين إلى مؤسسة دينية ثالثة!».

وفي يوم الأحد ٤ / ٥ / ١٤٣١ هـ اتفقت صحيفتا المدينة وعكاظ على نشر مقتطعات من هذيان جديد لصاحب الهذيان الأسوأ وهو أحمد قاسم الغامدي، الذي وضع في موقع ليس له بأهل وهو مسئولية هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في مكة، يهون في هذا الهذيان من أمر صلاة الجماعة وإغلاق المتاجر في وقت أدائها، وذكرت الصحيفتان أنه عنون لهذا الهذيان بـ «قوافل الطاعة في حكم صلاة الجماعة»، وأشار إلى بعض ما جاء في هذا الهذيان الجديد إلى ما يلي:

١- إن مجيء هذا الهذيان الجديد في التشبیط عن صلاة الجماعة بعد أسوأ هذيان حصل في تأييد اختلاط الجنسين في بلاد الحرمين هو من العقوبة على السيئة بسيئة أخرى لأن السيئة تجر إلى السيئة والزيع يجر إلى الزيع، ومن العقوبة على السيئة أن يبتلى المسيء بسيئة أخرى، ومن العقوبة على الزيع أن يبتلى الزائع عن الحق بإزاغة القلب كما قال الله ﷻ: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾، وقال: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾، قال ابن كثير في تفسيره: «أي فليحذر وليخش من خالف شريعة الرسول باطناً أو ظاهراً ﴿أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ﴾، أي في قلوبهم من كفر أو نفاق أو بدعة، ﴿أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾، أي في الدنيا: بقتل أو حد أو حبس أو نحو ذلك»، وفي مقابل ذلك فإن من الثواب على الحسنة أن يوفق المحسن إلى حسنة أخرى، فإن الحسنة تجر إلى حسنة.

٢- تسمية هذا الهذيان باسم «قوافل الطاعة في حكم صلاة الجماعة» لا يطابق المسمى؛ لأن من شأن القوافل أنها تسير، وسيرها يناسب الذهاب إلى المساجد لأداء صلاة الجماعة، فيقال فيه قوافل الطاعة لأداء صلاة الجماعة، وأما بقاء الرجال في البيوت والخوانيت وقت أداء صلاة الجماعة فالذي يطابقه بقاء الدواب في حظائرها رابضة وباركة، فتكون التسمية المناسبة للتشبيط عن صلاة

الجماعة «البوارك والروابض عن الطاعة» لا «قوافل الطاعة».

٣- جاء في صحيفة عكاظ: «لا يصح الإنكار على من ينادي بعدم إغلاق المحال التجارية أوقات الصلاة»!! ولا أدري كيف لم يتصور هذا الكاتب فظاعة وقبح منظر حوانيت مفتوحة أمام أبواب المساجد في وقت أداء صلاة الجماعة؟! وما ذلك إلا من إثارة تجارة الدنيا على تجارة الآخرة، وقد قال الله ﷻ: ﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ ۖ وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ﴾، وقال: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ۖ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾، وقد أورد البخاري في صحيحه في «باب في الأمل وطوله» من كتاب الرقاق أثراً عن علي بن أبي طالب ؓ قال: «ارتحلت الدنيا مدبرة، وارتحلت الآخرة مقبلة، ولكل واحدة منهما بنون، فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا؛ فإن اليوم عمل ولا حساب، وغداً حساب ولا عمل»، مع أن أداء الصلاة جماعة في المساجد لا يستغرق إلا وقتاً يسيراً، وقد جاء أن طلب الرزق يكون بعد أداء صلاة الجمعة والجماعة؛ كما في قول الله ﷻ: ﴿إِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ﴾، وكما في دعاء الخروج من المسجد وفيه: «اللهم افتح لي أبواب فضلك»، وأيضاً فإن في البقاء في الحوانيت وقت صلاة الجماعة إثارة للأبغض إلى الله على الأحب إلى الله، كما قال ﷻ: «أحب البلاد إلى الله تعالى مساجدها، وأبغض البلاد إلى الله أسواقها» رواه مسلم (١٥٢٨)، وأيضاً فقد مدح الله الرجال الذين لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله في المساجد وذكى الذين تلهيهم الدنيا عن ذكر الله فقال: ﴿فِي يَوْمٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تَرْفَعَ وَيَذْكُرَ فِيهَا أَسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْأُقْدُومِ وَالْأَصَالِ ۖ رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِنَّهُمْ لَلْزَكَاةُ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾، وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾.

٤- وجاء فيها أيضاً: «حكم صلاة الجماعة بالنظر إلى إقامتها فرض من

فروض الإمام» و«المعتبر هو إقامة صلاة الجماعة في الناس لا إقامة الناس فيها»!!

ومعنى هذا أن على المؤذن أن يؤذن وعلى الإمام أن يصلي بمن حضر ولو لم يكن معه إلا المؤذن، وأما غيرهما فمن شاء حضر ومن لم يشأ لم يحضر، وإذا كان للرجال أن يتخلفوا عن المساجد فما فائدة «حي على الصلاة، حي الفلاح»؟! ومعنى هذا النداء هلموا وأقبلوا وليس أن يبقوا في بيوتهم وحوانيتهم.

٥- وجاء فيها: «أدلة القائلين بوجوب الصلاة مع الجماعة لا ترتقي إلى القول بالوجوب»!

أقول: تقدم ذكر أدلة تسعة في ذلك وهي واضحة الدلالة على الوجوب، وبعد وفاة الرسول ﷺ كانت العلامة التي يعرف بها الصحابة رضي الله عنهم أهل النفاق التخلف عن صلاة الجماعة كما هو واضح من الأثرين المتقدمين عن ابن مسعود وابن عمر رضي الله عنهما، وفي تعبير ابن مسعود بقوله: «ولقد رأيتنا وما يتخلف عنها إلا منافق معلوم النفاق» وتعبير ابن عمر بقوله: «كنّا إذا فقدنا الرجل في صلاة العشاء الآخرة والصبح أسأنا به الظن» بضمير الجماعة ما يفيد إجماع الصحابة رضي الله عنهم على وجوب صلاة الجماعة.

٦- وجاء فيها أيضاً: «إقامة الناس في صلاة الجماعة بعد إقامتها سنة مؤكدة»!

أقول: من قال بالسنية المؤكدة لصلاة الجماعة من العلماء يحافظون على صلاة الجماعة كما يحافظون على الوتر وركعتي الفجر وهما من السنن المؤكدة، ولا يهونون من شأن صلاة الجماعة ولا يثبطون عنها، قال ابن القيم في كتاب الصلاة (ص ٧١): «وقالت الحنفية والمالكية: هي سنة مؤكدة، ولكنهم يؤثّمون تارك السنن المؤكدة ويصححون الصلاة بدونها، والخلاف بينهم وبين

من قال: إنها واجبة لفظي، وكذلك صرح بعضهم بالوجوب»، وقال أيضاً (ص ٨٩): «ومن تأمل السنة حق التأمل تبين له أن فعلها في المساجد فرض على الأعيان».

٧- وجاء فيها: «وإذا فشا قول بعض أهل العلم في مسائل الاجتهاد وأطبق العموم عليه أدى إلى خفاء الحق».

أقول: الحق هو ما أطبق عليه الناس في بلاد الحرمين من وجوب الصلاة جماعة في المساجد، فقد عشنا وعاش آباؤنا وأجدادنا في ولاية الملك عبد العزيز رحمه الله وولاية أبنائه من بعده على أداء صلاة الجماعة في المساجد وإغلاق الحوانيت وقت أدائها، وليس الحق في التخيير بين أداء الصلاة جماعة وعدم أدائها، ثم ما دام أن الناس في هذه البلاد سائرون على هذا المنهج الصحيح فلماذا الخروج على ذلك بنشر ما يثبُط عن هذا الخير ويصرف الناس عن هذا العمل الصالح؟! وليس ببعيد أن يكون هذا الهذيان في التشبُّط عن صلاة الجماعة، وكذا في تأييد اختلاط الجنسين في بلاد الحرمين داخلاً في جملة ما جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «سيكون في آخر أمتي أناس يحدّثونكم ما لم تسمعوا أنتم ولا آباؤكم، فإياكم وإياهم» رواه مسلم في أول مقدمة صحيحه، ومن حسن حظ المرء أن يكون مفتاحاً للخير مغلاقاً للشر لا أن يكون مفتاحاً للشر مغلاقاً للخير، ولو كان الحق فيما أظهره الكاتب لكان الأولى إخفاؤه ليبقى الناس على ما كانوا عليه من الخير وهو المحافظة على صلاة الجماعة، وما هذا التشبُّط عن صلاة الجماعة في بلاد محافظة عليها إلا من الإفساد فيها بعد إصلاحها، كما قال الله ﻋَﻠَﻴْﻜَﻢْ: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾، في آيتين من سورة الأعراف، قال ابن كثير في تفسير الآية الأولى: «ينهى تعالى عن الإفساد في الأرض، وما أضره بعد الإصلاح! فإنه إذا كانت الأمور ماشية

على السداد ثم وقع الإفساد بعد ذلك كان أضر ما يكون على العباد، فنهى الله عن ذلك»، والواجب الإعانة على ما يقوي الإيمان لا على ما فيه إضعافه والتثبيط عن الخير، ومن حالفه التوفيق لن يغتر بهذا الهذيان، ومن ضعف إيمانه ومرض قلبه لا يزيده هذا الهذيان إلا ضعفاً ومرضاً، ومن الآثار السيئة للتثبيط عن صلاة الجماعة أن يسمع بعض الناس الأذان لصلاة الفجر فيبقى في فراشه لأنه لا يريد الذهاب إلى المسجد، وقد يستمر في نومه حتى تطلع الشمس فيؤدي الصلاة في البيت بعد خروج وقتها، فيكون للمثبط مثل آثام من ثبّطه لقوله ﷺ: «ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه، لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً» رواه مسلم (٦٨٠٤)، ومن القصص الجميلة في المحافظة على صلاة الجماعة أن شيخاً فاضلاً له تسع بنات وابن واحد، سمعته يقول في درسه: «أحب أن يكون وحيداً محافظاً على صلاة الجماعة، ولو كان تحصيل رزقه بمشقة كبيرة، كالذين يصعدون باللبن على ظهورهم إلى الأدوار العالية في العمارات الشاهقة، وإذا سمع الأذان ترك العمل، وبادر بالذهاب إلى المسجد»، وكان اللبن يصعدن به إلى العمارات هكذا قبل أن تأتي الآلات الرافعة، وقصة أخرى أخبرت بها عن شخص من العوام أعرفه توفي قبل ربع قرن ﷺ كان منزله بين مسجد النبي ﷺ ومسجد قباء، وكان محافظاً على الصلاة في المسجد، وفي يوم من الأيام غلبه النوم فلم يقم لصلاة الفجر إلا بعد انتهاء صلاة الجماعة فحزن حزناً شديداً وتألّم ألماً عظيماً، فرأى أن يعوض عن ذلك بأن ذهب على رجله إلى المسجد النبوي، وبقي فيه من بعد صلاة الفجر إلى صلاة الظهر، وفي الكتاب الذي ترجم فيه الشيخ عبد الملك ابن محمد بن قاسم لأبيه ﷺ قوله (ص ٢٦١): «ولا أذكر يوماً فاتته صلاة الجماعة إلا مرة واحدة، كان نائماً القيلولة فأذن لصلاة العصر وحسب أهل البيت أنه خرج

للمسجد كالعادة، فما علموا إلا وهو يقوم من نومه بعد انتهاء الصلاة معاتباً من حوله على عدم إيقاظهم له، وعلاه من الحزن وسواد الوجه ما الله به عليم، كل ذلك حرصاً منه ﷺ على صلاة الجماعة، والعجيب أنه لما توفي قريب له وكان تقياً ورعاً يحبه الوالد كثيراً ما رأينا ذلك السواد في وجهه كيوم فاتته صلاة الجماعة، فهل يعي المتهاون بصلاة الجماعة ولربما كان جاراً للمسجد ذلك؟! وهذه القصة تذكرنا بما جرى لحاتم الأصم عندما قال: فاتتني الصلاة في الجماعة فعزاني أبو إسحاق البخاري وحده، ولو مات لي ولد لعزاني أكثر من عشرة آلاف، لأن مصيبة الدين أهون عند الناس من مصيبة الدنيا!»

٨- وجاء فيها: «وزيادة إن أثقل الصلاة على المنافقين ...» وإن كان الشيخان أخرجاها في صحيحيهما إلا أن في النفس منها شيئاً! و«حديث الأعمى وابن أم مكتوم رُوي عن عدة طرق لم يثبت منها شيء بإسناد صحيح ولا حسن»!

أقول: من أنت حتى يكون في نفسك شيء من حديث أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما؟! وواجب المسلم إذا صح الحديث أن يستسلم وينقاد له ولا يكون في نفسه منه شيء، كما قال الله ﷻ: ﴿فَلَا وَرَيْكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾، وقال: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالاً مُبِيناً﴾.

وأما ما ذكره عن حديث الأعمى وابن أم مكتوم فقد ذكر النووي في شرحه لصحيح مسلم أن الأعمى في حديث مسلم هو ابن أم مكتوم كما جاء مفسراً عند أبي داود وغيره، وقد مر قريباً إيراد الحديث من صحيح مسلم وسنن أبي داود، والحديث أخرجه مسلم في صحيحه وأبو داود في سننه وكثر

احتجاج أهل العلم به على وجوب صلاة الجماعة فكيف يقول الكاتب عنه إنه لم يثبت بإسناد صحيح ولا حسن مع أنه في صحيح مسلم؟! ولو لم يخرج في صحيحه وخَرَّجَه غيره وفي الإسناد عبيد الله بن الأصم الذي يُقبل حديثه إذا توبع فإنه يؤيده حديث ابن أم مكتوم في سنن أبي داود المتقدم ورجاله ثقات إلا عاصم بن بهدلة وأقل أحوال حديثه الحُسن فيكون مع الحديث الآخر صحيحاً لغيره، وقد ذكرني ما قاله هذا الكاتب هنا بكلام سمعته من شيخ فاضل من كبار العلماء شفاه الله قال: «إن ولداً صغيراً عمره خمس عشرة سنة قال عن حديث صحيح: هذا الحديث لم يصح عندي»!! مع أن هذا الكاتب لم يعرفه المشتغلون بالعلم إلا بعد نشر هذيانه في تأييد اختلاط الجنسيين وفي التشيط عن صلاة الجماعة واحتفاء الصحف به وبهذيانه، وهذا الكاتب إن لم يدركه من الله هداية وتوفيق أو يتداركه ولالة الأمر بردع ومنع لقول عثمان : «إن الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن» يُحشى أن يسطو على أحاديث الصحيحين فيخبط فيها كعادته خبط عشواء ويضعف بجهل وقلة حياء ما أمكنه تضعيفه منها، وكذا يُحشى أن يجرؤ على واجبات أخرى وطاعات فيهون من شأنها ويثبط عنها.

وقد كان العلماء يعظمون أحاديث الصحيحين ويهابون الكلام فيها، ومن ذلك قول الذهبي في الميزان في ترجمة خالد بن مخلد القطواني وقد جاء في إسناد حديث: «من عادى لي ولياً» في صحيح البخاري قال: «لولا هيبة الجامع الصحيح لعدَّوه في منكرات خالد بن مخلد، وما أشار إليه من وجود نكارة في الحديث غير مسلم وفيه نظر، وقال الحافظ ابن حجر في مقدمة فتح الباري (ص ٢٨٤): «وقد كان الشيخ أبو الحسن المقدسي يقول في الرجل الذي يخرج عنه في الصحيح: هذا جاز القنطرة، يعني بذلك أنه لا يلتفت إلى ما قيل فيه»،

وقال الشوكاني في شرح هذا الحديث في كتاب «قطر الولي في شرح حديث الولي» المطبوع ضمن كتاب «ولاية الله والطريق إليها» للدكتور إبراهيم هلال (ص ٢١٨): «ولا حاجة لنا في الكلام على رجال إسناده، فقد أجمع أهل هذا الشأن أن أحاديث الصحيحين أو أحدهما كلها من المعلوم صدقه، المتلقى بالقبول، المجمع على ثبوته، وعند هذه الإجماعات تندفع كل شبهة، ويزول كل شك، وقد دفع أكابر الأمة من تعرض للكلام على شيء فيهما، وردوه أبلغ رد، وبينوا صحته أكمل بيان، فالكلام على إسناده بعد هذا لا يأتي بفائدة يعتد بها، فكل رواته قد جاوزوا القنطرة، وارتفع عنهم القيل والقال، وصاروا أكبر من أن يتكلم فيهم بكلام، أو يتناولهم طعن طاعن، أو توهين موهّن».

وقد اقتصر في كتابه على ما جاء عن الكاتب في صحيفة عكاظ، ولم تعرض لما جاء عنه في صحيفة المدينة من تحبظ في الكلام على بعض الأحاديث طلباً للاختصار واكتفاءً بما أورده عنه في الكلمة السابقة من نماذج من تحبظه في التصحيح والتضعيف لبعض الأحاديث.

وفي الختام أشير إلى أمرين:

الأول: أن هذا الكاتب في إشهاره الشيطان عن صلاة الجماعة في بلاد محافظة عليها وكذا إظهاره فيما كتبه من قبل من تأييد اختلاط الجنسين في الدراسة والعمل وغير ذلك وأن لكل من الجنسين النظر إلى الآخر ومصافحته وأن الأجنبية تقلي رأس الأجنبية وتقص شعره وتحلقه وغير ذلك مما نقلته عنه في كلمة: «أسوأ هذيان ظهر حتى الآن في فتنة اختلاط الجنسين في بلاد الحرمين»، كل ذلك يدل بوضوح على أن مثله لا يجوز أن يكون مسئولاً في هيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بل ولا عضواً فيها؛ لأنه في واد وأعمال هيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في واد آخر، وبقاء مثله في هذا العمل بعد

ظهور أمره وانكشاف حاله من علامات الساعة، فقد سأل رجل رسول الله ﷺ قائلاً: متى الساعة؟ فأجابه رسول الله ﷺ بقوله: «إِذَا ضُيِّعَتِ الْأَمَانَةُ فانتظر الساعة، قال: وكيف إضاعتها؟ قال: إِذَا وَسَّدَ الْأَمْرُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ فَانتظر الساعة» رواه البخاري (٥٩).

الثاني: أن من واجبات ولاية أمور المسلمين المنع من إظهار كل شيء يعود عليهم ضرره في دينهم وأخلاقهم، لاسيما الكلام في الشرع بغير علم والخوض في الفتوى ممن ليس أهلاً لها، قال ابن القيم في إعلام الموقعين (٢١٧/٤): «من أفتى الناس وليس بأهل للفتوى فهو آثم عاص، ومن أقره من ولاية الأمور على ذلك فهو آثم أيضاً، قال أبو الفرج ابن الجوزي رحمته الله: ويلزم ولي الأمر منعهم كما فعل بنو أمية، وهؤلاء بمنزلة من يدل الركب وليس له علم بالطريق، وبمنزلة الأعمى الذي يرشد الناس إلى القبلة، وبمنزلة من لا معرفة له بالطب وهو يطب الناس، بل هو أسوأ حالاً من هؤلاء كلهم، وإذا تعيّن على ولي الأمر منع من لم يحسن التطب من مداواة المرضى، فكيف بمن لم يعرف الكتاب والسنة ولم يتفقه في الدين؟! وكان شيخنا رحمته الله - يعني شيخ الإسلام ابن تيمية - شديد الإنكار على هؤلاء، فسمعتة يقول: قال لي بعض هؤلاء: أجمعلت محتسباً على الفتوى؟! فقلت له: يكون على الخبازين والطباخين محتسب ولا يكون على الفتوى محتسب؟!»، وقال أيضاً (٢٠٧/٤): «رأى رجلٌ ربيعة بن أبي عبد الرحمن يبكي، فقال: ما يبكيك؟ فقال: استُفْتُ مَنْ لَا عِلْمَ لَهُ وَظَهَرَ فِي الْإِسْلَامِ أَمْرٌ عَظِيمٌ، قال: وَلَبَعْضُ مَنْ يَفْتِي ههنا أَحَقُّ بِالسَّجْنِ مِنَ السَّرَّاقِ، قال بعض العلماء: فكيف لو رأى ربيعة زماننا وإقدام مَنْ لَا عِلْمَ عِنْدَهُ عَلَى الْفِتْيَا وَتَوَثُّبِهِ عَلَيْهَا وَمَدَّ بَاعِ التَّكْلِيفِ إِلَيْهَا وَتَسْلُقُهُ بِالْجَهْلِ وَالْجُرْأَةِ عَلَيْهَا، مع قلة الخبرة وسوء السيرة وشؤم السريرة؟! وهو من بين أهل العلم منكر أو

غريب، فليس له في معرفة الكتاب والسنة وآثار السلف نصيب!»، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في آخر الفتوى الحموية: «وقد قال الناس: أكثر ما يفسد الدنيا: نصف متكلم، ونصف متفقه، ونصف متطبب، ونصف نحوي؛ هذا يفسد الأديان، وهذا يفسد البلدان، وهذا يفسد الأبدان، وهذا يفسد اللسان». وأسأل الله ﷻ أن يحفظ هذه البلاد حكومة وشعباً من كل شر وأن يوفقها لكل خير وأن يقيها شر أعدائها قتلة الأنفس وقتلة الأخلاق، وأن يهدي من ضل إلى الصواب، إنه سبحانه وتعالى سميع مجيب.

وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



أهمية خطبة الجمعة في الإسلام

(١٤٣١/٦/٢٣هـ)

الحمد لله، وصلى الله وسلم وبارك على رسول الله نبينا محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.

وبعد، فإن شأن خطبة الجمعة في الإسلام عظيم، لها أهمية كبرى وفائدتها كبيرة ونفعها عميم، وتبين أهميتها من وجوه:

الأول: أن من شروط صلاة الجمعة أن يتقدمها خطبتان، فالخطبة فيها لازمة والإتيان بها متعين.

الثاني: أن يوم الجمعة يوم عيد الأسبوع والخطبة فيه خطبة عيد تتكرر كل أسبوع، ومن أدلة ذلك قول النبي ﷺ: «قد اجتمع في يومكم عيدان، فمن شاء أجزأه من الجمعة وإنا مجمعون» رواه أبو داود (١٠٧٣) بإسناد حسن

عن أبي هريرة، وفي صحيح البخاري (٥٥٧٢) عن أبي عبيد مولى ابن أزهري قال: «شهدت العيد مع عثمان بن عفان وكان يوم الجمعة، فصلى قبل الخطبة، ثم خطب فقال: يا أيها الناس إن هذا يوم قد اجتمع لكم فيه عيدان، فمن أحب أن ينتظر الجمعة من أهل العوالي فلينتظر، ومن أحب أن يرجع فقد أذنت له»، وفي سنن ابن ماجه (١٠٩٨) بإسناد حسن لغيره عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال: «إن هذا يوم عيد جعله الله للمسلمين، فمن جاء إلى الجمعة فليغتسل، وإن كان من طيب فليمس منه، وعليكم بالسواك».

الثالث: أن الحضور لأداء صلاة الجمعة وسماع الخطبتين قبلها واجب؛ لقول الله ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾، فهي الخطبة التي تكون في شيء السعي إليه واجب، بخلاف غيرها من الخطب التي لا يكون حضورها في أصل الشرع واجباً ولا الاستماع لها متعيناً.

الرابع: أن حال المسلم عند خطبة الجمعة كحاله في الصلاة لا يتكلم ولا يكلم غيره ولا يتشاغل بأي شيء عن سماع الخطبة والإنصات لها، ومن أدلة ذلك قوله ﷺ: «إذا قلت لصاحبك يوم الجمعة أنصت والإمام يخطب فقد لغوت» رواه البخاري (٩٣٤) ومسلم (١٩٦٥)، وقوله ﷺ: «من توضأ فأحسن الوضوء، ثم أتى الجمعة فاستمع وأنصت غُفر له ما بينه وبين الجمعة وزيادة ثلاثة أيام، ومن مس الحصى فقد لغا» رواه مسلم (١٩٨٨).

وأما أهميتها بالنسبة للخطيب فلكون حضورها لازماً والاستماع لها متعيناً فإن ذلك يتطلب منه الاهتمام البالغ والعناية التامة بخطبته، فيبذل جهده في وقت مبكر لإعدادها الإعداد الذي يستوفي فيه جوانب الموضوع مع الاختصار ومع استشعاره أيضاً عموم نفعها وعظيم أجرها وثوابها؛ لقوله

ﷺ: «من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً» رواه مسلم (٦٨٠٤) عن أبي هريرة رضي الله عنه، ومن المناسب أن تكون محررة؛ لما في تحريرها من جمع شتات الموضوع والاطمئنان إلى الإحاطة به والسلامة من ذهاب بعض المعاني والأدلة المهمة التي قد تند عن ذهنه إذا أُلقيت دون تحرير، ومن المهم جداً العناية بإيراد الأدلة من الكتاب والسنة وآثار السلف والرجوع إلى الكتب التي تُعنى بجمع الآثار عن السلف في مختلف الموضوعات لاسيما الكتابات الحديثة التي تعنى باستخراج تلك الآثار من الكتب الواسعة مثل سير أعلام النبلاء للذهبي وتاريخ بغداد للخطيب البغدادي وغيرهما.

وخطبة الجمعة هي بمثابة درس أسبوعي حضوره لازم لكل مسلم يتفقه في هذا الدرس في دينه فيعرف العقيدة ويتعلم الأحكام الشرعية، وهذا هو هدي رسول الله ﷺ وعمل أصحابه من بعده رضي الله عنه، ومن أمثلة تعليم النبي ﷺ وأصحابه أمور الدين في الخطب ما يلي:

(١): حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يخطب على المنبر فقال: «من جاء إلى الجمعة فليغتسل» رواه البخاري (٩١٩) ومسلم (١٩٢٥).

(٢): حديث زينب بنت جحش رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ على المنبر يقول: «لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر تُحْدُ على ميت فوق ثلاث إلا على زوج أربعة أشهر وعشراً» رواه البخاري (١٢٨٢) ومسلم (٣٧٢٥).

(٣): أول حديث في صحيح البخاري رواه بإسناده إلى علقمة بن وقاص

الليثي قال: سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه على المنبر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى» الحديث.

(٤): حديث ابن عباس رضي الله عنه أنه سمع عمر رضي الله عنه يقول على المنبر: سمعت النبي ﷺ يقول: «لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، فإنما أنا عبده، فقولوا: عبد الله ورسوله» رواه البخاري (٣٤٤٥)، ورواه أيضاً مطولاً (٦٨٣٠) وفيه النص على أنه في خطبة الجمعة، ورواه مسلم (٤٤١٨) مطولاً وليس فيه: «لا تطروني...».

(٥): الأثر الذي رواه مالك في الموطأ (٩٠ / ١) بإسناد صحيح عن عبد الرحمن بن عبد القاري أنه سمع عمر بن الخطاب وهو على المنبر يعلم الناس التشهد، يقول: «قولوا: التحيات لله» الحديث.

(٦): الأثر الذي رواه مسلم (١٣٤٥) بإسناده إلى أبي الزبير قال: «سمعت عبد الله بن الزبير يخطب على هذا المنبر يقول: كان رسول الله ﷺ يقول إذا سلم في دبر الصلاة أو الصلوات» ثم ذكر الحديث في الأذكار في أدبار الصلوات.

(٧): الحديث في وصل الشعر الذي رواه البخاري (٣٤٦٨) بإسناده عن حميد بن عبد الرحمن أنه سمع معاوية بن أبي سفيان عام حج على المنبر، فتناول قُصّة من شعر كانت في يدي حربي فقال: «يا أهل المدينة! أين علماؤكم؟! سمعت النبي ﷺ ينهى عن مثل هذه، يقول: إنما هلكت بنو إسرائيل حين اتخذها نساؤهم».

وقال ابن القيم في زاد المعاد (١ / ١٨٨): «وكان مدار خطبه ﷺ على حمد الله والثناء عليه بآلائه وأوصاف كماله ومحامده، وتعليم قواعد الإسلام وذكر الجنة والنار والمعاد، والأمر بتقوى الله، وتبيين موارد غضبه ومواقع رضاه،

فعلى هذا كان مدار خطبه عليه السلام.

وموضوعات خطبة الجمعة ينبغي أن تكون بإيضاح عقيدة السلف المستمدة من كتاب الله وسنة رسوله عليه السلام وما كان عليه أصحابه الكرام عليهم السلام ومن سار على نهجهم، وتكون في بيان الأحكام الشرعية في العبادات والمعاملات، وتكون في العظات التي تحرك القلوب وتؤثر في النفوس، فتثمر الخوف من عذاب الله ورجاء ثوابه، مع العناية باشتغالها على الأدلة من الكتاب والسنة وآثار السلف.

ومن أهم ما يعالج في خطب الجمعة ما ابتلي به بعض الشباب في بلاد الحرمين وغيرها من بلاد المسلمين من الفهم الخاطئة للأحكام الشرعية نتيجة لبعدهم عن أهل العلم والاستفادة من توجيههم وإرشادهم وتسديدتهم وتبصيرهم بالحق، فتشتمل خطب الجمعة على إيضاح الحق إلى هؤلاء الشباب وغيرهم حتى يسلموا من الوقوع في الفهم الخاطئة وارتكاب المنكرات نتيجة لهذه الفهم من قتل وتفجير وتدمير وترويع للآمنين بدعوى أن ذلك من الجهاد وهو في الحقيقة جهاد في سبيل الشيطان، وبأي عقل ودين يكون قتل المسلمين والمستأمنين وتدمير الممتلكات جهاداً؟! فبيان الحق وإيضاحه في خطب الجمعة وغيرها تحصل الفائدة بإذن الله والسلامة من الشرور التي تنشأ عن سوء الفهم وركوب الرؤوس نتيجة لذلك، وما أحسن الفائدة التي حصلت لبعض الذين فكروا في الدخول في رأي الخوارج عندما استمعوا لجابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه وهو يحدث بحديث الرسول عليه السلام في مسجده عليه السلام! ففي صحيح مسلم (١٩١) بإسناده إلى يزيد الفقير قال: «كنتُ قد شَغَفَنِي رَأْيٌ مِنْ رَأْيِ الْخَوَارِجِ، فَخَرَجْنَا فِي عِصَابَةٍ ذَوِي عَدَدٍ نُرِيدُ أَنْ نَحْجَّ، ثُمَّ نَخْرُجَ عَلَى النَّاسِ، قَالَ: فَمَرَرْنَا عَلَى الْمَدِينَةِ فَإِذَا جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ

يُحَدِّثُ الْقَوْمَ - جَالِسٌ إِلَى سَارِيَةٍ - عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: فَإِذَا هُوَ قَدْ ذَكَرَ الْجَهَنَّمِيِّينَ، قَالَ: فَقُلْتُ لَهُ: يَا صَاحِبَ رَسُولِ اللَّهِ! مَا هَذَا الَّذِي تُحَدِّثُونَ؟ وَاللَّهِ يَقُولُ: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ﴾، وَ﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا﴾، مَا هَذَا الَّذِي تَقُولُونَ؟ قَالَ: فَقَالَ: أَتَقْرَأُ الْقُرْآنَ؟ قُلْتُ: نَعَمْ! قَالَ: فَهَلْ سَمِعْتَ بِمَقَامِ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، يَعْنِي الَّذِي يَبْعَثُهُ فِيهِ؟ قُلْتُ: نَعَمْ! قَالَ: فَإِنَّهُ مَقَامُ مُحَمَّدٍ ﷺ الْمَحْمُودِ الَّذِي يُخْرِجُ اللَّهُ بِهِ مَنْ يُخْرِجُ. قَالَ: ثُمَّ نَعَتْ وَضَعَ الصَّرَاطَ وَمَرَّ النَّاسَ عَلَيْهِ، قَالَ: وَأَخَافُ أَنْ لَا أَكُونَ أَحْفَظَ ذَلِكَ. قَالَ: غَيْرَ أَنَّهُ قَدْ زَعَمَ أَنَّ قَوْمًا يَخْرُجُونَ مِنَ النَّارِ بَعْدَ أَنْ يَكُونُوا فِيهَا، قَالَ: يَعْنِي فَيَخْرُجُونَ كَأَنَّهُمْ عِيدَانُ السَّمَاسِمِ، قَالَ: فَيَدْخُلُونَ نَهْرًا مِنْ أَنْهَارِ الْجَنَّةِ فَيَغْتَسِلُونَ فِيهِ، فَيَخْرُجُونَ كَأَنَّهُمْ الْقِرَاطِيسُ. فَرَجَعْنَا، قُلْنَا: وَيُحْكَمُ! أَتَرَوْنَ الشَّيْخَ يَكْذِبُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟! فَرَجَعْنَا، فَلَا - وَاللَّهِ! - مَا خَرَجَ مَنَّا غَيْرُ رَجُلٍ وَاحِدٍ، أَوْ كَمَا قَالَ أَبُو نَعِيمٍ: «أَبُو نَعِيمٍ هُوَ الْفَضْلُ بْنُ دَكِينٍ أَحَدُ رِجَالِ الْإِسْنَادِ، وَقَدْ أُرِيدَ ابْنُ كَثِيرٍ فِي تَفْسِيرِهِ عِنْدَ قَوْلِهِ تَعَالَى مِنْ سُورَةِ الْمَائِدَةِ: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُخْرِجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا﴾ حَدِيثَ جَابِرٍ هَذَا عِنْدَ ابْنِ أَبِي حَاتِمٍ وَابْنِ مَرْدَوَيْهِ وَغَيْرِهِمَا، وَهُوَ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ هَذِهِ الْعَصَابَةَ ابْتُلِيَتْ بِالْإِعْجَابِ بِرَأْيِ الْخَوَارِجِ فِي تَكْفِيرِ مُرْتَكِبِ الْكَبِيرَةِ وَتَحْلِيدِهِ فِي النَّارِ، وَأَنَّهُمْ بَلَقَائِهِمْ جَابِرًا ﷺ وَبَيَانَهُ لَهُمْ صَارُوا إِلَى مَا أَرَشَدَهُمْ إِلَيْهِ، وَتَرَكُوا الْبَاطِلَ الَّذِي فَهَمُوهُ، وَأَنَّهُمْ عَدَلُوا عَنِ الْخُرُوجِ الَّذِي هُمُّوا بِهِ بَعْدَ الْحَجِّ، وَهَذِهِ مِنْ أَعْظَمِ الْفَوَائِدِ الَّتِي يَسْتَفِيدُهَا الْمُسْلِمُ بِرَجُوعِهِ إِلَى أَهْلِ الْعِلْمِ، وَقَدْ كَتَبْتُ فِي ذَلِكَ رِسَالَتَيْنِ إِحْدَاهُمَا بِعَنْوَانِ: «بَأْيٍ عَقْلٍ وَدِينٍ يَكُونُ التَّفْجِيرُ وَالتَّدْمِيرُ جِهَادًا؟! وَيُحْكَمُ أَفِيقُوا يَا شَبَابَ!!» طُبِعَتْ فِي عَامِ ١٤٢٤هـ، وَالثَّانِيَةُ بِعَنْوَانِ: «بَذَلُ النَّصْحِ وَالتَّذْكِيرِ لِبَقَايَا الْمَفْتُونِينَ بِالتَّكْفِيرِ وَالتَّفْجِيرِ» طُبِعَتْ عَامَ ١٤٢٧هـ وَطُبِعَتَا مَعًا ضَمْنِ مَجْمُوعٍ

كتبي ورسائي (٦ / ٢٢٥ - ٢٧٩) عام ١٤٢٨ هـ.

ومن أهم ما يعالج أيضاً في خطب الجمعة ما ابتلي به بعض الناس من الدعوة إلى قتل الأخلاق والوقوع في الشهوات الذين يريدون بدعوتهم أن تميل هذه البلاد ميلاً عظيماً فيَنحرف الشباب والشابات فيها عما كانوا عليه من قبل من الالتزام بالأخلاق الكريمة والأعمال الصالحة، فتشتمل خطب الجمعة على التحذير من فتنة أعداء هذه البلاد قتلة الأنفس وقتلة الأخلاق، ومن المعلوم أن ما حصل من الابتلاء بقتل الأنفس نتيجةً للابتلاء بقتل الأخلاق؛ كما قال الله ﷻ: ﴿وَمَا أَصْبَكُمْ مِنْ مُّصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾، قال شيخنا الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله كما في مجموع فتاواه (١٢٧/٤): «فما يصيب الأمة أو الأفراد من فتن أو صد عن سبيل الله أو أوبئة أو حروب أو غير ذلك من أنواع البلاء فأسبابه ما كسبه العباد من أنواع المخالفات لشرع الله؛ كما قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَصْبَكُمْ مِنْ مُّصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾، وقد بين الله جل وعلا ما حصل لبعض الأمم السابقة من العذاب والهلاك بسبب مخالفتهم لأمره ليتبينه العاقل ويأخذ من ذلك عظة وعبرة».

وأسأل الله ﷻ أن يوفق كل خطيب لأداء خطبته على الوجه الذي يرضي الله وينفع عباده، وأن يوفق سامعي الخطب للاستفادة منها والأخذ بكل ما فيه سعادتهم في الدنيا والآخرة، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



مسألتان مختصتان بصلاة العيد في المسجد النبوي الشريف

(٨ / ٨ / ١٤٣٢ هـ)

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

وبعد، فهذه كلمة في مسألتين متعلقتين بصلاة العيد بالمسجد النبوي الشريف، وهما: أهمية الاستفادة من الساحة الأمامية في المسجد النبوي في صلاة العيد، والتكبير الجماعي قبل صلاة العيد.

المسألة الأولى: أهمية الاستفادة من الساحة الأمامية في المسجد النبوي في صلاة العيد.

يوجد في المسجد النبوي داخل أسواره وأبوابه من الجهة الأمامية ساحة واسعة يبلغ عرضها من الغرب إلى الشرق خمسمائة متر تقريباً في الصف الواحد فيها على أقل تقدير ألف مصلاً، تتسع لعشرات الآلاف من المصلين ولا يستفاد منها في صلاة العيد لأنها تقع أمام الإمام، مع أنه يحضر لصلاة العيد أعداد كبيرة يمتلئ بهم المسجد وساحاته الأخرى، بل ويصلون في الشوارع من الجهات الثلاث الغربية والشرقية والشمالية، وتمتد الصفوف في الشوارع إلى مسافات كبيرة من الشرق والغرب.

ومن المناسب جداً أن يتقدم الإمام في صلاة العيد إلى أول الساحة الأمامية للأمور التالية:

١- تمكين عشرات الآلاف من المصلين من الصلاة في المسجد بدلاً من صلاتهم في الشوارع.

٢- أنه صُرف مليارات الريالات لنزع الملكيات في هذه الساحة التي بقيت

حتى الآن عشرين سنة تقريباً معطلة لا يستفاد منها منذ وجودها ضمن التوسعة الواسعة للمسجد النبوي في عهد الملك فهد رحمه الله.

٣- أن في الاستفادة من هذه الساحة في صلاة العيد تطبيقاً في الجملة لسنة صلاة العيد في المصلى الثابتة في الصحيحين وغيرهما.

ولا يقال: إنه إذا تقدم الإمام في أول هذه الساحة الأمامية يكون قبر الرسول ﷺ واقعاً بين صفوف المصلين؛ لأن ذلك حاصل في جميع الأوقات، فإن الناس يصلون أمامه كما هو حاصل في الزيادة الأمامية داخل المسجد التي فيها الإمام وستة صفوف أو سبعة أمام القبر والروضة، وكذا من الجهة الشرقية، وتمتد الصفوف في صلاة العيد في شرق المبنى القديم الذي فيه القبر، والصلاة الواحدة فرضاً أو نفلاً في المسجد النبوي وساحاته خير من ألف صلاة فيما سواه من المساجد إلا المسجد الحرام سواء في ذلك ما كان قبل دخول القبر في المسجد في أثناء عهد بني أمية أو بعده؛ لقوله ﷺ: «صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام» رواه البخاري (١١٩٠) ومسلم (٣٣٧٤).

ومن العجيب تشبث بعض الناس في الأقطار المختلفة لتسويغ بناء المساجد على القبور بكون قبره ﷺ داخل مسجده، وقد قلت في رسالة: «فضل المدينة وآداب سكنها وزيارتها» (ص ٢١): «ابتلي كثير من المسلمين في كثير من الأقطار الإسلامية ببناء المساجد على القبور، أو دفن الموتى في المساجد، وقد يتشبث بعضهم لتسويغ ذلك بوجود قبره ﷺ في مسجده، ويُجاب عن هذه الشبهة بأن النبي ﷺ هو الذي بنى المسجد أول قدمه المدينة، وبنى بيوته التي تسكنها أمهات المؤمنين بجوار مسجده، ومنها بيت عائشة الذي دُفن فيه ﷺ، وبقيت هذه البيوت كما هي خارج المسجد في زمن الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم وزمن

معاوية رضي الله عنه، وزمن خلفاء آخرين بعده، وفي أثناء خلافة بني أمية وسَّع المسجد وأدخل بيت عائشة الذي قُبِرَ فيه رضي الله عنه في المسجد، وقد جاء عن النبي ﷺ أحاديث مُحْكَمَةٌ لا تقبلُ النسخَ تدلُّ على تحريمِ اتِّخَاذِ القبورِ مساجد، منها حديثُ جندب بن عبد الله البجلي رضي الله عنه الذي سمِعَه من رسول الله ﷺ قبل وفاته بخمسين ليالٍ قال فيه: سَمِعْتُ رسولَ الله ﷺ قبل أن يَمُوتَ بخمسين يقول: «إني أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليلٌ، فإنَّ اللهَ اتَّخَذَنِي خليلًا كما اتَّخَذَ إبراهيمَ خليلًا، ولو كنتُ متَّخذًا من أُمَّتِي خليلًا لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خليلًا، أَلَا وَإِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَانُوا يَتَّخِذُونَ قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ وَصَالِحِيهِمْ مَسَاجِدَ، أَلَا فَلَا تَتَّخِذُوا الْقُبُورَ مَسَاجِدَ إني أَنهَاكُم عَنْ ذَلِكَ» رواه مسلمٌ في صحيحه، بل إنَّ النَّبِيَّ ﷺ لما نزل به الموتُ حَذَرَ من اتَّخَذَ القبورَ مساجد كما في الصحيحين عن عائشة وابن عباس رضي الله عنهما قالَا: «لما نزل برسول الله ﷺ طَفِقَ يَطْرُحُ خَمِيصَةً على وجهه، فإذا اغْتَمَّ كشفها عن وجهه، فقال وهو كذلك: لعنةُ الله على اليهود والنصارى اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ، يُحَذِّرُ مَا صَنَعُوا»، فهذه الأحاديثُ عن عائشة وابن عباس وجندب رضي الله عنه مُحْكَمَةٌ لا تقبلُ النسخَ بحالٍ من الأحوال؛ لأنَّ حديثَ جندبٍ في آخر أيامه، وحديثي عائشة وابن عباس في آخر لحظاته رضي الله عنه، فلا يجوزُ لأحدٍ من المسلمين أفراد أو جماعات تركُ ما دلَّت عليه هذه الأحاديثُ الصحيحةُ المُحْكَمَةُ، والتعويلُ على عملٍ حصل في أثناء عهد بني أمية، وهو إدخالُ القبر في مسجده ﷺ فيستدل بذلك على جواز بناء المساجد على القبور أو دفن الموتى في المساجد»، وقد طُبعت هذه الرسالة مراراً، وطُبعت ضمن مجموع كتبي ورسائلي (١٥٩-١٣٣/٦).

ولا يقال أيضاً: إن هذه الساحة الأمامية يقع بعضها فوق سطح أماكن قضاء

الحاجة (دورات المياه)؛ لأن المساحة التي تقع تحتها دورات المياه قليلة جداً بالنسبة لغيرها مما ليس تحتها دورات مياه، مع أنه يوجد تحت الساحتين الغربية والشمالية دورات مياه يصلي الناس على سطحها ولا بأس في ذلك، والقول بصحة الصلاة فوق الحمامات هو أصح القولين في المسألة كما قرره بعض أهل العلم، ومنهم اللجنة الدائمة للإفتاء والشيخان الجليلان عبد العزيز بن باز ومحمد بن عثيمين رحمهما الله، ففي فتاوى اللجنة الدائمة (٢١١ / ٦) الفتوى رقم (٣٠٥١) أجابت عن سؤال عن حكم الصلاة فوق سطح دورة المياه بما يلي: «إذا كان الواقع كما ذكر جاز أن يصلي على سطح دورة المياه المذكورة ولا حرج إن شاء الله ولا كراهية في ذلك؛ لأن السطح لا يتبع الأصل في مثل هذا، وهذا هو الصحيح من قولي العلماء في هذه المسألة، كما صرح بذلك أبو محمد بن قدامة المقدسي رحمته الله في كتابه المغني»، وأجابت أيضاً (٢١٠ / ٦) عن حكم الصلاة على حصير وُضع على أرض متنجسة بما يلي: «يشترط للصلاة الطهارة في البدن والثوب والمكان، والطفل إذا بال في مكان وُضع على هذا المكان حصير طاهر ونحوه وصلي عليه فالصلاة صحيحة»، ومن باب أولى صحة الصلاة على سطح دورات المياه، وفي مجموع فتاوى الشيخ عبد العزيز بن باز رحمته الله (٤١٩ / ١٠) ما يلي: «سؤال: هل تجوز الصلاة في مكان تقع أمامه دورة مياه ولا يفصل بينهما سوى حائط فقط، وهل الأفضل الصلاة في مكان آخر؟

الجواب: لا مانع من الصلاة في الموضع المذكور إذا كان طاهراً ولو كانت دورة المياه أمامه، كما تجوز الصلاة في أسطح دورات المياه إذا كانت طاهرة في أصح قولي العلماء»، وفي كتاب «زاد المستقنع»: «وإن طين أرضاً نجسة أو فرشها طاهراً كُره وصحت»، والمعنى أنه لو وُضع على الأرض النجسة طين ومثله

الأسمنت والبلاط أو وُضع عليها فراش طاهر صحت الصلاة فيها مع الكراهة أي كراهة التنزيه، قال الشيخ محمد بن عثيمين رحمته الله في الشرح الممتع (٢٢٨/٢): «والصواب أنه تصح ولا تكره؛ لأنه ليس على الكراهية دليل صحيح»، ومن باب أولى صحة الصلاة فوق أسطح الحمامات، وعزا الصنعاني في سبل السلام (٢٠٩/١) القول بصحة الصلاة فوق سطح الحمام مع الكراهة إلى الجمهور.

المسألة الثانية: التكبير الجماعي قبل صلاة العيد.

يقوم بعض المؤذنين في المسجد النبوي قبل صلاة العيد بالتكبير الجماعي في مكبر الصوت، ولا أصل لهذا التكبير الجماعي يعول عليه بل هو من الأمور المحدثه، وأما التكبير من الأفراد كل على حدة فهو السائغ شرعاً، وقد أنكر التكبير الجماعي العلماء المحققون في هذه البلاد وغيرها، ومنهم الشيخان الجليلان محمد بن إبراهيم آل الشيخ وعبد العزيز بن باز رحمهما الله واللجنة الدائمة للإفتاء والشيخ حمود بن عبد الله التويجري رحمته الله والشيخ محمد ناصر الدين الألباني رحمته الله، قال سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمته الله في مجموع فتاواه (٢١/١٣): «وصفة التكبير المشروع أن كل مسلم يكبر لنفسه منفرداً ويرفع صوته به حتى يسمعه الناس فيقتدوا به ويذكرهم به، أما التكبير الجماعي المبتدع فهو أن يرفع جماعة - اثنان فأكثر - الصوت بالتكبير جميعاً يبدأونه جميعاً وينهونه جميعاً بصوت واحد وبصفة خاصة، وهذا العمل لا أصل له ولا دليل عليه، فهو بدعة في صفة التكبير ما أنزل الله بها من سلطان، فمن أنكر التكبير بهذه الصفة فهو محق؛ وذلك لقوله ﷺ: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد» أي مردود غير مشروع، وقوله ﷺ: «وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل

محدثه بدعة وكل بدعة ضلالة»، والتكبير الجماعي محدث فهو بدعة، وعمل الناس إذا خالف الشرع المطهر وجب منعه وإنكاره؛ لأن العبادات توقيفية لا يشرع فيها إلا ما دل عليه الكتاب والسنة، أما أقوال الناس وآراؤهم فلا حجة فيها إذا خالفت الأدلة الشرعية، وهكذا المصالح المرسلة لا تثبت بها العبادات، وإنما تثبت العبادات بنص من الكتاب أو السنة أو إجماع قطعي، والمشروع أن يكبر المسلم على الصفة المشروعة الثابتة بالأدلة الشرعية وهي التكبير فرادى، وقد أنكر التكبير الجماعي ومنع منه سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم مفتي الديار السعودية - رحمته الله - وأصدر في ذلك فتوى، وصدر مني في منعه أكثر من فتوى، وصدر في منعه أيضاً فتوى من اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، وألف فضيلة الشيخ حمود بن عبد الله التويجري رحمته الله رسالة قيمة في إنكاره والمنع منه، وهي مطبوعة ومتداولة وفيها من الأدلة على منع التكبير الجماعي ما يكفي ويشفي والحمد لله».

وفي فتاوى اللجنة الدائمة للإفتاء (٨/ ٣١٠-٣١١) الفتوى رقم (٨٣٤٠) ونصها: «يكبر كل وحده جهراً؛ فإنه لم يثبت عن النبي ﷺ التكبير الجماعي، وقد قال: من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد»، والفتوى رقم (٩٨٨٧) ونصها: «التكبير مشروع في ليلتي العيدين وفي عشر ذي الحجة مطلقاً وعقب الصلوات من فجر يوم عرفة إلى آخر أيام التشريق؛ لقوله تعالى: ﴿وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَيْتُمُ﴾، وقوله تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ﴾، ونقل عن الإمام أحمد رحمته الله أنه سئل: (أي حديث تذهب إلى أن التكبير من صلاة الفجر يوم عرفة إلى آخر أيام التشريق؟ قال: الإجماع)، ولكن التكبير الجماعي بصوت واحد ليس بمشروع بل ذلك بدعة؛ لما ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: (من أحدث

في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد)، ولم يفعله السلف الصالح لا من الصحابة ولا من التابعين ولا تابعيهم وهم القدوة، والواجب الاتباع وعدم الابتداع في الدين»، وقال الشيخ محمد ناصر الدين الألباني رحمته الله تعليقا على حديث رقم (١٧١) من السلسلة الصحيحة: «ومما يحسن التذكير به بهذه المناسبة أن الجهر بالتكبير هنا لا يُشرع فيه الاجتماع عليه بصوت واحد كما يفعله البعض، وكذلك كل ذكر يُشرع فيه رفع الصوت أو لا يُشرع فلا يُشرع فيه الاجتماع المذكور».

وقد أورد البخاري في صحيحه أثرين معلقين، أحدهما عن ابن عمر وأبي هريرة والآخر عن عمر رضي الله عنه، فقال في «باب فضل العمل في أيام التشريق» قبل حديث ابن عباس (٩٦٩) في فضل العمل في أيام العشر، قال: «وكان ابن عمر وأبو هريرة يخرجان إلى السوق في أيام العشر، يكبران ويكبر الناس بتكبيرهما»، قال الحافظ في شرحه: «لم أره موصولا عنهما»، وقال البخاري في أول الباب الذي يليه: «وكان عمر رضي الله عنه يكبر في قبته بمنى، فيسمعه أهل المسجد فيكبرون ويكبر أهل الأسواق حتى ترتج منى تكبيرا»، وقد ذكر الحافظ في شرحه أنه وصله سعيد بن منصور وأبو عبيد القاسم بن سلام، والأثران لا يدلان على التكبير الجماعي، بل يدلان على رفع الصوت منهم رضي الله عنهم بالتكبير لتذكير الناس به، فيتذكرون ويكبر كل واحد رافعا صوته على حدة.

وحصل من بعض المؤذنين في المسجد النبوي قبل صلاة عيد الفطر عام ١٤٣١ هـ الصلاة على النبي ﷺ بصوت جماعي في مكبر الصوت، قالوا فيها: «اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد وعلى أزواج سيدنا محمد وعلى أصحاب سيدنا محمد»، والصلاة على النبي ﷺ من أفضل الطاعات المشروعة في كل وقت وحين وتتأكد في بعض الأحوال وفقاً للنصوص الواردة في ذلك

كعند دخول المسجد والخروج منه وبعد الأذان وغير ذلك لكنه لا يؤتى بالصلاة على النبي ﷺ ولا غيرها من الأذكار بصوت جماعي، بل كل فرد يصلي على النبي ﷺ ويذكر الله على حدة، وقد كتبت في ذلك رسالة بعنوان: «فضل الصلاة على النبي ﷺ وبيان معناها وكيفيةها وشيء مما أُلّف فيها» طبعت ضمن مجموع كتبي ورسائي (٧٩-٥٧/٦)، والتعبير بـ«نينا» عند ذكره ﷺ أولى من التعبير بـ«سيدنا»؛ لأن الأول مختص به ﷺ، والثاني يطلق عليه وعلى غيره، ولا شك أنه ﷺ سيدنا وقدوتنا وإمامنا وهو ﷺ سيد الناس في الدنيا والآخرة؛ كما قال ﷺ في أول حديث الشفاعة: «أنا سيد الناس يوم القيامة» رواه البخاري (٤٧٢١) ومسلم (٤٨٠)، وقال ﷺ: «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، وأول من ينشق عنه القبر، وأول شافع وأول مشفع» رواه مسلم (٥٩٤٠)، وقد بين ﷺ سيادته وخصائصه لتعلمها أمته وتعتقدها؛ لأنه لا نبي بعده ﷺ يبين منزلته عليه الصلاة والسلام، أما الأنبياء السابقون فقد جاء بعدهم ﷺ وبين فضائلهم، ولم يكن التزام تسويده ﷺ عند ذكره من عمل الصحابة الكرام وهم خير هذه الأمة التي هي خير الأمم؛ والدليل على ذلك أن الأحاديث في الصحيحين وغيرهما وهي عشرات الآلاف تُذكر فيها الأسانيد وإذا انتهت إلى الصحابي قال: «قال رسول الله ﷺ كذا»، أو «سمعت رسول الله ﷺ يقول كذا»، أو «عن رسول الله ﷺ قال كذا»، أو «أمر رسول الله ﷺ بكذا»، أو «نهى رسول الله ﷺ عن كذا»، وليس فيها: «قال سيدنا رسول الله ﷺ كذا»، بل إن مؤلفي كتب الحديث ينصون على الاختلاف في تعبير الصحابي بلفظ «النبي» ولفظ «الرسول» مع أنه لا فرق بينهما، وكذا يميزون بين قول الصحابي: «قال رسول الله ﷺ كذا» وبين قوله: «سمعت رسول الله ﷺ يقول كذا»، ومن أمثلة ذلك ما أورده مسلم في صحيحه (٧١٩٧) من حديث المستورد بن شداد رضي الله عنه

قال: قال رسول الله ﷺ: «والله! ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم أصبعه في اليم، فلينظر أحدكم بم ترجع»، فقد عبّر محمد بن حاتم أحد شيوخ مسلم بقوله عن المستورد قال: «قال رسول الله ﷺ»، ثم ذكر مسلم أن عدداً من شيوخه عبّروا عن المستورد بقوله: «سمعت رسول الله ﷺ يقول»، ومن أمثلة ذلك أيضاً الحديث رقم (٥٥٩١) في سنن النسائي، رواه عن شيخين هما إسحاق بن إبراهيم وقتيبة بن سعيد، وذكر في رواية إسحاق بن إبراهيم عن عائشة قالت: «قال رسول الله ﷺ: كل شراب مسكر فهو حرام» ثم قال: «قال قتيبة: عن النبي ﷺ»، فميّز بين رواية شيخه إسحاق بن إبراهيم حيث عبّر بلفظ «قال» ولفظ «رسول الله ﷺ» وبين رواية قتيبة حيث عبّر بلفظ «عن» ولفظ «النبي ﷺ»، وكذا الحديث رقم (٥٦٦٩) حيث رواه عن شيخين هما محمد بن آدم بن سليمان وواصل بن عبد الأعلى، وفي أعلاه قال: «عن عبد الله بن عمر عن النبي ﷺ، وقال محمد بن آدم عن رسول الله ﷺ»، فميّز بين رواية واصل حيث عبّر بلفظ: «عن النبي ﷺ» ورواية محمد بن آدم حيث عبّر بلفظ: «عن رسول الله ﷺ»، وهذا يدل على دقة المحدثين وعنايتهم بالمحافظة على ألفاظ الرواة وإن كان لا يترتب عليها فرق في المعنى، فلو جاء عن أحد من الصحابة التعبير بقوله: قال سيدنا رسول الله ﷺ لم يغفلوا ذكره.

والمأمول من كل من يعنيه الأمر تحقيق ما أشرت إليه من تمكين عشرات الآلاف من صلاة العيد في الساحة الأمامية في المسجد النبوي ومنع التكبير الجماعي فيه قبل صلاة العيد.

وأسأل الله ﷻ أن يوفق المسلمين في كل مكان للفقّه في الدين والثبات على الحق واتباع السنة فيما يأتون ويذرون، إنه سميع مجيب.

وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



الاعتماد في الصوم والإفطار والحج على رؤية الهلال لا الحساب

(٢/٨/١٤٣٠هـ)

الحمد لله وحده، وصلى الله وسلم وبارك على من لا نبي بعده، نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه.

وبعد، فإن من تيسير الله على عباده أن جعل لأوقات عباداتهم علامات ظاهرة يشترك في معرفتها الحضري والبدوي والعالم والجاهل، فجعل مثلاً علامة دخول وقت صلاة الصبح طلوع الفجر الثاني إلى طلوع الشمس، ووقت صلاة الظهر بعد زوال الشمس، ووقت صلاة المغرب بعد غروبها، وجعل وقت الصيام من طلوع الفجر الثاني إلى غروب الشمس، وجعل بدء الصوم ونهايته ودخول شهر الحج برؤية الهلال، قال الله عز وجل: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ﴾، وقال: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتُمُوا الصَّيَامَ إِلَى الْإِيلِ﴾، وجاء بيان أوقات الصلوات الخمس بعلامات ظاهرة في حديث إمامة جبريل للرسول ﷺ في مسند الإمام أحمد (٣٠٨١) و (١١٢٤٩) وسنن أبي داود (٣٩٤—٣٩٣) والترمذي (١٤٩—١٥٠) وغيرها، وجاء أيضاً بيانها في حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه في صحيح مسلم (١٣٨٥)، وقال ﷺ: «لا تصوموا حتى تروا الهلال، ولا تفطروا حتى تروه، فإن غم عليكم فاقدروا له» رواه البخاري (١٩٠٦) ومسلم (٢٤٩٨) عن ابن عمر رضي الله عنهما، وفي لفظ لمسلم (٢٤٩٩):

«فاقدروا له ثلاثين»، وفي لفظ للبخاري (١٩٠٧): «الشهر تسع وعشرون ليلة، فلا تصوموا حتى تروه، فإن غم عليكم فأكملوا العدة ثلاثين»، وفي صحيح البخاري (١٩٠٩) عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً: «صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته، فإن غبي عليكم فأكملوا عدة شعبان ثلاثين»، ويتبين من هذه الأدلة أن الصوم والإفطار والحج كل ذلك منوط برؤية الهلال، سواء كان ذلك بالعين أو بواسطة المناظير، وأنه لا يعول في ذلك على الحساب، وقد حصل في بعض السنوات القريبة شيء من التشكيك في ثبوت الصوم أو الإفطار أو الحج برؤية الهلال إذا كان مخالفاً لقول أهل الحساب، ولا وجه لهذا التشكيك وما كان ينبغي أن يحصل ذلك؛ لأن رؤية الهلال هي المعتمدة في الشرع، ولم يأت دليل على اعتبار غيرها.

قال ابن رشد رحمته الله في بداية المجتهد (١/ ٢٨٤): «إن العلماء أجمعوا على أن الشهر العربي يكون تسعا وعشرين ويكون ثلاثين، وعلى أن الاعتبار في تحديد شهر رمضان إنما هو الرؤية؛ لقوله عليه الصلاة والسلام: (صوموا لرؤيته، وأفطروا لرؤيته)».

وقال ابن قدامة رحمته الله في المغني (٤/ ٣٣٨): «وكذلك لو بنى على قول المنجمين وأهل المعرفة بالحساب فوافق الصواب لم يصح صومه وإن كثرت إصابتهم؛ لأنه ليس بدليل شرعي يجوز البناء عليه ولا العمل به، فكان وجوده كعدمه؛ قال النبي ﷺ: (صوموا لرؤيته، وأفطروا لرؤيته)، وفي رواية: (لا تصوموا حتى تروه، ولا تفطروا حتى تروه)».

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله في مجموع الفتاوى (٢٥/ ١٣٢): «فإننا نعلم بالاضطرار من دين الإسلام أن العمل في رؤية هلال الصوم أو الحج أو العدة أو الإيلاء أو غير ذلك من الأحكام المتعلقة بالهلال بخبر

الحاسب أنه يرى أو لا يرى لا يجوز، والنصوص المستفيضة عن النبي ﷺ بذلك كثيرة، وقد أجمع المسلمون عليه، ولا يعرف فيه خلاف قديم أصلاً ولا خلاف حديث، إلا أن بعض المتأخرين من المتفقهة الحادّين بعد المائة الثالثة زعم أنه إذا غُمّ الهلال جاز للحاسب أن يعمل في حق نفسه بالحساب، فإن كان الحساب دل على الرؤية صام وإلا فلا، وهذا القول — وإن كان مقيداً بالإغماء ومختصاً بالحاسب — فهو شاذ مسبوق بالإجماع على خلافه، فأما اتباع ذلك في الصحو أو تعليق عموم الحكم العام به فما قاله مسلم!»، وقال أيضاً (٢٥/٢٠٧): «ولا ريب أنه ثبت بالسنة الصحيحة واتفاق الصحابة أنه لا يجوز الاعتماد على حساب النجوم، كما ثبت عنه في الصحيحين أنه قال: (إنا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب، صوموا لرؤيته، وأفطروا لرؤيته)، والمعتمد على الحساب في الهلال كما أنه ضال في الشريعة مبتدع في الدين فهو مخطئ في العقل وعلم الحساب».

وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله في الفتح (٤/١٢٧) في شرح حديث (١٩١٣) «إنا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب» الحديث: «ولا يرد على ذلك أنه كان فيهم من يكتب ويحسب؛ لأن الكتابة كانت فيهم قليلة نادرة، والمراد بالحساب هنا حساب النجوم وتسييرها، ولم يكونوا يعرفون من ذلك أيضاً إلا النزر اليسير، فعلق الحكم بالصوم وغيره بالرؤية لرفع الحرج عنهم في معاناة حساب التسيير، واستمر الحكم في الصوم ولو حدث بعدهم من يعرف ذلك، بل ظاهر السياق يشعر بنفي تعليق الحكم بالحساب أصلاً، ويوضحه قوله في الحديث الماضي: (فإن غم عليكم فأكملوا العدة ثلاثين)، ولم يقل: فسلوا أهل الحساب، والحكمة فيه كون العدد عند الإغماء يستوي فيه المكلفون فيرتفع الاختلاف والنزاع عنهم، وقد ذهب قوم إلى الرجوع

إلى أهل التسيير في ذلك وهم الروافض، ونقل عن بعض الفقهاء موافقتهم، قال الباجي: وإجماع السلف الصالح حجة عليهم، وقال ابن بزيمة: وهو مذهب باطل؛ فقد نهت الشريعة عن الخوض في علم النجوم لأنها حدس وتخمين ليس فيها قطع ولا ظن غالب، مع أنه لو ارتبط الأمر بها لضاق، إذ لا يعرفها إلا القليل».

وقال شيخنا الشيخ عبد العزيز بن باز رحمته الله في مجموع فتاواه (١١٠ / ١٥): «لا عبرة شرعاً بمجرد ولادة القمر في إثبات الشهر القمري بدءاً وانتهاءً بإجماع أهل العلم المعتد بهم ما لم تثبت رؤيته شرعاً، وهذا بالنسبة لتوقيت العبادات، ومن خالف في ذلك من المعاصرين فمسبق بإجماع من قبله وقوله مردود؛ لأنه لا كلام لأحد مع سنة رسول الله ﷺ، ولا مع إجماع السلف، أما حساب سير الشمس والقمر فلا يُعتبر في هذا المقام لما ذكرنا آنفاً ولما يأتي»، ثم ذكر وجوهاً في بيان ذلك، وقال أيضاً (١٢٤ / ٢٥): «لا يجوز لأحد أن يحتج على إبطال الرؤية بمجرد دعوى أصحاب المراصد أو بعضهم مخالفة الرؤية لحسابهم، كما لا يجوز لأحد أن يشترط لصحة الرؤية أن توافق ما يقوله أصحاب المراصد؛ لأن ذلك تشريع في الدين لم يأذن به الله، ولأن ذلك تقييد لما أطلقه الله ورسوله واعتراض على صاحب الشريعة الذي لا ينطق عن الهوى وتكليف للناس بما لا يعرفه إلا نفر قليل من الناس، فيضيقون بذلك ما وسعه الله، ومن المعلوم أنه لا أحسن ولا أكمل من حكم الله ورسوله في كل شيء كما قال الله سبحانه: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾، فنصيحتي لجميع المسلمين ولجميع الحاسبين بوجه أخص أن يتقوا الله وأن يحذروا مخالفة رسوله ﷺ والتشريع للناس بما لم يأذن به الله، وقد قال الله عز وجل: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ

شَرَعُوا لَهُمْ مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنَ بِهِ اللَّهُ ﴿٦٨﴾» ثم ذكر آيات وأحاديث في ذلك، وقال أيضاً (١٥/٦٨): «الحساب لا يعول عليه في رؤية هلال رمضان ولا غيره من الأحكام الشرعية بإجماع أهل العلم، حكى الإجماع في ذلك شيخ الإسلام أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية رحمته الله، والحجة في ذلك ما ثبت في الأحاديث الصحيحة عن النبي ﷺ أنه قال: (صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته، فإن غم عليكم فأكملوا العدة ثلاثين)، أما الآلات فظاهر الأدلة الشرعية عدم تكليف الناس بالتماس الهلال بها، بل تكفي رؤية العين، ولكن من طالع الهلال بها وجزم بأنه رآه بعد غروب الشمس وهو مسلم عدل فلا أعلم مانعاً من العمل برؤيته الهلال لأنها من رؤية العين لا من الحساب».

هذا ما أحبيت التنبيه عليه في هذه المسألة، وأسأل الله عز وجل أن يوفق المسلمين للتمسك بكتاب ربهم وسنة نبيهم ﷺ ليظفروا بسعادة الدنيا والآخرة، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.



بهذا يحصل الاطمئنان لصحة السعي في التوسعة الجديدة للمسعى

(١٥/٣/١٤٢٩هـ)

الحمد لله وحده، وصلى الله وسلم وبارك على من لا نبي بعده، نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

وبعد؛ فقد اطلعت على ما كتبه الأخ الشيخ عبد الله بن سليمان المنيع، عضو هيئة كبار العلماء عن الزيادة الجديدة في المسعى الذي نشرته صحيفة الجزيرة في عددها (١٢٩٥٣) في ٨/٣/١٤٢٩هـ، وقد ذكر أنه سئل عشرات المرات عن

السعي في المسعى الجديد الذي أمر بإنشائه خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز حفظه الله، وأنه استخار الله في الإجابة عن ذلك، لاسيما والمسألة الآن صارت محل أخذ ورد واختلاف في الفتوى بين منع وإجازة مما أوجد بلبلة وقلقاً واضطراباً بين عموم الناس، وذكر أنه كان ممن يرى عدم توسعة المسعى، وأنه قامت البيئة العادلة من سبعة شهود يتبعهم ثلاثة عشر شاهداً يشهدون بمشاهدتهم جبل الصفا ممتداً امتداداً بارتفاع مساو لارتفاع الصفا حالياً وذلك نحو المشرق إلى أكثر من عشرين متراً عن جبل الصفا الحالي، وكذلك الأمر بالنسبة لجبل المروة، وشهادتهم صريحة في امتداد الجبلين - الصفا والمروة - شرقاً امتداداً متصلاً بارتفاعهما، وأنه لذلك رجع عن قوله بعدم جواز التوسعة إلى القول بصحة السعي في التوسعة الجديدة لوقوعها بين جبلي الصفا والمروة.

بعد ذكر هذا التلخيص من كلام الشيخ عبد الله بن سليمان المنيع، أقول: إني أتمنى أن يثبت امتداد جبلي الصفا والمروة شرقاً بمقدار التوسعة الجديدة لأن الواجب هو السعي بين الصفا والمروة سواء في ذلك ما كان موجوداً من قبل وما زيد عليه مما يكون بين الجبلين، وكون المسعى القديم هو الذي يسعى فيه الناس من قديم الزمان لا يمنع من السعي في الزيادة الجديدة إذا ثبت وقوعها بين جبلي الصفا والمروة؛ لأن الناس فيما مضى لم يكونوا بحاجة إلى السعي في غير المسعى القديم، والآن وفي هذا الزمان هم بحاجة إلى هذه التوسعة.

وقد بلغني أن الصك الذي سبق أن صدر من محكمة مكة اشتمل على إفادة بعض كبار السن الذين رأوا امتداد جبلي الصفا والمروة من الجهة الشرقية، وليس فيه إثبات شهادتهم لأن الثبوت يتطلب إثبات الشهادة وتركيز الشهود، والبلبة التي أشار إليها الشيخ عبد الله المنيع لا تزال باقية حتى يثبت الحكم بامتداد

الجليلين بمقدار الزيادة الجديدة وذلك بأن يصدر بذلك بيان من جهة شرعية عليا هي هيئة كبار العلماء أو اللجنة الدائمة للإفتاء وبذلك تنتهي البلبلة والاضطراب.

وكما أن زمن العبادة وهو دخول شهر رمضان وخروجه ودخول شهر الحج يثبت بيان من مجلس القضاء الأعلى فكذلك مكان العبادة وهو المسعى يكون اطمئنان الناس إلى ثبوته بيان من هيئة كبار العلماء أو اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء.

وقد كتبت لخادم الحرمين الشريفين بتاريخ ٢١/١٢/١٤٢٧هـ، كتاباً على إثر إعادة إنشاء جسر الجمرات، قلت فيه:

(وبعد؛ فإن من فضل الله عز وجل على أهل الحرمين وسائر سكان الجزيرة العربية عموماً وعلى أسرة آل سعود خصوصاً أن مكّن لهذه الأسرة في هذه البلاد بقيادة الرجل الهام والبطل المقدام والليث الضرغام الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود غفر الله له ورحمه، الذي جمع الله به شتات هذه البلاد المتفرقة ووحدتها على يديه باسم المملكة العربية السعودية، وقد لقي الحرمان الشريفان عناية واهتماماً منه ﷺ ومن أبنائه الذين ولوا الأمر من بعده، فالملك عبد العزيز ﷺ حقق الله على يديه هذه المكاسب العظيمة، وهي ولاية هذه الأسرة على الحرمين الشريفين وخدمتهما وتسهيل الحج والعمرة والزيارة لقاصديهما، والملك سعود ﷺ حصل في عهده توسعة المسجدين الشريفين: المسجد الحرام والمسجد النبوي، والملك فيصل ﷺ حصل في عهده توسعة المطاف وإزالة بناء زمزم والبنائات التي على أطراف المطاف مما حصل به تسهيل الطواف حول الكعبة مع كثرة الأعداد التي تفد للحج والعمرة، والملك فهد ﷺ حصل في

عنده توسعة واسعة للمسجد النبوي وزيادة في توسعة المسجد الحرام. وقد جاء في المثل: «كم ترك الأول للآخر»، فقد بقي لكم حفظكم الله أهم شيء وهو: العمل على تخليص الحجاج من شدة الزحام عند الجمرات وفي المطاف وفي المسعى، وقد وفقكم الله في هذا العام الذي أوشك على الانصرام للمبادرة إلى إزالة جسر الجمرات وبنائه من عدة أدوار تحققت الاستفادة في حج هذا العام بما نجز منه، وهو بدروم الخدمات والدور الأرضي والدور الذي فوقة، ومع كون البناء لم يكتمل فإنه لم يذكر شدة زحام في استعمال هذا الذي نجز منه فكيف إذا تم البناء؟!!

وأما المسعى فإن الاقتراح الذي ذكر الشيخ عبد الله بن منيع أنه قدمه لمقامكم الكريم وجيه وهو فصل المسعى في الدور الأرضي إلى دورين والدور الذي فوقة إلى دورين فيكون السعي في هذه الأربعة مع الخامس وهو السطح، وبذلك يتخلص من شدة الزحام إذا أمكن تنفيذ هذا الاقتراح، وإن لم يمكن فإن الحاجة داعية إلى إزالته وإنشائه من جديد من عدة أدوار.

وأما توسعة المطاف فهي أهم شيء ادخره الله لمقامكم الكريم، وذلك بإزالة البناء المقبب ومساواة أرضه بأرض المطاف، وأن يقام عليه دور على شكل دائري على أعمدة متباعدة يطوف الناس عند الزحام بين هذه الأعمدة وفي الدور الذي فوقها، ويكون في نهاية هذا الدور من جهة الكعبة مكان محجوز لسير العربات التي يطاف عليها.

والمأمول من مقامكم الكريم المبادرة إلى تحقيق هذه التوسعة للمطاف والمسعى لتظفروا بالأجر العظيم وشرف تنفيذ هذا العمل الجليل. حفظكم الله ورعاكم ووفقكم لكل خير.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وبعد البدء بالتوسعة الجديدة للمسعى كتبت لخدام الحرمين الشريفين حفظه الله كتاباً بتاريخ ١٤٢٨/٧/٣ هـ، قلت فيه: «والسعي في المسعى الحالي متحقق بكونه بين الصفا والمروة وهو الذي قرره ستة عشر من هيئة كبار العلماء، وأي زيادة عليه من جهة الشرق يحتاج فيها إلى بينة تثبت وقوعها بين جبلي الصفا والمروة يعتمدها مجلس هيئة كبار العلماء وإذا لم توجد بينة معتمدة من مجلس الهيئة فإن البراءة لدمتكم - حفظكم الله - والاطمئنان إلى صحة سعي الساعين بين الصفا والمروة من الحجاج والمعتمرين يكون بالاختصار على المسعى الموجود مع زيادة الأدوار الكافية التي يتخلص بها من الزحام لاسيما وأن كل من يعلم بقرار غالبية هيئة كبار العلماء بعدم جواز الزيادة على المسعى الموجود لا يرى براءة ذمته إلا بالسعي في المسعى الحالي».

أقول: وقرار غالبية هيئة كبار العلماء بعدم الزيادة على المسعى القديم مبني على ما قرره الشيخ محمد بن إبراهيم رحمته الله ومن معه من المشايخ، وقد ذكر الشيخ عبد الرحمن بن سعدي رحمته الله أنه حضر اجتماعات الشيخ محمد بن إبراهيم مع عدد من مشايخ نجد والحجاز في حج عام ١٣٧٥ هـ، وأنهم بحثوا مسائل تتعلق بالمشاعر ومنها توسعة المسعى فقال رحمته الله في رسالة منه للشيخ عبد الله بن عبد العزيز العقيل بتاريخ ١٣٧٥/١٢/٢١ هـ، مثبته ضمن رسائل الشيخ ابن سعدي للشيخ عبد الله بن عقيل المطبوعة بعنوان الأجوبة النافعة عن المسائل الواقعة (ص ٢٩٣) جاء فيها: «وكذلك المسعى منهم من قال إن عرضه لا يحد بأذرع معينة، بل كل ما كان بين الصفا والمروة فإنه داخل في المسعى كما هو ظاهر النصوص من الكتاب والسنة، وكما هو ظاهر فعل الرسول ﷺ وأصحابه

ومن بعدهم، ومنهم من قال يقتصر فيه على الموجود، لا يزداد فيه إلا زيادة يسيرة يعني في عرضه، وهو قول أكثر الحاضرين.

ويظهر من حال الشيخ محمد أن يعمل على قول هؤلاء لأنه لا يجب التشويش واعتراض أحد.

والحاصل أن الاختلاف بين من ينتسب للعلم في توسعة المسعى يبقى معه الاضطراب والبلبل، والفصل في ذلك يكون بصدور فتوى من جهة شرعية عليا هي هيئة كبار العلماء أو اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء مبنية على ثبوت شهادات من كبار السن على أن ما يزداد من جهة الشرق واقع بين جبلي الصفا والمروة، وبذلك ينتهي القيل والقال والأخذ والرد، وأسأل الله عز وجل أن يوفق الجميع لما يرضيه والحمد لله رب العالمين.



كلمة أخرى في توسعة المسعى

(٦/٦/١٤٢٩هـ)

الحمد لله وحده، وصلى الله وسلم وبارك على من لا نبي بعده، نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

وبعد؛ فقد سبق أن كتبت كلمة بعنوان «بهذا يحصل الاطمئنان لصحة السعي بالتوسعة الجديدة للمسعى» ذكرت فيها أن السعي إنما يكون في المسعى القديم وأنه لا يجوز السعي في التوسعة الجديدة إلا إذا ثبت امتداد جبلي الصفا والمروة شرقاً بمقدار هذه التوسعة.

وبعد كتابة هذه الكلمة قامت الصحف بنشر مقالات وتصريحات كثيرة لمن يُعرف ومن لا يُعرف، فلذلك أحبيت التنبيه إلى أمور:

الأول: أن هذه المقالات والتصريحات جمعتها إحدى المجلات، وقد اطلعت على كثير منها، وكلها تأييد لهذه التوسعة، وقليل منها يقول: إنها داخلة بين الجبلين، وكثير منها ليس فيه الإشارة إلى تقييد التوسعة بكونها بين الجبلين، وإذا ثبت بالبينة العادلة أن التوسعة الجديدة داخلة بين جبلي الصفا والمروة فإن السعي فيها صحيح، وإذا لم يثبت فإنه لا يصح؛ لأنه سعي ليس بين الصفا والمروة.

الثاني: جاء في بعض تلك المقالات والتصريحات أنه صدر صك من محكمة مكة يشتمل على شهادة شهود من كبار السن يشهدون بامتداد جبلي الصفا والمروة شرقاً بمقدار هذه التوسعة أو أكثر، وقد اطلعت على صورة الصك وليس فيه إثبات شهادات، بل اشتمل على تدوين إفادات لسبعة مواليدهم بين ١٣٤٩ هـ و ١٣٦١ هـ، أولهم لا يذكر شيئاً عن امتداد الجبلين شرقاً، وثالثهم لا يحدد امتداد المروة شرقاً بالمتراً، وخامسهم لا يعرف شيئاً عن امتداد المروة.

والشهادات المعتبرة هي التي يشتها القاضي بناءً على ثبوت عدالة الشهود، والمشهود به أمر خطير يتعلق بعبادة عظيمة هي ركن من أركان الحج والعمرة، والواجب على كل شاهد ألا يتقدم بشهادة في ذلك إلا بعد تحقيقه وجزمه بمشاهدة امتداد جبلي الصفا والمروة شرقاً بمقدار هذه التوسعة، ومن التساهل البين أن ينوّه بشهادة الشهود في هذا الصك مع عدم تضمنه ثبوت الشهادات بتزكية الشهود، ومع وضوح أن ثلاثة منهم لا يعلمون شيئاً عن امتداد الجبلين أو أحدهما شرقاً أصلاً أو بمقدار التوسعة.

الثالث: جاء في بعض تلك المقالات والتصريحات أن الشيخ عبد الله بن جبرين شاهد امتداد الجبلين شرقاً في أول حجة حجها، والذي نشر عنه في مجلة

الدعوة في عددها الصادر في ٢٦/٣/١٤٢٩ هـ عدم جزمه بمقدار الامتداد، وذلك في قوله (ص ٣٨): «وقد أدركت أصل الصفا في سنة تسع وستين من القرن الماضي ورأيته ممتداً عن حده الذي كان عليه، وإن كنت لا أستطيع تحديد طوله، إلا أنه بلا شك أوسع مما كان عليه لما حدد موضع المسعى»، وقوله (ص ٣٩): «ثم معلوم أيضاً أن الصفا في الأصل يمتد من جهة الشرق، وقد رأيته أنا قبل ستين سنة في أول مرة حججت فيها البيت، رأيته ممتداً إلى مكان لا أحده»، وأما قوله (ص ٣٨): «وإذا كان القصد من السعي ذكر الله تعالى فإنه يجوز السعي بين الجبلين أو ما يقاربهما وما يحاذيهما؛ لحصول المقصود الذي هو ذكر الله تعالى...» ففيه نظر؛ لأن السعي بين ما يقارب الجبلين أو يحاذيهما لا يجوز لأنه ليس سعيًا بين الصفا والمروة الذي أمرنا بفعله، قال شيخ الإسلام ابن تيمية في شرح العمدة (٢/٥٩٩): «لو سعى في مسامطة المسعى وترك السعي بين الصفا والمروة لم يجزه».

الرابع: جاء في بعض تلك المقالات والتصريحات قياس توسعة المسعى على توسعة المسجد، وأن الزيادة في المسجد لها حكم المزيد، فكذا الزيادة في المسعى، وهو قياس غير صحيح؛ لأن المساجد يجوز توسيعها، والزيادة فيها لها حكم المزيد، وأما المسعى فهو مشعر يُتقيد فيه بما كان بين الصفا والمروة ولا تجوز الزيادة عليه، وإذا وُسع المسجد من الجهة الشرقية بمساحات واسعة فهو داخل في المسجد، وما كان منه بين الصفا والمروة فهو مسعى ومسجد.

الخامس: جاء في بعض تلك المقالات والتصريحات قياس توسعة المسعى على توسعة المطاف، وأن المطاف قد وُسع عما كان عليه من قبل، فكذا يوسّع المسعى، فالجواب أن الطواف يجوز داخل المسجد دون خارجه، بخلاف المسعى

فإنه لا يجوز توسعته بمساحة خارجة عن كونها بين الصفا والمروة، قال ابن المنذر في الإجماع (ص ٦٢): «وأجمعوا على أن الطواف لا يجزئه من خارج المسجد»، والقياس الصحيح أن يقال: إن السعي لا يجزئ إذا كان خارجاً عما بين الصفا والمروة، ومع هذا الإجماع فقد قال أحد الكاتبين: إن الطواف يجزئ من خارج المسجد!

السادس: جاء في بعض تلك المقالات والتصريحات أن حكم الحاكم يرفع الخلاف، والجواب أن القاضي إذا حكم على خصم في مسألة مختلف فيها فليس للمحكوم عليه أن يعترض على حكمه لكون المسألة فيها خلاف؛ وذلك لأن حكم الحاكم يرفع الخلاف، وقد قال عليه السلام: «إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران، وإذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر»، رواه البخاري (٧٣٢٥) ومسلم (٤٤٨٧)، وهذا الاجتهاد في المسائل التي هي محل اجتهاد، وأما أماكن العبادة فالواجب التقيد فيها بالأدلة الشرعية، ومنها المسعى فإنه لا مجال فيه للاجتهاد بزيادة فيه تكون خارجة عما بين الصفا والمروة.

السابع: جاء في بعض تلك المقالات والتصريحات أنه بإجراء الحفريات في الجهة الشرقية من المسعى، وُجد التماثل بين الصخور التي تحت الأرض وحجارة الصفا والمروة، والجواب أن المعتبر في مسميات الجبال ما كان بارزاً فوق الأرض؛ لقول الله عز وجل: ﴿وَالِ الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ﴾ ١٩، وقوله: ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رُوسًا مِنْ فَوْقِهَا﴾ ٢٠، وقوله: ﴿وَسْتَلُونَا عَنْ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا﴾ ٢١ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ٢٢ لَا تَبْقَى فِيهَا غَمَمًا وَلَا شَجَرًا ٢٣، ومسميات الجبال يُراد بها كل ما كان بارزاً، سواء في ذلك قممها وسفوحها، فمن جلس على قمة جبل أو سفحه يقال: إنه جالس على الجبل، ومن جلس على أرض مستوية قريبة من الجبل لا يقال: إنه جالس

على الجبل ولو كانت جذور الجبل ممتدة تحت هذه الأرض المستوية.

الثامن: جاء في بعض تلك المقالات والتصريحات تجويز الزيادة في عرض المسعى وأنه أولى من الزيادة العلوية فيه، والجواب أن زيادة الأدوار في العلو في المسعى القديم متحقق كونها بين الصفا والمروة؛ لأن الهواء تابع للقرار، فهو مثله في الحكم، ومن ملك أرضاً فإنه يملك ما يسامتها في الهواء، وأما الزيادة في عرض المسعى فهو مشكوك في تحقق صحة السعي فيها إلا بعد الثبوت الشرعي بكون الزيادة داخلية في حدود ما بين الصفا والمروة.

التاسع: جاء في أكثر تلك المقالات والتصريحات تجويز الزيادة في عرض المسعى إطلاقاً وبغير تقييد؛ لما في ذلك من التيسير ومراعاة المصلحة ودفع الحرج، وأنه يقال في ذلك افعل ولا حرج، والجواب أن التيسير ومراعاة مصالح الناس يجب التقييد فيه بالأدلة الشرعية، ومن ذلك أن يُتقيد في الزيادة في عرض المسعى بما يثبت أنه داخل بين الصفا والمروة دون زيادة على ذلك؛ لأن أماكن العبادة يجب التقييد فيها بالنصوص الدالة عليها، ومما يبين عدم صحة إطلاق الأخذ بقاعدة التيسير ورفع الحرج دون تقيد بالنصوص الشرعية أن المريض يجوز له أن يجمع بين الصلاتين لورود الدليل عليه، ولا يجوز له قصر الصلاة الرباعية مع أن فيه تيسيراً لعدم ورود ما يدل على ذلك.

العاشر: ومن أعجب ما جاء في تلك المقالات قول أحدهم كما في مجلة الدعوة العدد ٢١٤٥ بتاريخ ٢٤/٥/١٤٢٩هـ، (ص ٣٧): «ولو كانت التوسعة على شكل هلال يبدأ بالصفا وينتهي بالمروة لانتهدت المشكلة برمتها! فالساعون الأولون في هذه الحال يسعون في الوسط في خطوط مستقيمة، ثم الذين عن يمين المسعى (شرق) يسعون على شكل هلال، بحيث يبدوون بالصفا

ولو من جانبه الشرقي، ثم يتوجهون إلى المروة على شكل هلال حتى يصلونه (كذا) من الجانب الشرقي، فهذا طواف بهما ولو ابتعدوا عن الوسط ما ابتعدوا بسبب الزحام ما داموا بجانب الأصل، فهم يبدؤون بالوقوف بالصفاء ثم ينتهون عند المروة، وهذا ما أمر الله به!)).

وهذا فقه جديد، ومن أخذ به يكون محروما من السعي بين الصفا والمروة، فإن من سعى من الصفا بادئا من جهته الشرقية ومضى على شكل هلال حتى جاء المروة من الجهة الشرقية لا يكون ساعيا بين الصفا والمروة.

ثم قال هذا الكاتب: «ومما يؤيد هذا أن الطواف حول البيت يتسع على شكل دوائر، ولم يقل أحد من أهل العلم: يجب أن لا يزيد مساحة الطواف عن كذا، وما دام الطواف حول الكعبة فهو طواف، وكذلك ما دام يطوف بالصفاء والمروة فهو طواف ولو ابتعد!)).

وهذا قياس فاسد؛ لأن الطواف بالبيت صحيح بإجماع العلماء ما دام في داخل المسجد سواء كان قريبا من الكعبة أو بعيدا عنها كما مر نقله عن ابن المنذر، وأما السعي فهو مقيد بكونه بين الصفا والمروة، ولا يدخل في البيعة السعي على شكل هلال ولو ابتعد كما زعم!

وأما لمزه بعض من لا يقول بالتوسعة الجديدة بأنه «يرى قبول شهادة الواحد إذا ما شهد بإهلال هلال رمضان، وردَّ تقرير ألف عالم في الفلك يشهدون أن الهلال لم يهَلَّ»، فلا أدري هل فكر هذا الكاتب في معنى هذا الكلام أو لم يفكر؛ فإن مقتضاه الأخذ بكلام الفلكيين وعدم الأخذ بقوله ﷺ: «صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته»! وهل يستساغ هذا ممن وصفته الصحافة بالمدحّث؟! وهذا أيضا من الفقه الجديد!

الحادي عشر: أن من الحاقدين على ولاية الأمر في هذه البلاد وعلمائها من يلغ في أعراضهم ويتناولهم بالذم والتنقص، ومن ذلك وصف هيئة كبار العلماء في هذه البلاد بأنهم يقولون الشيء الذي يريده السلطان، وفي قول غالبية هيئة كبار العلماء بالاختصار على المسعى القديم مع زيادة أدواره وعدم توسعته عرضاً ما يبطل افتراءات الحاقدين المغرضين.

هذا ما أردت التنبيه عليه بعد الوقوف على كثير مما كتب حول توسعة المسعى، ومن أحسن ما وقفت عليه بحث بعنوان «كلمة حق في توسعة المسعى» منشور في الشبكة العالمية للدكتور صالح بن عبد العزيز سندي، وأسأل الله للجميع التوفيق والسداد، وأسأله تعالى أن يجزي خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز على ما بذله من جهود في تيسير أداء الحجاج حجهم في مبادرته إلى إقامة جسر الجمرات، وعلى ما أراده من التيسير في السعي بين الصفا والمروة، والمأمول منه حفظه الله الأمر بزيادة أدوار المسعى القديم ليسعى فيها من لا تطيب نفسه للسعي في التوسعة الجديدة، إذا لم يكن السعي في أدوار المسعى القديم ذهاباً وإياباً، والمأمول منه أيضاً المبادرة إلى توسعة المطاف.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

إضافة أخيرة: وقد بلغني أن لدى المحكمة العامة بمكة المكرمة توجيهاً من خادم الحرمين الملك عبد الله بن عبد العزيز حفظه الله بإثبات شهادات كبار السن ممن يكون عندهم علم بامتداد جبلي الصفا والمروة من الجهة الشرقية، ولم أسمع حتى الآن (شهر شعبان ١٤٣٢هـ) بصدور شيء في ذلك مع أن التأخير في إثبات شهادات هؤلاء الكبار قد يحصل معه وفاتهم

قبل إثبات شهاداتهم.



لا تحديد في الإسلام لبدء سن الزواج ولا لانتهاؤه

(٣/٩/١٤٣٠هـ)

الحمد لله الذي خلق الناس من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساءً، وأكمل أقسام خلق الناس الأربعة بخلق عيسى عليه الصلاة والسلام من أنثى وهو على كل شيء قدير، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له له ملك السموات والأرض يخلق ما يشاء يهب لمن يشاء إناثاً ويهب لمن يشاء الذكور أو يزوجهم ذكراً وإناثاً ويجعل من يشاء عقيماً إنه عليم قدير، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله البشير النذير والسراج المنير، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه وكل من كان على هديه يسير.

وبعد، فإن الزواج سنة المرسلين، وقد أمر الله به في كتابه المبين، قال الله ﷻ: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً﴾، وقال: ﴿فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ لَا تَحْلِفُوا عَلَيْهِمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ﴾، وقال: ﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيْمَىٰ مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾، وقصر النكاح على الزوجات وملك اليمين، ومن تركه رغبة عنه ولو كان انقطاعاً للعبادة فهو مذموم؛ لقوله ﷻ: «فمن رغب عن سنتي فليس مني» رواه البخاري (٥٠٦٣) ومسلم (١٤٠١)، ومن تجاوزه إلى غيره فهو عاد ملوم؛ لقوله تعالى في سورتي المؤمن والماعز: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأُزْوَاجِهِمْ حَافِظُونَ ۝٥﴾، ﴿إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَلَا تَنْهَىٰ عَنْهُنَّ ۝٦﴾، ﴿فَمَنْ أَتَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾، وجاء في السنة المطهرة الترغيب فيه والحث عليه، قال ﷻ: «يا معشر الشباب! من استطاع منكم الباءة فليتزوج؛

فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء»
رواه البخاري (٥٠٦٦) ومسلم (٣٣٩٨).

ولم يأت في الشرع تحديد سن الزواج ابتداءً وانتهاءً، فللرجل أن يتزوج الصغيرة، وله أن يتزوج الكبيرة ولو تباعد ما بينهما في السن، والرجال والنساء يتفاوتون في البلوغ سرعة وتأخرًا، ومن بلغ منهم خمس عشرة سنة فهو بالغ؛ لحديث عبد الله بن عمر رضي الله عنه في عَرَضه للجهاد وهو ابن أربع عشرة سنة فلم يُجزه رسول الله ﷺ وعَرَضه وهو ابن خمس عشرة سنة فأجازه رواه البخاري (٢٦٦٤) ومسلم (٤٨٣٧)، وفي صحيح البخاري عقب الحديث: «قال نافع: فقدمت على عمر بن عبد العزيز وهو خليفة فحدثته هذا الحديث فقال: إن هذا الحدُّ بين الصغير والكبير، وكتب إلى عماله أن يفرضوا لمن بلغ خمس عشرة»، وكذا في صحيح مسلم وزاد: «ومن كان دون ذلك فاجعلوه في العيال»، والمعنى أن بلوغ خمس عشرة سنة علامة ظاهرة للبلوغ والحد بين الصغير والكبير، ولا ينافي ذلك أن يقع حد بين الصغير والكبير قبل ذلك بعلامات خفيه، وهي الاحتلام ونبات شعر خشن حول القبل والحيض كما سيأتي، ومن كان دون الخامسة عشرة ونبت له شعر خشن حول قبله فهو بالغ؛ لحديث قصة بني قريظة والتفريق بنبات الشعر بين البالغ وغيره رواه أبو داود (٤٤٠٤) بإسناد صحيح على شرط الشيخين، وكذا من حصل له الاحتلام قبل هذه السن فهو بالغ، قال الحافظ ابن حجر في الفتح (٢٧٧/٥): «وقد أجمع العلماء على أن الاحتلام في الرجال والنساء يلزم به العبادات والحدود وسائر الأحكام، وهو إنزال الماء الدافق سواء كان بجماع أو غيره سواء كان في اليقظة أو المنام، وأجمعوا على أن لا أثر للجماع في المنام إلا مع الإنزال»، وتزيد المرأة علامة رابعة للبلوغ وهي الحيض؛ لقوله ﷺ: «لا يقبل الله صلاة حائض إلا بخمار» رواه أبو داود (٦٤١) بإسناد صحيح على

شرط مسلم، قال الحافظ ابن حجر رحمته الله في الفتح (٢٧٧/٥): «وقد أجمع العلماء على أن الحيض بلوغ في حق النساء»، ومن أمثلة حصول البلوغ المبكر بالاحتلام والحيض ما أورده البخاري في صحيحه قبل حديث (٢٦٦٤) عن المغيرة بن مقسم الضبي قال: «احتلمت وأنا ابن اثنتي عشرة سنة» قال الحافظ في شرحه: «جاء مثله عن عمرو بن العاص، فإنهم ذكروا أنه لم يكن بينه وبين ابنه عبد الله بن عمرو في السن سوى اثنتي عشرة سنة»، وقال البخاري أيضاً: «وقال الحسن بن صالح: أدركت جارةً لنا جدةً بنت إحدى وعشرين سنة»، وقال الحافظ في شرحه: «وقد ذكر الشافعي أيضاً أنه رأى جدةً بنت إحدى وعشرين سنة وأنها حاضت لاستكمال تسع ووضعت بنتاً لاستكمال عشر ووقع لبنتها مثل ذلك»، وقد بلغني عن بعض من أعرفهم أن من بناتهم من حصل لهن الحيض وهن في مرحلة الدراسة الابتدائية لم يتجاوزن سن الثانية عشرة، ومنهم من ذهب بهن لأداء فريضة الحج.

وقد دل كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وإجماع أهل العلم على جواز نكاح الكبير الصغيرة ولو كانت دون سن البلوغ، أو بلغت وتباعد ما بينهما في السن، ومن ذلك:

(١): قول الله ﻋَﻠَﻴْﻚَ ﷻ وَالَّتِي يَسْنُ مِنَ الْمَحْضِ مِنْ سَائِكُرٍ إِنْ أَزْنَبَتْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَالَّتِي لَمْ يَحْضَنْ، أي فعدتهن ثلاثة أشهر — وهذا من أمثلة حذف المبتدأ والخبر لدلالة السياق عليه — ففي الآية الكريمة أن المرأة التي لم تحض إذا طُلقَت فعدتها ثلاثة أشهر، وهي دلالة واضحة على جواز تزويج البنت الصغيرة قبل حصول حيضها.

(٢): وقوله تعالى: ﻋَﺴَى رُبُّهُ إِنْ طَلَّقَكَ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكَ مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَعْلَمْنَ عِدَّتَ سِتْرَتِ تَيْبَتٍ وَأَبْكَارًا، فقد دلت الآية على أن من صفات النساء اللاتي يجعلهن

الله بدلاً من أزواجه إن طلقهن الشيات والأبكار، وهو دليل على زواج الكبير بالصغيرة.

(٣): قوله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ﴾ الآية، وقوله تعالى: ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ ۚ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتِمَى النِّسَاءِ الَّتِي لَا تُوْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَرَغِبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ﴾، روى البخاري في صحيحه (٤٥٧٤) عن عروة: «أنه سأل عائشة عن قول الله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ﴾، فقالت: يا ابن أخي! هذه اليتيمة تكون في حجر وليها تشركه في ماله ويعجبه ماله وجمالها، فيريد وليها أن يتزوجها بغير أن يقسط في صداقتها، فيعطيها مثل ما يعطيها غيره، فنهوا عن ذلك إلا أن يقسطوا لها ويبلغوا لها أعلى سنتهن في الصداق، فأمرنا أن ينكحوا ما طاب لهم من النساء سواهن، قال عروة: قالت عائشة: وأن الناس استفتوا رسول الله ﷺ بعد هذه الآية فأنزل الله: ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ﴾ الحديث، وفي ذلك دلالة على أن ولي اليتيمة إذا أقسط لها في صداقتها وأعطاه ما تستحقه كمثيلاً لها جاز له زواجها، واليتيمة هي التي لم تبلغ، قال في القاموس المحيط: «وهو يتيم ویتمان: ما لم يبلغ الحلم».

(٤): حديث عائشة ؓ: «أن النبي ﷺ تزوجها وهي بنت ست سنين، وأدخلت عليه وهي بنت تسع، ومكثت عنده تسعاً» رواه البخاري (٥١٣٣) ومسلم (٣٤٧٩)، ولا يقال إن هذا من خصائصه ﷺ؛ لأن الأصل عدم الخصوصية، بل يدل لعموم الحكم الإطلاق في آية سورة الطلاق المتقدمة.

(٥): حديث جابر ؓ في قصة زواجه بعد وفاة أبيه وقد قال رسول الله ﷺ: «هل تزوجت بكراً أم ثيباً؟ فقلت: تزوجت ثيباً، فقال: هلا تزوجت بكراً تلاعبها وتلاعبك؟ فقلت: يا رسول الله! توفي والدي أو استشهد ولي أخوات صغار فكرهت أن أتزوج مثلهن فلا تؤدبهن ولا تقوم عليهن، فتزوجت ثيباً

لتقوم عليهن وتؤدبهن» رواه البخاري (٢٩٦٧) ومسلم (٣٦٣٦)، ففي الحديث تنبيه النبي ﷺ جابراً إلى أولوية زواجه من بكر، لكنه ﷺ لم يكن فعل ذلك إثارة لمصلحة أخواته على مصلحته.

(٦): أثر عمر ﷺ في عرضه ابنته حفصة على أبي بكر وعثمان ﷺ وهما أكبر منه سناً، رواه البخاري (٥١٢٢).

(٧): قول عثمان بن عفان ﷺ في زمان خلافته لعبد الله بن مسعود ﷺ: «هل لك - يا أبا عبد الرحمن - في أن نزوجك بكراً تذكرك ما كنت تعهد؟» رواه البخاري (٥٠٦٥) ومسلم (٣٣٩٨)، ففيه عرض عثمان على ابن مسعود - وهو كبير - الزواج من بكر تذكّره ما كان يعهد في شبابه.

(٨): زواج عمر ﷺ بأم كلثوم بنت علي من فاطمة ﷺ رغبة في مصاهرة أهل بيت رسول الله ﷺ وهو أكبر من أبيها بسنين كثيرة، وقد كان عمره عام الهجرة أربعين سنة، وزواج علي بفاطمة إنما كان بعد الهجرة.

وأما الإجماع على تزويج الأب ابنته الصغيرة فقد حكاها جماعة من العلماء، قال محمد بن نصر المروزي في اختلاف الفقهاء (ص ١٢٥): «وأجمع أهل العلم على أن نكاح الأب جائز على ابنه وابنته الصغيرين، ولا خيار لهما إذا أدركا»، وقال ابن المنذر في الإجماع (ص ٩١): «وأجمعوا أن نكاح الأب ابنته الصغيرة جائز إذا زوّجها بكفء»، وقال النووي في شرح مسلم (٢٠٦/٩): «وأجمع المسلمون على جواز تزويجه بنته الصغيرة لهذا الحديث» يعني حديث زواج الرسول ﷺ بعائشة ﷺ، وحكاها أيضاً ابن رشد في بداية المجتهد (٦/٢) وابن قدامة في المغني (٣٩٨/٩) وغيرهما.

وكما دلت الأدلة المتقدمة على جواز نكاح الكبير الصغيرة ولو كانت دون سن البلوغ أو بلغت وتباعد ما بينهما في السن، فإنه الذي عليه عمل الناس قديماً

وحديثاً، ومن أمثلة ذلك في عصرنا أن شيخ مشايخنا الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ رحمته الله مفتي المملكة العربية السعودية ورئيس قضاتها في زمانه تزوج وهو في كبره اثنتين من الأبنكار إحداهما بعد الأخرى، وقد مات عن الثانية منهما، وتزوج شيخنا الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز رحمه وهو كهل في سن الإمام الشافعي رحمته الله زوجته الثانية، وولدت له ابنتين وثلاث بنات، وفي ترجمة الشيخ فوزان السابق رحمته الله في الأعلام للزركلي (١٦٢/٥) أنه كان معتمداً للملك عبد العزيز رحمته الله في دمشق ثم في القاهرة، وأنه رزق بابن وهو في نحو الثمانين من عمره فأبرق له الملك عبد العزيز رحمته الله: «سبحان من يحيي العظام وهي رميم!»، وأنه وُلد سنة ١٢٧٥ هـ، وتوفي سنة ١٣٧٣ هـ، وعلى هذا فعمره ثمانية وتسعون عاماً والسنة التي توفي فيها هي السنة التي توفي فيها الملك عبد العزيز رحمته الله، وفي برقية الملك عبد العزيز له مداعبة لطيفة، وقد حصل للملك عبد العزيز قريب من هذا؛ فقد ولد له آخر أبنائه وهو في سن الرابعة والسبعين رحمته الله، ومن المعلوم أن النساء يلدن قبل انقطاع الحيض عنهن، وانقطاع الحيض عنهن في الغالب عند بلوغ خمسين سنة.

وفي تحديد سن الزواج بحدٍّ لا تزوج الفتاة إلا بعد بلوغه كما حصل في بعض البلاد خارج المملكة محاذير، منها:

(١)- أن فيه تفويت الكفاء الخاطب على المخطوبة.

(٢)- أن فيه تعريضاً للوقوع في الكذب والتحايل على السلامة من هذا التقييد غير المشروع، وقد بلغني أن رجلاً خطب فتاة سنّه أضعاف سنّها، فعمل أهلها على استخراج بطاقة لها لم يكن فيها بينهما في السن سوى عقد واحد، وقد تزوجها وأنجبت منه.

(٣)- أن فيه تقييداً لما أطلقه الله في آية سورة الطلاق وتضييقاً لما وسعه الله،

ولا يقال: إن مثل ذلك التقييد تنظيم في أمر مباح؛ فإن الزواج بأكثر من زوجة واحدة مثل ذلك، وليس لأحد أن يصدر تنظيماً يمنع من ذلك أو يمنع من الزواج بالثانية أو الثالثة أو الرابعة؛ لأن في ذلك اعتراضاً على شرع الله وليس مع الذين ينادون بما زعموه تنظيماً إلا وجود بعض حالات شاذة من زواج الصغيرات لم يحالفها التوفيق وانتهت بالطلاق مع أن الزواج بالصغيرات قليل، فلا تتخذ ذريعة إلى المنع من زواج الصغيرات، فإن فشل النكاح يوجد بكثرة في نكاح غير الصغيرات.

وأما زواج الرجل ممن هي أكبر منه في السن فيدل له زواج رسول الله ﷺ بخديجة ؓ؛ لأنه تزوجها وهو في الخامسة والعشرين من عمره وهي في الأربعين من عمرها، وولدت له أولاده كلهم إلا إبراهيم، ويدل له أيضاً أمره ﷺ فاطمة بنت قيس بعد أن طلقها زوجها أبو حفص بن المغيرة آخر تطليقة لها أن تنكح أسامة بن زيد ؓ - وهو دون العشرين من عمره - كما في صحيح مسلم (٣٧٠٢) (٣٧٠٤).

ولا عبرة بكون زواج الكبير من الصغيرة الذي دل عليه الكتاب والسنة والإجماع لا يروق لهيئة حقوق الإنسان الأمية التي تستند إلى ديمقراطية الغرب الزائفة ولا لمن قلدها تقليداً أعمى؛ لأن المسلمين يستندون في أحكام دينهم إلى كتاب ربهم وسنة نبيهم ﷺ، وأما ديمقراطية الغرب فهي تستند إلى اتباع الأهواء، والمسلمون مأمورون باتباع الكتاب والسنة ومنهين عن اتباع الأهواء، قال الله ﷻ: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ۚ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ۚ﴾ وقال: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۚ قُلْ إِنَّ هُدَىٰ اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ ۚ وَلَئِنَّ آتِيعَتَ أَهْوَاءِهِمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ ۚ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ۚ﴾ وقال: ﴿وَلَئِنْ أَتَبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ ۖ إِنَّكَ إِذًا لَّيِنٌ

الظالمين ﴿﴾، وقال: ﴿فَأَحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ﴾، وقال: ﴿وَأِنْ أَحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾، وقال: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ﴾، وقال: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يُرِيدُونَكُمْ عَلَىٰ آغْفَاكُمْ فَتَنَقُّبُوا خَسِرِينَ ﴿١٢٩﴾﴾ بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ ﴿﴾.

وقد كتبت رسالة بعنوان: «العدل في شريعة الإسلام وليس في الديمقراطية المزعومة» طُبعت مفردة عام ١٤٢٦هـ، وطُبعت ضمن مجموعة كتبي ورسائلي (٣٧٧-٣٢٩/٦) عام ١٤٢٨هـ، أوردت فيها مبحثاً بعنوان: «شمول عدل الإسلام حقوق الإنسان»، قلت في آخره: «ومع سبق الإسلام إلى بيان حقوق الإنسان وغيرها حتى حقوق الحيوان، فقد وُجد في هذا الزمان ممن لهم صولة وجولة من يتشدقون بتبني حقوق الإنسان والدِّفاع عنها، وكأنَّ ذلك من منجزات هذا العصر، وقد نصَّبوا أنفسهم للدِّفاع عن هذه الحقوق ولكن على حسب أهوائهم، فيُهدرون ما يشاؤون إهداره من تلك الحقوق، ويُدافعون بزعمهم عمَّا يشاؤون الدفاع عنه منها، وهكذا يفعل القويُّ مع الضعيف، والمتسلِّطُ مع من يتسلَّط عليه، وما وضعوه من حقوق للإنسان فهو ناقص لنقصهم، وما جاءت به الشريعة من حقوق الإنسان فهو كامل وافٍ لكمال الشريعة ووفائها بكلِّ ما يحتاجه الناس؛ لأنَّها تنزيل من الحكيم العليم.».

وَأَسْأَلُ اللَّهَ ﷻ أَنْ يوفق المسلمين للتمسك بكتاب ربهم وسنة نبيهم ﷺ والسلامة من الأهواء المضلة ومن كل ما يعود عليهم ضرره في الدنيا والآخرة وأن يحفظ على بلاد الحرمين أمنها وإيمانها وسلامتها وإسلامها، وأن يوفقها حكومةً وشعباً لما فيه السعادة في الدنيا والآخرة، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

كلمة أخرى حول منع الإسلام تحديد سن الزواج

(١٥/٢/١٤٣١هـ)

الحمد لله ، وصلى الله وسلم وبارك على رسوله الله، وعلى آله وصحبه
ومن والاه.

أما بعد، فقد سبق أن كتبت كلمة بعنوان: «لا تحديد في الإسلام لبدء سن الزواج ولا لانتهاؤه» نُشرت في ٣/٩/١٤٣٠هـ، ومما قلت فيها: ولم يأت في الشرع تحديد سن الزواج ابتداءً وانتهاءً، فللرجل أن يتزوج الصغيرة، وله أن يتزوج الكبيرة ولو تباعد ما بينهما في السن، والرجال والنساء يتفاوتون في البلوغ سرعةً وتأخرًا، وذكرت أن البلوغ بالسنين يكون بخمس عشرة سنة وأنه العلامة الواضحة للحد الفاصل بين الصغير والكبير من الرجال والنساء، وأنه قد يحصل البلوغ قبله بعلامات خفية كالاحتلام ونبات شعر خشن حول القبل والحيض، وأن من حصل له شيء من ذلك قبل سن الخامسة عشرة فهو بالغ، وذكرت الأدلة على ذلك، وذكرت أنه قد دل كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وإجماع أهل العلم على جواز نكاح الكبير الصغيرة ولو كانت دون سن البلوغ أو بلغت وتباعد ما بينهما في السن، ثم ذكرت هذه الأدلة وهي ثلاث آيات من كتاب الله وحديثان من سنة رسول الله ﷺ وأثران عن عمر وأثر عن عثمان رضي الله عنهما، ونقلت حكاية إجماع أهل العلم على ذلك عن محمد بن نصر المروزي وابن المنذر والنووي، وذكرت بعض المحاذير التي تترتب على منع الزواج بالصغيرة، وذكرت أنه ليس مع الذين ينادون بما زعموه تنظيمًا بتحديد سن الزواج إلا وجود بعض حالات شاذة من زواج الصغيرات لم يحالفها التوفيق وانتهت

بالطلاق مع أن الزواج بالصغيرات قليل، فلا تتخذ ذريعة إلى المنع من زواج الصغيرات؛ فإن فشل النكاح يوجد بكثرة في نكاح غير الصغيرات، ومثل ذلك ما ذكر من علة عليلة وهي أن بعض مدمني المخدرات يقدمون على تزويج بناتهم الصغيرات ليحصلوا بشيء من مهورهن على المخدرات، فلا يجوز الإقدام على تبديل أو تعديل ما دل عليه الكتاب والسنة والإجماع من عدم تحديد سن الزواج، بل الواجب الاستسلام والانقياد لما دلت عليه الأدلة دون اعتراض عليها أو تقييد لها، كما قال الله ﷻ: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَىٰ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا﴾، وقال: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾، وقال: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾، وقال: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشِ اللَّهَ وَيَتَّقْهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾.

وقد كتبت الكلمة السابقة بناء على ما نُشر في بعض الصحف أن هيئة حقوق الإنسان في المملكة بالتنسيق مع وزارة العدل بصدد وضع تنظيم لتحديد سن الزواج، وقد بلغني أن هيئة حقوق الإنسان بالمملكة مازالت تسعى إلى تحديد سن الزواج وهو استمرار في السعي للوصول إلى أمر منكر، والواجب أن يكون عمل الهيئة متجهاً إلى تصدير النور والهدى الذي جاء به الإسلام في حقوق الإنسان، لا أن تستورد الظلام والعمى؛ لأن عدم تحديد سن الزواج دل عليه الكتاب والسنة والإجماع، والتحديد فيه مخالفة لتلك الأدلة وهو من محدثات القرن الرابع عشر الهجري، وقد جاء في قرار هيئة كبار العلماء رقم (١٧٩) وتاريخ ٢٣/٣/١٤١٥هـ إنكار هذا التحديد، وكذا للجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء رقم (١٨٧٣٤)،

وقد وصف شيخنا الشيخ عبد العزيز بن باز رحمته الله من رأى تحديد السن في الزواج بأنه ظلم نفسه وشرع للناس ما لم يأذن به الله، جاء ذلك في كلمة له بمناسبة ما نشرته صحيفة الرياض برقم (٤٩٧٤) عن مشروع قانون الأحوال الشخصية في الإمارات، وفيه: «بالنسبة لعقود الزواج يشترط مشروع القانون ألا يقلَّ عمر الفتى عن ثمانية عشر عاماً وعمر الفتاة عن ستة عشر عاماً... كما لا يجوز بالنسبة لمن تجاوز الستين عاماً عقد زواج إلا بإذن المحكمة، خاصة عندما يكون فارق السن بين الطرفين يتجاوز نصف عمر الأكبر منهما»، قال الشيخ رحمته الله كما في مجموع فتاواه (١٢٦/٤): «لما كان ذلك يخالف ما شرعه الله جل وعلا أحببت التنبيه لبيان الحق، فالسن في الزواج لم يقيّد بحد معين لا في الكبر ولا في الصغر، والكتاب والسنة يدلان على ذلك؛ لأن فيهما الحث على الزواج والترغيب فيه من دون تقييد بسن معينة» ثم ذكر بعض الأدلة من الكتاب والسنة على عدم التحديد وقال: «فليس لأحد أن يشرع غير ما شرعه الله ورسوله ولا أن يغير ما شرعه الله ورسوله، لأن فيه الكفاية، ومن رأى خلاف ذلك فقد ظلم نفسه وشرع للناس ما لم يأذن به الله، وقد قال عز وجل ذاماً لهذا الصنف من الناس: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ﴾ الآية، وقال رحمته الله: (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد) متفق عليه، وفي رواية مسلم: (من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد) وعلقه البخاري في الصحيح جازماً به...»، والأخذ بتحديد سن الزواج الذي يستورد كما أن فيه المعصية لله لمخالفة الكتاب والسنة والإجماع، فهو أيضاً لا يكفي الغريين لا هو ولا غيره من سفور النساء واختلاطهن بالرجال وغير ذلك، ولا يكفيهم إلا شيء واحد أخبر الله عنه بقوله: ﴿وَلَنْ رَضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصْرَىٰ حَتَّىٰ

تَتَّبِعْ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَلَئِنْ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٠٠﴾ وقد قال الله عز وجل: ﴿قُلْ إِنَّ الْهُدَىٰ هُدَى اللَّهِ﴾، وقال: ﴿فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ﴾.

وإن تحقق لهيئة حقوق الإنسان ما سعت إليه من إصدار تنظيم بتحديد سن الزواج فهو إساءة منها إلى خادم الحرمين الملك عبد الله بن عبد العزيز حفظه الله لإحداثها هذا الأمر المنكر في عهده، والواجب عليها ترك هذا السعي غير الحميد لتسلم من أن تكون مفتاحاً للشر ويسلم خادم الحرمين من الإساءة إليه.

وأسأل الله عز وجل أن يوفق خادم الحرمين الشريفين وحكومته ورعيته إلى كل ما تحمد عاقبته في الدنيا والآخرة، والسلامة من كل ما يعود ضرره على الجميع في العاجل والآجل، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.



تنزيه ذكر الله ودعائه عن غناء المغنين

(١٤٣٠ / ٨ / ٥هـ)

الحمد لله، وصلى الله وسلم وبارك على رسول الله، نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه.

وبعد، فإن ذكر الله ودعائه وتعظيمه وتمجيده والثناء عليه من أجل القربات وأفضل الطاعات، وهو من أيسر ما يكون على الإنسان؛ لأن اللسان متحرك ولا بد، وتحريكه بذكر الله ودعائه فيه حفظ اللسان مما لا ينبغي وشغله بما تعود فائدته وثمرته على المسلم في دنياه وأخراه، وقد جاء في القرآن الكريم والسنة الصحيحة الحث عليه والترغيب فيه، قال الله ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا

كثيراً ﴿١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٢﴾، وقال: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾، وختم الصفات العشر التي أَعَدَّ اللهُ لأهلها المغفرة والأجر العظيم بقوله: ﴿وَالذِّكْرُ لِلَّهِ كَثِيرًا وَالذِّكْرُ لِلَّهِ﴾، وقال ﷺ: «كلمتان حبيبتان إلى الرحمن، خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم» رواه البخاري (٧٥٦٣) ومسلم (٦٨٤٦)، وقال ﷺ: «مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر ربه مثل الحي والميت» رواه البخاري (٦٤٠٧) عن أبي موسى رضي الله عنه، ورواه مسلم (١٨٢٣) بلفظ: «مثل البيت الذي يُذكر الله فيه والبيت الذي لا يُذكر الله فيه مثل الحي والميت»، وقال ﷺ: «ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها في درجاتكم وخير لكم من إنفاق الذهب والورق، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم؟ قالوا: بلى، قال: ذكر الله تعالى» رواه الترمذي (٣٣٧٧) وغيره بإسناد صحيح، وروى الترمذي (٣٣٧٥) وغيره بإسناد صحيح عن عبد الله بن بسر رضي الله عنه: «أن رجلاً قال: يا رسول الله! إن شرائع الإسلام قد كثرت علي فأخبرني بشيء أتشبث به، قال: لا يزال لسانك رطباً من ذكر الله»، والمراد بالشرائع النوافل؛ لأن الفرائض يجب على كل مسلم الأخذ بها، وذكر الله ودعاؤه يكون سراً وجهراً خوفاً وطمعاً بحضور قلب، ولا يكون بغناء المغنين، وأما ما نشر في صحيفة المدينة الصادرة في ١٢/٥/١٤٣٠هـ - ملحق الرسالة - من تنويه وإشادة بما جرى بين الشيخ عائض القرني وأحد المغنين من اتفاق على أن يغني له قصيدته «الواحد الأحد» فما كان ينبغي ذلك، وكان ينبغي له الاكتفاء بإنشادها على الوجه المعروف عند المسلمين منذ زمن النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم، وأما الغناء بما فيه ذكر الله مع التلحين والتطريب والتمثيل والاهتزاز والإتيان بما فيه عشق الأصوات والطرب لها كما هو شأن المغنين فهو من الأمور الحادثة سواء صحبه آلات عزف أو كان

بدونها، وفيه من المحاذير ما يلي:

- ١- أن الغناء بذكر الله على طريقة المغنين لا يسلم من الامتهان له.
- ٢- ما فيه من اتجاه من لا يسمع الأغاني إلى سماع هذا النوع من الأغاني، فيسهل عليه أمر الغناء وسماعه بإطلاق.
- ٣- أن يؤول الأمر إلى تسمية هذا النوع أغاني إسلامية كما وُصفت من قبل بعض الأناشيد التي فتن بها كثير من الشباب بأنها أناشيد إسلامية!
- ٤- أن هذا العمل ليس من الجد بذكر الله، بل هو من لهُو الحديث وأشبه ما يكون بالهزل فيه.
- ٥- أن الدعوة إلى الله لا تكون بالغناء والطرب له، وإنما تكون بنور الوحيين وهو ما كان عليه سلف الأمة.
- ٦- ما جاء في خبر الصحيفة من رصد مليون ريال جائزة لمن يأتي بقصيدة تجاري قصيدة «الواحد الأحد»، إن كان المقصود من هذه القصيدة المجارية لتلك القصيدة تقديمها للمغنين للغناء بها فيكون ذلك من قبيل اتباع سنة غير حسنة، وأما ما جاء في الخبر من وصف رصد مبلغ مليون ريال جائزة مخصصة لمجارة قصيدة «الواحد الأحد» بأنها الجائزة التي تُرصد لأول مرة في تاريخ البشرية للثناء على الباري سبحانه وتعالى فهي مبالغ فيها، ومن الناس أحاط بتاريخ البشرية ليظهر له خلوه من ذلك؟
- ٧- مرّ في الحديث: «مثل البيت الذي يُذكر الله فيه والبيت الذي لا يُذكر الله فيه مثل الحي والميت» فمن أي البيتين يكون البيت الذي يُسمع فيه الغناء بقصيدة «الواحد الأحد» إن تم الغناء بها؟! وعسى ألا يتم.
- ٨- أن غناء المغنين بما فيه ذكر الله والتطريب به وهو من أمراض الشهوات

شبيه بغناء الصوفية بالذكر وسماهم الذي هو من أمراض الشبهات، وهما جميعاً من الباطل ومجانبان للصواب.

والمأمول من الشيخ عائض عدوله – إن لم يكن عدل من قبل – عن هذه الفكرة التي عرضت له عند التقائه بالمغني اتفاقاً في رحلة في الطائفة؛ ليسلم من سنّ سنة سيئة يكون عليه إثمها وأثم من عمل بها من بعده، وأن يكون منهجه ومنهج غيره من الدعاة في الدعوة إلى الله موافقاً لما كان عليه سلف الأمة، وكان عليه عند هذا اللقاء العارض في الطائفة أن ينصح هذا المغني بترك الغناء والابتعاد عنه، وعلى هذا المغني وغيره من المغنين ترك ما هم عليه من الغناء الذي لا يفيدهم في قبورهم شيئاً، ويُخشى عليهم من آثاره السيئة وقد قال ﷺ: «حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات» رواه مسلم (٢٨٢٢) عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

وأسأل الله ﷻ أن يصلح أحوال المسلمين ويهديهم سبل السلام وأن يرينا جميعاً الحق حقاً ويوفقنا لاتباعه، والباطل باطلاً ويوفقنا لاجتنابه، إنه سميع مجيب.

وصلّى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.



من ذكرياتي عن الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة بعد مرور نصف قرن على إنشائها

(٢٠/٦/١٤٣١هـ)

الحمد لله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد، فهذه فقرات في ذكرياتي عن الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة بعد مرور نصف قرن على إنشائها:

(١)- بدأ عملي الوظيفي في ١٣/٥/١٣٧٩هـ بتعييني مدرساً في معهد بريدة العلمي، وكنت في تلك السنة في السنة النهائية من كلية الشريعة بالرياض، وقد اختارت إدارة الكليات والمعاهد العلمية التي سميت فيما بعد: «جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية» بعض الطلاب للتدريس قبل التخرج للحاجة إلى ذلك مع إعطائهم الراتب الذي يعطاه المتخرج وقدره ٩٧٥ ريالاً، وأظن هذا راتب المرتبة الخامسة من سلم الرواتب.

(٢)- في نهاية العام الدراسي عدت إلى الرياض لأداء الاختبار، فكنت الأول بحمد الله على دفعتي البالغ عددهم ٨٠ خريجاً، وقد وافقت على العمل في التدريس قبل التخرج أملاً في السلامة من الترشيح للقضاء بعد التخرج، ولكن بعد خروج النتائج طُلب حضوري وعدد من زملائي إلى مقر رئاسة القضاة، وكان ذلك قبل إنشاء وزارة العدل، وأُخبرنا باختيارنا للعمل في القضاء وأن عملي مساعد رئيس محكمة الدمام، فذهبت في الحال وحدي إلى سمحة الشيخ محمد بن إبراهيم رئيس القضاة رحمته الله وطلبت إعفائي من القضاء، وأني عملت في التدريس العام الماضي وأرغب في الاستمرار فيه، فوعدني بالنظر في ذلك وأن أراجعته بعد يومين، ولما راجعته أخبرني بموافقته على الإعفاء من القضاء على أن أعمل مدرساً في الجامعة الإسلامية في المدينة عند افتتاحها في العام القادم، فأجبت أنني على استعداد تام لهذا العمل، ولما لم تفتح الجامعة في عام (١٣٨٠هـ) أسند إلي التدريس في معهد الرياض العلمي إلى حين افتتاحها.

(٣)- كُلِّف الشيخ محمد بن ناصر العبودي مدير معهد بريدة العلمي في عام ١٣٨٠هـ بعمل الأمين العام للجامعة وجاء إلى الرياض لمراجعة الجهات المختصة

إعداداً لافتتاحها، وقد تردد في ذلك العام أن يتولى إدارة الجامعة الشيخ محمد الحركان أو الشيخ عبد الله خياط رحمهما الله، وقد ذكر الشيخ عبد الله خياط رحمته الله في كتابه «لمحات من الماضي» (ص ٢٣٥ - ٢٣٦) صدور الموافقة السامية برقم (٤٦٤٩) في ٣٠/٣/١٣٨٠ هـ باختياره لرئاسة الجامعة الإسلامية وكان ذلك بترشيح الشيخ محمد بن إبراهيم رحمته الله، وذكر اعتذاره عن ذلك، وما جرى بينه وبين الشيخ محمد بن إبراهيم وغيره من مكاتبة حتى تم إعفاؤه.

وفي أوائل عام ١٣٨١ هـ عيّن شيخنا الشيخ عبد العزيز بن باز رحمته الله نائباً لرئيس الجامعة وهو المباشر لأعمالها، ورئيسها الشيخ محمد بن إبراهيم رحمته الله وكان يرجع إليه في بعض الأمور، وقد حضر إلى المدينة مرة لرئاسة المجلس الأعلى الاستشاري لها، وبعد وفاة الشيخ محمد بن إبراهيم سنة ١٣٨٩ هـ عيّن رئيساً للجامعة واستمر فيها إلى أن عيّن سنة ١٣٩٥ هـ رئيساً لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، وكانت مدة إدارته للجامعة أربع عشرة سنة. (٤) - تم تأسيس الجامعة في عام ١٣٨١ هـ بأمر من الملك سعود رحمته الله، وقد خصص لها في ذلك العام ميزانية قدرها ثلاثة ملايين ريال، وكان تأسيسها في المدينة لاستقدام أبناء المسلمين لتدريسهم وتفقيهم في دينهم ليعودوا إلى بلادهم بعد تخرجهم دعاة إلى الحق والهدى، كما قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَتِ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾.

(٥) - لأهمية الجامعة عند الدولة كانت مؤسسة مستقلة مرتبطة برئاسة مجلس الوزراء، واستمرت على ذلك إلى أكثر من عشرين سنة عندما صدر نظام موحد للجامعات فصارت كغيرها من الجامعات تابعة لوزارة التعليم العالي، وفي نظامها الذي صدر في عام ١٣٨٦ هـ: «(جلالة الملك هو الرئيس الأعلى للجامعة)»، وفي

نظامها الذي صدر في عام ١٣٩٥هـ: «يتم اختيار الرئيس الأعلى للجامعة بأمر ملكي»، وبناء على ذلك أصدر الملك خالد رحمه الله أمراً بتعيين صاحب السمو الملكي الأمير فهد بن عبد العزيز ولي العهد ونائب رئيس مجلس الوزراء رحمه الله رئيساً أعلى للجامعة، وكان يحضر للمدينة أحياناً لرئاسة المجلس الأعلى وينيب عنه في حال عدم حضوره سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله، وفي هذا النظام يشارك في عضوية المجلس الأعلى عشرة أعضاء من خارج المملكة يمثلون مختلف المناطق الإسلامية، ويصدر أمر ملكي بتعيينهم لمدة ثلاث سنوات قابلة للتجديد بناء على اقتراح رئيس الجامعة.

(٦)- كان في الجامعة عام افتتاحها كلية واحدة هي كلية الشريعة ومعهد ثانوي، وقد بدأت الدراسة فيها في يوم الأحد الموافق الثاني من جمادى الآخرة عام ١٣٨١هـ، وكان عدد طلاب الكلية خمسة وثمانين طالباً وطلاب المعهد الثانوي مائة وواحداً وسبعين طالباً.

(٧)- وصلت إلى المدينة في ٢٩ / ٤ / ١٣٨١هـ وعيّنت مدرساً في الجامعة في المرتبة الثالثة راتبها ١٤٠٠ ريال، وكان سلّم الرواتب آنذاك عكس السلم في الوقت الحاضر كلما قل رقم المرتبة كثر راتبها، وكنت بحمد الله أول من ألقى درساً في كلية الشريعة في اليوم الذي بدأت فيه الدراسة، ومن الذين درّسوا فيها عام افتتاحها شيخنا الشيخ محمد الأمين الشنقيطي والشيخ عطية محمد سالم رحمهما الله.

وكم كان فرحي عظيماً عندما سمعت بتعيين الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله في إدارة الجامعة؛ إذ يسر الله لي صحبة هذا الرجل الفاضل العظيم أربعة عشر عاماً، وقد اختارني رحمه الله عضواً في مجلس الجامعة طيلة هذه المدة.

(٨)- زار الملك فيصل رحمه الله الجامعة ثلاث مرات، الأولى في عام ١٣٨٢هـ،

والأخيرة في مطلع عام ١٣٩٣هـ، وكان في زيارته يزور بعض الفصول الدراسية، وقد حضر لي في الزيارة الأولى درساً في مادة التوحيد، وفي الأخيرة درساً في مادة الفقه، والزيارة الثالثة في عام ١٣٨٤هـ، وارتجل في الحفل الذي أقامته الجامعة في هذه المناسبة كلمة عظيمة، وألقيتُ بين يديه كلمة المدرسين، وقد أثبتُ الكلمتين في رسالة: «عالم جهبذ وملك فذ: (الشيخ محمد بن إبراهيم والملك فيصل رحمهما الله)» طُبعت في عام ١٤٠٢هـ، وطُبعت ضمن مجموع كتبي ورسائلي (٦/ ٤٢٥ — ٤٤٦) في عام ١٤٢٨هـ.

(٩) - عيّنت نائباً لرئيس الجامعة بترشيح من الشيخ عبد العزيز رحمته الله وموافقة الملك فيصل رحمته الله، وصدر بذلك قرار مجلس الوزراء في ٣٠/٧/١٣٩٣هـ، وكنت المسئول الثاني في الجامعة إلى حين انتقال الشيخ عبد العزيز إلى الرياض في أوائل شوال عام ١٣٩٥هـ، وبعد ذلك كنت المسئول الأول إلى شوال سنة ١٣٩٩هـ - إذ أُعفيت من العمل بطلب مني لما طرأ على بصري من ضعف لكثرة النظر في أوراق الجامعة، وكنت قبل عملي في نيابة الجامعة أقود السيارة مدة عشر سنوات.

(١٠) - قمت بحمد الله بالتدريس في الجامعة حتى الآن مدة خمسين سنة كملت في يوم الأحد الموافق الثاني من جمادى الآخرة هذا العام ١٤٣١هـ، وفي السنوات الست التي كنت فيها مسئولاً في الجامعة لم أتحلَّ عن إلقاء محاضرتين كل أسبوع في كلية الشريعة، وتم لي أيضاً بحمد الله وفضله في هذا الشهر إكمال تدريس كتب الحديث الستة في مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم، وكان البدء في تدريسها في مطلع المحرم ١٤٠٦هـ، ابتداءً بصحيح مسلم ثم صحيح البخاري ثم سنن النسائي ثم سنن أبي داود ثم جامع الترمذي ثم سنن ابن ماجه الذي تم الانتهاء منه مساء السبت ١٥/٦/١٤٣١هـ.

(١١) - كليات الجامعة خلال نصف هذا القرن خمس، وهي كلية الشريعة التي أنشئت عام افتتاح الجامعة، وكلية الدعوة وأصول الدين افتتحت في عام ١٣٨٦هـ، وكلية القرآن الكريم افتتحت في عام ١٣٩٤هـ، وكلية اللغة العربية افتتحت في عام ١٣٩٥هـ، وكلية الحديث افتتحت في عام ١٣٩٦هـ، وعند افتتاح كلية القرآن الكريم طُلب من مدرس مادة القرآن في المعهد الثانوي التزويد بأسماء الذين يحفظون القرآن كاملاً لتوجيههم للدراسة في هذه الكلية، ولكونها جديدة لم يرغب الطلبة في الدراسة فيها، وبعد بدء الدراسة فيها بفترة حضر عندي في المكتب - وكنت مسئولاً في الجامعة - طلابها يطلبون إعفاءهم وتحويلهم إلى كليات أخرى، قلت لهم: أتدرون لماذا جئتم؟ إنكم جئتم تطالبون بإغلاق كلية القرآن! وشجعتهم على الاستمرار ووعدهم بالعمل على تمييز طلبة كلية القرآن على غيرهم من طلاب الكليات الأخرى، وذلك بتخصيص مكافأة زائدة على مكافأة طلاب الكليات الأخرى، وعند إعداد جدول الأعمال لدورة المجلس الأعلى التي رأسها سمو الأمير فهد رحمه الله جعل موضوع مكافأة طلبة كلية القرآن أول موضوع في الجدول، فتمت دراسته بحضوره وخصص لهم مبلغ يكون زائداً على مكافأة غيرهم من الطلاب، وأنا رحمه الله سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله في رئاسة بقية الجلسات.

(١٢) - تولى إدارة الجامعة خلال نصف هذا القرن ستة، هم: شيخنا الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله، ثم صاحب هذه الذكريات، ثم الدكتور عبد الله الزايد، ثم الدكتور عبد الله بن صالح العبيد، ثم الدكتور صالح بن عبد الله العبود، ثم الدكتور محمد بن علي العقلا.

(١٣) - في عام ١٣٨١هـ - وهو العام الذي أنشئت فيه الجامعة الإسلامية بالمدينة - أصدر جمال عبد الناصر قراراً بتطوير الأزهر، وذلك بإحداث

كليات دنيوية زاحمت كلياته المتخصصة وهي الشريعة وأصول الدين واللغة العربية، وترتب على ذلك إضعاف الأزهر شكلاً ومضموناً، أما الشكل فإن الزي الذي كان عليه الأزهريون في كلياته المتخصصة بدأ يتلاشى حتى لم يبق عليه إلا من بقي من المشايخ القدامى، وأما المضمون فإن القدرة العلمية لكلياته المتخصصة ضعفت عما كانت عليه من قبل.

وبعد مضي أكثر من عشرين سنة على تأسيس الجامعة الإسلامية سعى أحد المسؤولين فيها إلى إنشاء كليات دنيوية فيها، ولكن لحسن حظه أن الملك فهد رحمه الله لم يوافق على ذلك، فقد قرر مجلس الوزراء أن تبقى الجامعة الإسلامية مقتصرة على تخصصها وأعلن ذلك في أخبار مجلس الوزراء عام ١٤٠٢هـ، واستمرت الجامعة مقتصرة على كلياتها الخمس الشرعية إلى تمام نصف قرن على تأسيسها، وفي الآونة الأخيرة سعت الجامعة في عهدها الجديد لإنشاء كليات دنيوية يحصل بها مزاحمة تخصصها ويحصل بها إضعافها كما حصل للأزهر قبل نصف قرن، وقد كتبت إلى خادم الحرمين الملك عبد الله حفظه الله وإلى وزير التعليم العالي وإلى المسئول في الجامعة في ذلك، ومما قلته فيما كتبت له خادم الحرمين حفظه الله في ١ / ١ / ١٤٣٠هـ: «وقد مضى على إنشاء الجامعة الإسلامية نصف قرن تقريباً ظلت فيها الجامعة محافظة على تخصصها، والمأمول من مقامكم الكريم التوجيه بإبقاء الجامعة على تخصصها دون مزاحمة وأن يسلم عهدكم من إقرار ما فيه إضعاف للجامعة كما سلمت في عهود أسلافكم من ذلك، وألا يحصل للجامعة في عهدكم نظير ما حصل للأزهر في عهد جمال عبد الناصر».

وفي أثناء إعداد هذه الذكريات فاجأت الصحف المحلية في ٣٠ / ٥ / ١٤٣١هـ (أي: عند إتمام نصف قرن على إنشائها إلا يوماً واحداً فقط) بنشر الموافقة السامية كما في صحيفة الرياض على قرارات مجلس التعليم العالي،

وفي أولها افتتاح ثلاث كليات بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، وهي: كلية العلوم، وكلية الحاسب الآلي ونظم المعلومات، وكلية الهندسة، ولا يزال الأمل عظيماً في خادم الحرمين حفظه الله بالتوجيه بإبقاء الجامعة على تخصصها وصرف النظر عن كل ما من شأنه إضعافها وخروجها عن مسارها، ومما لا شك فيه أن فائدة الحاسب الآلي في الوصول إلى المعلومات الشرعية عظيمة، ويمكن تحقيق هذه الفائدة بإيجاد دورات في الحاسب الآلي يتمكن بها طلاب الجامعة من الوصول إلى بغيتهم في مجال اختصاصهم، وأما دراسة العلوم والهندسة فإن ذلك وإن كان فيه فائدة دنيوية فإنه لا يتفق مع الأهداف التي أنشئت من أجلها الجامعة، وهي: تفقيه أبناء المسلمين في الدين ليعودوا إلى بلادهم دعاة إلى الحق والهدى، يبصرون غيرهم في أمور دينهم، وهذه الكليات تعلم المهن والحرف التي لا تتفق مع ما أسست الجامعة من أجله، وهذا النوع من الدراسة موجود في بلاد كثيرة، ويغني عن افتتاح هذه الكليات في الجامعة أن يوجه الطلاب السعوديون إلى جامعات المملكة التي تشتمل على مثل هذه الكليات، وقد زاد عددها على عشرين جامعة، وأما غير السعوديين الذين يرغب تدريسهم في هذه التخصصات فإن المناسب تخصيص منح دراسية لهم في تلك الجامعات الكثيرة في المملكة، وعندما كنت مسئولاً في الجامعة قبل ثلاثين سنة زار الجامعة الدكتور صوفي أبو طالب مدير جامعة القاهرة فسألني قائلاً: لماذا لا تفتح الجامعة كلية طب؟ فقلت: ولماذا لا تفتح جامعة القاهرة كلية شريعة؟ فقال: إن الأزهر كفانا ذلك، فقلت: وقد كفتنا الجامعات المتخصصة في الطب وغيره في المملكة ذلك.

ومن أغرب وأعجب ما جاء في قرارات مجلس التعليم العالي: «ووافق على إنشاء قسم الشريعة بكلية القانون بجامعة الجوف وتعديل اسم الكلية إلى كلية الشريعة والقانون»؛ إذ كيف يتم في بلاد الحرمين إنشاء كلية للقانون ثم إنشاء

قسم فيها للشريعة مع تعديل اسمها إلى كلية الشريعة والقانون؟! وبلاد الحرمين نزل بها الوحي وظهر فيها الإسلام والدولة السعودية قامت على تحكيم الشريعة، والقوانين الوضعية مخالفة للشريعة، فلماذا يُنشأ كلية للقانون ثم يُلحق بها قسم للشريعة وتسمى كلية الشريعة والقانون؟! وهذه التسمية للكلية تعادل اسم (كلية الحق والباطل)، والفرق بين الشريعة الإسلامية الرفيعة والقوانين الوضعية الوضعية كالفرق بين الخالق والمخلوق؛ لأن الشريعة وحي من الخالق والقانون من عمل المخلوقين، والشريعة كاملة لأنها من عند الله، والقوانين ناقصة لأنها من وضع الناقصين، وقد كنا نتعجب من وجود كليات باسم الشريعة والقانون في غير هذه البلاد، فابتلينا بذلك كما جاء في قرارات مجلس التعليم العالي، وعسى الله أن يخلص هذه البلاد من هذا النوع من الدراسة والتسمية بمثل هذه التسمية ومن كل ضرر يعود على هذه البلاد حكومة وشعباً.

(١٤) - لقي سعي الجامعة في عهدها الجديد إلى إنشاء كليات دنيوية قبولاً شديداً واهتماماً بالغاً من التغريبيين والصحفيين بل والصحفيات اللاتي ظهر ذكرهن قبل سنوات قليلة وشاركن الصحفيين في مهنة الصحافة، فأبدى الجميع إعجابهم بهذا الانفتاح للجامعة بهذا السعي لإنشاء الكليات الدنيوية وكذا اتجاهها إلى الابتعاث إلى الدول الغربية وغيرها، ولاسيما للتخصص في اللغة العربية وفي تاريخ المملكة! ولا ينتهي عجب العاقل من كون العرب السعوديين يُبتعثون للغرب للتخصص بلغة العرب ولكتابة تاريخ المملكة هناك! ونظير تخصص السعوديين باللغة العربية وتاريخ المملكة في بريطانيا مثلاً ما لو جاء بريطانيون إلى المملكة للتخصص باللغة الإنجليزية وتاريخ بريطانيا!! فإن كلاً منهما يُتعجب منه إلا أن الأول يُسعى إلى حصوله والثاني لا يُفكر في حصوله.

(١٥) - من الانفتاح الجديد للجامعة حضور صحفيات إلى المؤتمر الذي

عقدته الجامعة عن الإرهاب قريباً في الشهر الماضي في مكان خاص بالنساء، وقيام صحفية بمحاورة المسئول في الجامعة على هامش المؤتمر في أمور أبرزت فيها إعجابها الشديد بانفتاح الجامعة — وهو الانفتاح الذي تتعامل فيه الجامعة مع مختلف (الأطراف على حد تعبيرهم) حتى الصحفيات — ونُشر حوارها في صحيفة الشرق الأوسط بتاريخ ١٠/٤/٢٠١٠م، وقد أبدت في رسالة إلى المسئول في الجامعة ملاحظات على ما جاء في الحوار حول الجامعة وحول أمور شرعية، ولا أدري لماذا تم حوار هذه الصحفية مع الخليفة الخامس للشيخ عبد العزيز ابن باز رحمته الله؟! حتى وإن كان عن طريق شبكة المعلومات كما فهمت من المسئول ولماذا لم يكن مع صحفي؟! وما ذاك إلا من مكر المستغربين والتغريبين للمؤسسات الشرعية والقائمين عليها، وفي التمكين من مثل هذا الحوار إعانة الفتيات على الانفلات الذي بدأ في الآونة الأخيرة في هذه البلاد والذي لا ينبغي أن يحصل من مسئول في جامعة إسلامية؛ فإن مزاوله المرأة مهنة الصحافة لا يتأتى غالباً إلا بالسفور والاختلاط المشين بالرجال والسفر بدون محرم، وكل ذلك مخالف لهدي الإسلام.

وجاء في الحوار إتاحة الجامعة للفتيات الدراسة في الكليات الدنيوية إذا تم إنشاءها في الجامعة، فهل تمكّن الفتيات في هذه الجامعة الإسلامية من دراسة الهندسة ليفتحن مكاتب هندسية يستقبلن فيها الرجال ويقمن بالإشراف على إنشاء العمارات وغير ذلك مما فيه سفورهن واختلاطهن بالرجال؟!

وجاء في الحوار أيضاً اتجاه الجامعة عند إنشاء كلية طب ومستشفى جامعي إلى الاستفادة من خبرات وكفاءات أجنبية من غير الديانة الإسلامية، وأنه سيكون للكليات الجديدة مقر آخر خارج حدود الحرم، ومن المعلوم أن البنين في المدينة إذا امتد خارج حدود الحرم فإنه يدخل تحت اسم المدينة وإن لم يكن داخلياً في

الحرم، وهذا التفكير بهذا الاتجاه من الغريب العجيب؛ إذ كيف يُعقل أن تجلب جامعة إسلامية إلى مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم من لا يؤمن بالرسول صلى الله عليه وسلم؟! وهذا من زيادة مفساد إنشاء الكليات الدنيوية في الجامعة على ما فيه إضعافها ومزاحمة اختصاصها.

(١٦) - جاء في حوار الصحفية مع مسئول الجامعة أن الجامعة في عهدها الجديد أُحييت بعد ممات ونُفخ فيها الروح من جديد، وهذه عبارات متناهية في إعجاب هذه الصحفية بانفتاح الجامعة، يدخل تحت هذا الموت المزعوم أحسن فترة مرت بها الجامعة، وهي فترة إدارة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمته الله لها، وكانت تلك الفترة فترة شبابها وقوتها ونشاطها في مجال اختصاصها تعليمياً ودعوةً ووقاراً وهيبةً، وبعد تعييني نائباً لرئيسها الشيخ عبد العزيز بن باز رحمته الله بفترة مرت عليه رحمته الله في منزله قبل ذهابي إلى الجامعة، وكان الشيخ إبراهيم الحصين رحمته الله يقرأ عليه المعاملات المتنوعة في مصالح المسلمين فقال لي: «رأيت البارحة أنني أقود بكرة وأنت تسوقها، وقد أولت هذه البكرة بالجامعة الإسلامية»، والبكرة هي الشابة الفتية من الإبل، وقد سقت هذه البكرة وراءه رحمته الله مدة سنتين، وبعد انتقاله عن الجامعة قدها أربع سنوات كاملة، وأما حياة الجامعة الجديدة التي زعمتها الصحفية في المدة التي بدأ فيها إضعاف الجامعة في مجال اختصاصها فهي في الحقيقة فترة شيخوخة وهرم وهي مما يُعزى عليه، وقد عاشرت هذه الجامعة وأدركت في شبابي شبابها وقوتها، ثم أدركت في شيخوختي هرمها وضعفها، والله الأمر من قبل ومن بعد، وإنه ليحزنني ويؤلمني كثيراً أن أرى جامعة أُسست على التقوى من أول يوم وتولى غراسها الشيخان الجليلان محمد بن إبراهيم وعبد العزيز بن باز رحمهما الله يؤول أمرها بعد نصف قرن على إنشائها إلى أن تكون في مهب الريح؛ فتعصف بها الأعاصير وتكون محل إعجاب

المستغربين والتغريبيين والصحفيين بل وحتى الصحفيات اللاتي لا وجود لهن قبل عدة سنوات.

وَأَسْأَلُ اللَّهَ ﷻ أَنْ يُوَفِّقَ كُلَّ مَنْ لَهُ سُلْطَةٌ عَلَى الْجَامِعَةِ وَعَلَى رَأْسِ الْجَمِيعِ خَادِمِ الْحَرَمَيْنِ حَفْظَهُ اللَّهُ لِلْعَمَلِ عَلَى إِبْقَائِهَا قُوَّةَ مَنِعَةٍ سَالِمَةٍ مِنَ الضَّعْفِ وَالْإِضْعَافِ.

ومن المناسب في هذه المناسبة أن أذكر شيئاً من الأعمال التي حصلت في الجامعة في فترة من فترات موتها المزعوم، وهي مدة ست سنوات كنت مسئولاً فيها في الجامعة مع الشيخ عبد العزيز بن باز رحمته الله وبعده:

١- افتُتِحَ قسم الدراسات العليا في الجامعة لمنح درجتي الماجستير والدكتوراه.

٢- افتُتِحَت كليات القرآن الكريم والحديث الشريف واللغة العربية.

٣- أنشئت مطابع الجامعة.

٤- طُبِعَ في كل سنة من السنوات الست دليل للجامعة يحتوي على ذكر المعلومات المختلفة عن مناهجها ومدرسيها وطلابها وخرّيجيها وأنشطتها وغير ذلك.

٥- أُلْقِيَ في قاعة المحاضرات تسعون محاضرة تخدم رسالة الجامعة بواقع خمس عشرة محاضرة في كل سنة، طُبِعَتْ في ستة أجزاء.

٦- طُبِعَ كتاب: «خرّيجو الجامعة من عام ١٣٨٤هـ إلى عام ١٣٩٦هـ».

٧- أُعِدَّ مخطط علمي (أكاديمي) للجامعة ينتهي فيه عدد طلابها إلى عشرين ألف طالب قام بإعداده مؤسسة وأنفق عليه مليونان ونصف مليون ريال.

٨- عُقِدَ المؤتمر العالمي لتوجيه الدعوة وإعداد الدعاة في ٢٤ - ٢٩ صفر ١٣٩٧هـ حضره أعداد كبيرة ينتمون إلى سبعين دولة، واستُصْدِرَتْ الموافقة

السامية على عقد المؤتمر الثاني لتوجيه الدعوة وإعداد الدعاة، ومؤتمر مكافحة المخدرات والمسكرات وتمَّ عقدهما فيما بعد.

٩- طُبِعَ عن طريق مركز الدعوة في الجامعة الذي أُطلق عليه فيما بعد عمادة خدمة المجتمع رسائل كثيرة للدعوة في داخل البلاد وخارجها، وطُبعت الجامعة في المغرب عن طريق الملحق الديني الأستاذ محمد بن عبد السلام رحمته الله أربع رسائل طبع من كلٍّ منها خمسون ألف نسخة تم توزيعها في المغرب والجزائر، وذلك إثر فَقْد كمية من كتاب: «شرح العقيدة الواسطية» للهراس مرسله إلى الدكتور محمد تقي الدين الهلالي رحمته الله، فطُبعت الجامعة هذه الكمية من هذا الكتاب وغيره في المغرب.

١٠- أُنتدب بعض المدرسين في الجامعة إلى بعض الجهات التي توجد فيها المخطوطات خارج المملكة لتصويرها وإيداعها في قسم المخطوطات التابع للمكتبة المركزية في الجامعة، وأحضر منها أعداد كبيرة استفاد منها الطلاب والباحثون، ومما هو جدير بالذكر أنه يوجد في المكتبة المحمودية في المدينة نسخة خطية مسندة لكتاب: «المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية» لابن حجر رحمته الله أرادت الجامعة تصويرها فلم يمكن ذلك لتكسر أوراقها من البلى، وعند ذهاب بعض المدرسين لتصوير المخطوطات في الهند وجدوا نسخة منقولة من هذه النسخة في عام ١٣٥١ هـ محفوظة في المكتبة العمرية بجامعة دار السلام بعمر آباد مدراس، فأحضروا صورة عنها إلى قسم المخطوطات في الجامعة.

وقدوتي فيما ذكرته - هنا بمناسبة الحياة والمهات للجامعة في حوار الصحفية - رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال للأنصار في غزوة حنين: «يا معشر الأنصار! ألم أجدكم ضلالاً فهداكم الله بي؟! وكنتم متفرقين فألفكم الله بي؟! وكنتم عالة فأغناكم الله بي?!» من حديث رواه البخاري (٤٣٣٠) ومسلم

(٢٤٤٦) وذكر الحافظ ابن حجر في الفتح (٥٢ / ٨) من فوائد هذا الحديث «إقامة الحجة على الخصم وإفحامه بالحق عند الحاجة إليه»، وقال ابن دقيق العيد في شرح هذا الحديث في كتابه إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام (٣ / ٣٠٩): «وفي الحديث دليل على إقامة الحجة عند الحاجة إليها على الخصم».

وقد أوصيتُ في عام ١٤١٨هـ، أن تكون مكتبتي الخاصة ضمن محتويات المكتبة المركزية بالجامعة وتجعل في موضع خاص بها.

وإن مما يؤسف له أن جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية قد أصيبت بمثل ما أصيبت به الجامعة الإسلامية، وهي جامعة عريقة في هذه البلاد تخرج أول فوج منها عام ١٣٧٦هـ، ومنهم الشيخ عبد الله الغديان رحمته الله، والغالبية العظمى من القضاة والمشتغلين بالعلم في هذه البلاد هم من خريجي هذه الجامعة. وكل راع مسئول عما استرعاه الله عليه، لقوله صلى الله عليه وسلم: «كلكم راع، وكلكم مسئول عن رعيته، الإمام راع ومسئول عن رعيته» الحديث رواه البخاري (٨٩٣) ومسلم (٤٧٤٢).

وأسأل الله عز وجل أن يوفق كل مسئول في هذه البلاد - عظمت مسؤوليته أو صغرت - وعلى رأس الجميع خادم الحرمين الملك عبد الله حفظه الله للقيام بمسؤوليته على الوجه الذي يرضي الله عز وجل وينفع عباده وتبرأ به الذمة إنه سميع مجيب.

وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.



أفي بلاد الحرمين يُنشأ كليات للحقوق وللشريعة والقانون؟! واعجباً ووا أسفاً!!

(١٣/٢/١٤٣٢هـ)

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد، فقد كنا نسمع متألّمين بوجود كليات في بلاد غير بلاد الحرمين باسم كليات الحقوق وكليات الشريعة والقانون، تخرّج كليات الحقوق قضاة يحكمون بغير ما أنزل الله ومحامين يكونون على علم بالقوانين الوضعية للنيابة عن غيرهم في التقاضي لدى المحاكم الوضعية، ومثلهم من يتخرج في القانون من كليات الشريعة والقانون، وقد أكرم الله بلاد الحرمين منذ تأسيس دولتها على يد الملك عبد العزيز رحمه الله قبل أكثر من مائة عام بالالتزام بتحكيم شرع الله ونصرة دينه والعمل من أجل ذلك على قيام المشايخ المتمكنين في معرفة الشريعة بالتدريس في المساجد وغيرها لتأهيل مشايخ يتولون القضاء والحكم بين الناس بما أنزل الله، كما حصل من الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ رحمه الله الذي تخرج على يديه أعداد كبيرة من القضاة، أبرزهم الشيخان عبد العزيز بن باز وعبد الله بن حميد رحمهما الله، وكما حصل من الشيخ محمد بن عبد العزيز بن مانع رحمه الله الذي كان يدرس على يديه مشايخ في مكة، تولى القضاء عددٌ منهم، ثم بعد ذلك أنشئت كليات الشريعة في هذه البلاد لتخريج من يتولى القضاء وفقاً لشرع الله.

وإن مما يُعجب منه ويؤسف عليه ما حصل من مجلس التعليم العالي من إحداث بعض الكليات للشريعة والقانون وكليات للحقوق، وقد قلت في كلمة: «(من ذكرياتي عن الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة بعد مرور نصف قرن على إنشائها)» التي نشرت بتاريخ ٢٠/٦/١٤٣١هـ بعد نشر قرارات مجلس التعليم العالي بتاريخ ٣٠/٥/١٤٣١هـ المشتملة على إحداث ثلاث كليات دنيوية في الجامعة الإسلامية

بالمدينة، قلت: «ومن أغرب وأعجب ما جاء في قرارات مجلس التعليم العالي:» (ووافق على إنشاء قسم الشريعة بكلية القانون بجامعة الجوف وتعديل اسم الكلية إلى كلية الشريعة والقانون)؛ إذ كيف يتم في بلاد الحرمين إنشاء كلية للقانون ثم إنشاء قسم فيها للشريعة مع تعديل اسمها إلى كلية الشريعة والقانون؟! وبلاد الحرمين نزل بها الوحي وظهر فيها الإسلام، والدولة السعودية قامت على تحكيم الشريعة، والقوانين الوضعية مخالفة للشريعة، فلماذا يُنشأ كلية للقانون ثم يُلحق بها قسم للشريعة وتسمى كلية الشريعة والقانون؟! وهذه التسمية للكلية تعادل اسم (كلية الحق والباطل)، والفرق بين الشريعة الإسلامية الرفيعة والقوانين الوضعية الوضيعة كالفرق بين الخالق والمخلوق؛ لأن الشريعة وحي من الخالق والقانون من عمل المخلوقين، والشريعة كاملة لأنها من عند الله، والقوانين ناقصة لأنها من وضع الناقصين، وقد كنا نتعجب من وجود كليات باسم الشريعة والقانون في غير هذه البلاد، فابتلينا بذلك كما جاء في قرارات مجلس التعليم العالي، وعسى الله أن يخلص هذه البلاد من هذا النوع من الدراسة والتسمية بمثل هذه التسمية ومن كل ضرر يعود على هذه البلاد حكومةً وشعباً»، وقد جاء في قرارات مجلس التعليم العالي في جلسته الحادية والستين المنشورة في صحيفة الوطن بتاريخ ٢٤/١٠/٢٠١٠م: «وافق أيضاً على قرار المجلس الخاص بتعديل اسم (كلية الأنظمة والعلوم السياسية) بجامعة الملك سعود لتصبح (كلية الحقوق والعلوم السياسية)، ووافق على إعادة تشكيل أقسام القانون بهذه الكلية لتصبح قسمين فقط هما: قسم القانون العام: ويشمل قسمي القانون العام، والقانون الجنائي الحاليين، وقسم القانون الخاص: ويشمل أقسام: القانون المدني، والقانون التجاري، والفقه، مع إبقاء قسم العلوم السياسية على ما هو عليه»، وجاء في قرارات مجلس التعليم العالي في جلسته الثانية والستين المنشورة بصحيفة المدينة بتاريخ ٢٩/١٢/٢٠١٠م الموافقة على إنشاء كلية للحقوق في الهفوف بالأحساء تابعة لجامعة

الملك فيصل، وكلية للحقوق بجامعة طيبة، وكلية للشريعة والقانون بجامعة جازان، فلماذا إنشاء مثل هذه الكليات في بلاد الحرمين المحكّمة لشرع الله وهي البقية الباقية؟! وسوق العمل - التي يُدندن عليها - الحاجةُ فيها إلى قضاة شرعيين لا إلى خريجين من كليات الحقوق والقانون لا تتفق تخصصاتهم مع ما أكرم الله به هذه البلاد من تحكيم شرع الله، وما ذلك إلا لون من أسوأ ألوان تغريب هذه البلاد، ومن المعلوم أن تدريس القانون الجنائي والقانون العام في بعض جامعات المملكة اشتغال بما أفرزته أذهان البشر مما يضر ولا ينفع، وهو انشغال عن التشريع السماوي الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، وقد قال الله ﷻ عن الأحكام المخالفة لشرعه: ﴿ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْتَغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾، وقد ذكر الشيخ أحمد محمد شاكر رحمه الله بدء إنشاء كلية الحقوق في مصر، فقال: «فأنشأوا في أوائل ما أنشأوا مدرسة الحقوق - كلية الحقوق الآن - لتخرج لها رجالاً يحكمون بالقوانين التي اصطنعوها عن أوروبا الوثنية الملحدة وليضعوا في أيديهم سلطة الإدارة في الدولة»، ذكر ذلك في كتاب «تقرير عن شؤون التعليم والقضاء» (ص ٣٢) وهو: تقرير مقدم للملك عبد العزيز رحمه الله سنة ١٩٤٩م، وهذا التقرير الناصح للملك عبد العزيز لأخذ العبرة من تجربة مصر وأن السعيد من وُعط بغيره، عمل مجلس التعليم العالي - بعد مرور ستين سنة على تقديمه - على تقليد مصر بإحداث هذه الكليات الخمس التي اشتملت عليها قراراته الثلاثة المذكورة، ولن يكفي الغربيين في هذه البلاد تدريس القوانين الوضعية التي وضعوها؛ لأن الأهم عندهم تطبيقها ولن يرضيهم إلا اتباع ملتهم؛ كما قال الله ﷻ: ﴿ وَكَانَ رِضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصْرَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَلَئِنْ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾، ومع عناية المجلس في هذه القرارات بإحداث هذه الكليات الخمس الوضعية عمل في تلك القرارات على إضعاف تخصصات الجامعة الإسلامية بالمدينة بمزاحمتها بإنشاء خمس كليات دنيوية -

هي: كلية العلوم وكلية الهندسة وكلية الحاسب الآلي ونظم المعلومات وكلية الطب وكلية الصيدلة - ومعهد البحوث والدراسات الاستشارية بعد أن ظلت خمسين سنة كاملة ليس فيها إلا كليات خمس هي: كلية الشريعة وكلية الدعوة وأصول الدين وكلية القرآن الكريم وكلية الحديث الشريف وكلية اللغة العربية.

ومن التغريب الجديد موافقة مجلس التعليم العالي على توصيات اللجنة المشكلة لدراسة موضوع الاستفادة من كرسي اليونسكو العلمية في الجامعات السعودية، وموافقته على اثني عشر كرسيًا تحت مظلة اليونسكو! ومنها كرسي اليونسكو للحوار بين الأديان والثقافات وكرسي اليونسكو للإعلام المجتمعي وكرسي اليونسكو للجودة في التعليم العالي بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وكرسي اليونسكو في مجال التعليم من أجل التطوير المستدام في المملكة العربية السعودية بجامعة الملك سعود!!

وَأَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يُوَفِّقَ الْمَسْئُولِينَ فِي الدَّوْلَةِ وَعَلَى رَأْسِهِمْ خَادِمَ الْحَرَمَيْنِ الْمَلِكِ عَبْدَ اللَّهِ حَفِظَهُ اللَّهُ لِتَخْلِيصِ هَذِهِ الْبِلَادِ مِنْ فِتْنِ التَّغْرِيبِ فِي الدِّينِ وَالْأَخْلَاقِ وَغَيْرِ ذَلِكَ، وَأَسْأَلُهُ تَعَالَى أَنْ يَحْفَظَ بِلَادَ الْحَرَمَيْنِ حُكُومَةً وَشُعْبًا مِنْ كُلِّ شَرٍّ وَأَنْ يُوفِّقَهَا لِكُلِّ خَيْرٍ وَأَنْ تَبْقَى دَوْلَتُهَا عَلَى الْأَسْسِ الَّتِي قَامَتْ عَلَيْهَا وَأَنْ يَقِيَهَا مَكْرَ الْمَاكِرِينَ بِهَا، إِنَّهُ سَمِيعٌ مُجِيبٌ، وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمْ وَبَارِكْ عَلَى عَبْدِهِ وَرَسُولِهِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ.



الآثار السيئة لخلع باب الجامعة الإسلامية بالمدينة في عهدها الجديد

(١٤٣٢/١/٢٧هـ)

الحمد لله وحده، وصلى الله وسلم وبارك على من لا نبي بعده نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن استن بسنته واهتدى بهديه.

وبعد، فقد اطلعت على حديث لأحد الصحفيين وهو مصطفى الأنصاري نشرته صحيفة الحياة بتاريخ ١١/١/١٤٣٢هـ تحدّث فيه هذا الصحفي عن ماضي الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة وحاضرها، وقد رأيت أن أنبه مما جاء في كلامه على أمور ثلاثة:

الأول: أنه اعتبر أول عهدها في زمن شيخنا الشيخ عبد العزيز بن باز رحمته الله العصر الذهبي لها، فقال: «أكثر المتابعين وكذا الدارسين في الجامعة العريقة يجمعون على أنها عاشت عصرها الذهبي في عهد الشيخ عبد العزيز بن باز»، وقد صدق في ذلك فلقد كان عصرًا ذهبيًا فيه شبابها وقوتها لما أعطاه الله من علم وفضل وعمل وتعليم ودعوة وهيبة ووقار وقبول حسن في قلوب الناس، لكن هذا الصحفي قد جانب الصواب وبُعد عنه عندما قال: «وإذا كان العقلا قاد الجامعة بعقلية الاقتصادي الذي يعرف كيف يكسب الناس - أي ناس - وكيف يخسرهم، فإن المعجبين بسياساته يعتبرونه لم يزد على أن أعاد الجامعة إلى ماضيها الذهبي»!!! فإن أي عاقل يطلع على هذا الكلام في الربط بين ماضيها في زمن الشيخ عبد العزيز بن باز وحاضرها في عهدها الجديد ووصفها بالذهبي يتضح له التباين التام بين هذين العهدين وأن الفرق بينهما كالفرق بين السماء والأرض وأن الحقيقة في واد وكلام هذا الصحفي في واد آخر؛ فإن عهد الشيخ عبد العزيز بن باز رحمته الله فيه العناية والاهتمام بالغرض الذي أسست من أجله الجامعة، وهو توجيه أبناء المسلمين وتفقيهم في الدين ليعودوا إلى بلادهم بعد تخرجهم هداة مهتدين، كما قال الله عز وجل: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾، وأما في العهد الجديد ففيه العناية والاهتمام بإيجاد كليات دنيوية تراحم اختصاصها وتضعف نشاطها، وهو نظير ما حصل للأزهر من ضعف في مجال اختصاصه بعد تطويره بافتتاح مثل هذه

الكلية الدنيوية فيه قبل نصف قرن من الزمن، وأيضاً فإنه في عصرها الذهبي ما كان يفكر بابتعاث أحد من طلابها للدراسة خارج المملكة، بخلاف العهد الجديد الذي يُبتعث فيه بعض الطلاب حتى لدراسة تاريخ المملكة واللغة العربية في أوروبا!! بل ويُجعل من شروط التقدم لبعض الوظائف بالجامعة موافقة المتقدم على الابتعاث للدراسة في الخارج!!! ولا ينتهي عجب العاقل من ابتعاث الجامعة إلى أوروبا للتخصص في اللغة العربية وفي تاريخ المملكة!! وهو نظير مجيء الأوروبيين للتخصص في تاريخ بلادهم في المملكة ومجيء البريطانيين للتخصص في اللغة الانجليزية في الجامعات السعودية، والثاني لا يفكر فيه، والأول يُسعى إليه باهتمام بالغ! والله المستعان، وكانت المحاضرات التي تقيمها الجامعة الإسلامية في عصرها الذهبي في العلوم الشرعية عقيدةً وتفسيراً وحديثاً وفقهاً وغير ذلك، وأما المحاضرات في العهد الجديد فهي خليط من الغث والسمين ويصدق على بعضها المثل: «أسمع جعجعةً ولا أرى طحناً» أي: دقيقاً، وفيها ما لا علاقة له بالعلم الشرعي لا من قريب ولا من بعيد، كمحاضرات وزراء التربية والتعليم، والشؤون البلدية والقروية، والمالية عن مجالات وزاراتهم، وفي العهد الجديد استقدمت الجامعة بعض النساء لبعض مؤتمراتها، فهل قدمن بصحبة محارمهن؟! وهل التزمن بالحجاب وتغطية الوجوه؟! وهل سلمت المرأة من الركوب مع سائق وحدها؟! والمسئولون في الجامعة هم الذين يعرفون الحقيقة في ذلك، ومن كان منهن من الصحفيات أو من جنس المشاركات في منتدى التغريبيين في جدة الذي سموه زوراً منتدى خديجة بنت خويلد من كانت منهن كذلك فهي لا تبالي بالتقيد بهذه الأحكام الشرعية، وقد أخبرني أحد رجال هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أنه رأى أيام المؤتمر الذي عُقد في الجامعة قبل أيام رأى سيارة عليها شعار الجامعة ليس فيها إلا سائق السيارة وامرأة في المقعد

الخلفي غير متحجة سافرة عن وجهها، ومثل هذه الأمور لا يجيزها صاحب العصر الذهبي عليه السلام، فهو لا يجيز سفر المرأة بدون محرم ولا كشف وجهها عند الأجنب ولا ركوبها مع الأجنبي في سيارة، يوضح ذلك أن صحفياً آخر هو حماد حامد السالمي حضر هذا المؤتمر وأبدى إعجابه به وبالجامعة وكتب مقالاً بعنوان: «هم.. وهن.. في (الجامعة الإسلامية)!!؟» نشرته جريدة الجزيرة بتاريخ ٢٠/١/١٤٣٢هـ قال فيه: «من كان يصدق أن زميلتنا الكاتبة المشاكسة (سمر المقرن) تدخل الجامعة الإسلامية وتدير من حرمة أمسية حوارية من الجانب النسائي، مشاركة مع معالي الشيخ الدكتور (صالح الحميد) رئيس مجلس القضاء الأعلى!!؟... الجامعة الإسلامية بدون شك تتغير إلى الأفضل، وتتطور إلى الأجل، وهي تطوي أمسها لتعيش حاضرها وتلحق بغدها، فمن سار على الدرب وصل»، وهكذا يكون الفرح والسرور من هذا الصحفي بحضور زميلته (المشاكسة!) إلى الجامعة وبالانحدار الذي وصلت إليه الجامعة التي تولى رئاستها من قبل شيخنا الشيخ عبد العزيز بن باز عليه السلام مدة أربعة عشر عاماً وستة أشهر، الانحدار الذي طوت فيه الجامعة أمسها لتعيش حاضرها وتلحق بغدها!! وقد قيل: لا يمدح السوق إلا من ربح، وقد ربح التغريبيون والصحفيون سوق الجامعة الجديد فمدحوه، ولهذه الزميلة المشاكسة حوار في صحيفة الشروق أون لاين بتاريخ ١٨/٣/٢٠٠٩م ضد النقاب (تغطية الوجه)، ومع هذا جيء بها للجامعة الإسلامية، فمن يصدق ذلك!!؟ ومن حضر من المشايخ إلى الجامعة لمحاضرة أو مشاركة لا يعني ذلك رضاه بما يحصل في الجامعة من مخالفات.

وفي العهد الجديد يُعنى بالكم دون الكيف، وبالمظهر دون المخبر، ومن أمثلة الأول أنه فتح في الجامعة دراسة مسائية تُوسع في القبول فيها وقُبِل فيها لدراسة الماجستير في إحدى السنوات في قسم التربية بعض الطلاب الذين مستوياتهم

متدنية وفيهم سبعة معدلهم التراكمي بين (٢) و (٣)، وواحد دون (٢)، وقد فهمت من بعض المسؤولين أن سبب قبولهم أنه لم يتقدم للقسم العدد الكافي لفتحه فلذا قبلوا، والحل الصحيح أن يوقف القبول في تلك السنة لا أن يفتح ويعبأ بمثل هؤلاء الضعفاء الشديدي الضعف الذين يهبطون بمستوى الجامعة ويسئون سمعة زملائهم الأقوياء، ومنه التوسع في قبول الطلاب في الجامعة عموماً دون مراعاة لما ينبغي أن يكون عليه طلاب العلم في الجامعة من سمت وصفات حسنة، ومن أمثلة الثاني أن الجامعة اتفقت مع عدد من الطلاب ليحضروا جلسات المؤتمر الذي عُقد في الجامعة قبل أيام مع تغييبهم عن الدراسة في مقابل مكافأة تصرف لكل واحد منهم، وقد سمعت من أحد المشاركين في المؤتمر من إحدى جامعات المملكة التعجب من كثرة الحضور وهو شيء لم يألفه في جامعته، ولما علم أن هذا الحضور بمكافأة زال عجبه، وقد قيل: «إذا عرف السبب بطل العجب»، ومنه عناية الجامعة في عهدها الجديد بالتقدم في السباق العالمي للجامعات تحت اسم التطوير والجودة والاعتماد الأكاديمي، فإن هذه الجامعة الإسلامية الغرض من تأسيسها والمطلوب فيها تحقيق تقوى الله ونيل رضاه وتحصيل العلم النافع الذي يسار فيه إلى الله ﷻ، وكيف يبحث عن تقدم عند أناس لا وزن للعلم الشرعي عندهم وهم خصوم له.

الثاني: أبدى هذا الصحفي إعجابه بالعهد الجديد للجامعة ووصف صاحب العهد الجديد بأنه «أشعلها بالبساطة والحريات»! وأثنى عليه بخلع باب الجامعة ليتمكن كل أحد من دخولها، فقال: «بينما الأرجح أنه جاءها من (الباب المخلوع)، غير أن الأكثر إثارة أن العقلا حين دخل الجامعة الإسلامية من ذلك الباب لم يقيم بتجويده وإغلاقه، بل سامه خسفاً وخلع حلقاته بالكلية»، وقال تحت عنوان: «إصلاحات أم انقلابات؟»: «سياسة (الباب المخلوع) التي

انتهجها العقلا، هي التي جعلت الدكتور عبد العزيز قاسم يطمع في أن تستضيف الجامعة الإسلامية حتى الدكتور عبد الله الغدامي بعد أن منعت جامعة الإمام من إلقاء محاضرة له كانت مقررة»، ونقل عن هذا الدكتور أنه دخل الجامعة في عهدها الجديد أناس لم يحصل لهم دخولها من قبل في الفترة «التي سيطر على مفاصلها فصيل سلفي محلي» كذا قال هذا الدكتور، وقال أيضاً: «والحقيقة أن مدير الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة الدكتور محمد علي العقلا مذ تسنم رئاسة هذه الجامعة العتيدة التي لها تاريخها المضيء في الدعوة وترسيخ العلم الشرعي يقوم بإصلاحات أشبه بالانقلابات على مفاصل الجامعة وحلحل كثيراً من مدا ميكها بهدوء وتؤدة ونفس طويل»!

وقد أفصح هذا الصحفي عن أوصاف الذين دخلوا الجامعة بعد خلع بابها فقال: «إلا أن الأهم من الفعاليات أنك تجد ضيوفها من الداخل والخارج يمثلون كل الأطياف من إسلاميين وليبراليين وعلمانيين وأصوليين الملتزمين منهم والمنفتحين»!!! كذا قال هذا الصحفي ومعلوم أن مثله على معرفة بأصناف داخلي الجامعة بعد خلع بابها.

الثالث: ينبز بعض المناوئين لأهل السنة بعض أهل السنة بأنهم «جامية»، ومن النابزين بذلك أسامة بن لادن عندما كان في السودان قبل ذهابه منها إلى حركة طالبان بأفغانستان، وهذا النبز بـ«الجامية» لبعض أهل السنة نظير نبز المناوئين لأهل السنة دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب بـ«الوهابية» تنفيراً منها، والذي عُرف بنسبة «الجامي» هو الشيخ محمد أمان الجامي رحمته الله الذي توفي قبل خمسة عشر عاماً تقريباً، وكان له جهود طيبة في بيان عقيدة أهل السنة والدفاع عنها، وهذا الصحفي من النابزين بذلك، قال: «وحتى المديرون الأربعة الذين أعقبوه (البدر والزائد والعييد والعبود) كانت لهم سياستهم التي دافعوا عنها في

حينه، لكن الذي وثقته المصادر المهمة برصد تاريخ الجامعة أنهم جميعاً كانوا يحاولون تحقيق توازن وفق رؤيتهم التي يحملونها، فحاولوا - كما تردد - (تحرير الجامعة من التيارات الحزبية) التي قيل: إنها كانت منجماً للتطرف، حتى اتُّهموا من جانب مناوئتهم بأنهم (اتخذوا الجامعة محافظة جامية)!! لكن المهم هنا أن الجامعة - وإن كان تحت هذا النقد المتحيز - بقيت مثار جدل بعنوان: (الجامعية ضد الحزبية) مثلما كانت من قبل حيةً بعنوان: (الاستقطاب المفتوح)!!

وقد ضرب الشيخ محمد أمان الجامي رحمته الله مثلاً لحزب مخالف لما كان عليه أهل السنة معنيّ بتجميع الناس على مبدئه، ولهذا المثل أيضاً شبه بسياسة (الباب المخلوع) في الجامعة الإسلامية بالمدينة فقال: «فمثلهم كمثل الذي دخل سوقاً غاصة بالناس رجالاً ونساءً ليدعوهم إلى الصلاة، فجعل يناديهم قائلاً: أيها الناس إننا أنشأنا لكم مسجداً في غاية السعة، فهلّموا جميعاً لأداء الصلاة فيه ولا يتأخرن أحد وليأت كل واحد على ما هو عليه: المتوضئ بوضوئه، والمحدث بحدثه، والجنب بجنبته، بل حتى الحائض والنفساء؛ لأننا لا نرد أحداً، إذ قصدنا خلق مجتمع إسلامي عام شامل، وكلنا إخوان مسلمون» مجموع رسائل الجامي في العقيدة والسنة (ص ٣٧٦).

وقد قيل: بعض الشر أهون من بعض، فهذا الصحفي أقل سوءاً من الصحفية التي حضرت مؤتمراً سابقاً للجامعة وحاورت مديرها ووصفت العهد الجديد للجامعة بأنه أحييت الجامعة فيه بعد ممات وبأنه نفخ فيها الروح؛ لأن هذا الصحفي استثنى عهد الشيخ ابن باز رحمته الله وهي لم تستثنه، وقد أشرت إلى هذا الحوار في كلمة سابقة بعنوان: «من ذكرياتي عن الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة بعد مرور نصف قرن على إنشائها» نشرت في ٢٠/٦/١٤٣١هـ، ومما قلته فيها: «وأما حياة الجامعة الجديدة التي زعمتها الصحفية في المدة التي بدأ فيها

إضعاف الجامعة في مجال اختصاصها فهي في الحقيقة فترة شيخوخة وهرم وهي مما يُعزَى عليه، وقد عايشة هذه الجامعة وأدركت في شبابي شبابها وقوتها، ثم أدركت في شيخوختي هرمها وضعفها، والله الأمر من قبل ومن بعد، وإنه ليحزنني ويؤلمني كثيراً أن أرى جامعة أُسست على التقوى من أول يوم وتولى غراسها الشيخان الجليلان محمد بن إبراهيم وعبد العزيز بن باز رحمهما الله يؤول أمرها بعد نصف قرن على إنشائها إلى أن تكون في مهب الريح؛ فتعصف بها الأعاصير وتكون محل إعجاب المستغربين والتغريبيين والصحفيين بل وحتى الصحفيات اللاتي لا وجود لهن قبل عدة سنوات».

وقد يكون لكلمتي هذه والتي قبلها شبه بالإساءة من الفضة الذي أحضر فيه رجل ماء لحذيفة بن اليمان رضي الله عنه ليشربه فرماه به في ملأ من الناس لأنه نهاه قبل ذلك، فعن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: «كان حذيفة بالمدائن فاستسقى، فأثاه دهقان بقدر فضة فرماه به، فقال: إني لم أرمه إلا أني نهيته فلم ينته، وإن النبي ﷺ نهانا عن الحرير والديباج والشرب في آنية الذهب والفضة، وقال: هن لهم في الدنيا، وهن لكم في الآخرة» رواه البخاري (٥٤٢٦) ومسلم (٥٣٩٦)، ولم تكن هاتان الكلمتان المنشورتان أول شيء مني يطرق سمع أبي طارق أو يقع عليه بصره أصلح الله حاله وفعاله، بل ناصحته مشافهة ووصل إليه مني قبلهما ثمان رسائل خاصة في موضوعات متعددة لكن كفة التغريبيين والصحفيين عنده راجحة على كفة الناصحين، وآخر هذه الرسائل بتاريخ ١١ / ٥ / ١٤٣١هـ، وقد قلت في ختامها: «وفي الختام أذكركم بالوقوف بين يدي الله وأنكم مسئولون عن هذه الجامعة وعن كل تجديد غير سديد تعود أضراره عليكم وعلى الجامعة، فاتق الله في نفسك يا أبا طارق! واتق الله في الجامعة ولا تغتر بإعجاب التغريبيين من الصحفيين والصحفيات وغيرهم ولا يستخفك الذين لا يوقنون، وليكن

اهتمامك في الجامعة فيما يعود عليك نفعه في القبر وما بعده».

وأسأل الله ﷻ أن يلطف بجماعة الشيخين محمد بن إبراهيم وعبد العزيز بن باز ويكشف عنها الغمة ويردها إليه رداً جميلاً وأن يقيها مكر الماكرين من التغريبيين صحفيين وغير صحفيين، فإليه المشتكى وهو حسبنا ونعم الوكيل، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وصحبه.



كلمة توضيح حول نصيحة الشيخ النجيمي وبيان الشيخ النجيمي

(٢٥ / ٢ / ١٤٣٢ هـ)

الحمد لله، والصلاة والسلام على نبينا محمد رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.

وبعد، فهذه كلمة توضيح حول نصيحة الشيخ أحمد بن يحيى النجيمي وبيان الشيخ محمد بن يحيى النجيمي:

أولاً: أما الشيخ أحمد النجيمي المتوفى في العام الماضي ﷺ فقد كتب لي نصيحة على إثر صدور رسالتي: «رفقاً أهل السنة بأهل السنة» في عام ١٤٢٤ هـ، ولم تصل إليّ هذه النصيحة من قبل وما علمت بها إلا بعد نشرها من بعض الناس إثر نشر كلمتي: «ومرة أخرى: رفقاً أهل السنة بأهل السنة» في ١٦ / ١ / ١٤٣٢ هـ، فكانت مناسبة لتجدد ذكره وتجديد الدعاء له ﷺ وغفر له وتجاوز عنا وعنه وأسكنه فسيح جناته وشمّلنا بعفوه ومغفرته إذا صرنا إلى ما صار إليه، وكان الذي ينبغي لنا نشر هذه النصيحة مؤخراً بدلاً من نشرها أن يأخذ بنصح الناصحين ولا سيما نصح المشايخ اليمنيين

الذين أشرت إليهم في الكلمة، ولا أريد أن أنبه على كل ما جاء في نصيحة الشيخ أحمد رحمته الله، وأكتفي بالتنبيه على شيء واحد، وهو إنكاره على غيره حمل المجمل على المبيّن في كلام العلماء، وقوله: إنه مخالف لما عليه السلف الذين يقصرون حمل المجمل على المبيّن في كلام المعصوم عليه السلام، ولا أعلم وجهاً لهذا الإنكار والقصر، وقد قلت في الكلمة المشار إليها: «وإذا وُجد لأحد من أهل السنة كلام مجمل وكلام مفصّل فالذي ينبغي إحسان الظن به وحمل مجمله على مفصله؛ لقول عمر رضي الله عنه: «ولا تظنّ بكلمة خرجت من أخيك المؤمن إلا خيراً وأنت تجد لها في الخير محملاً» ذكره ابن كثير في تفسير سورة الحجرات، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في الرد على البكري (ص ٣٢٤): «ومعلوم أن مفسر كلام المتكلم يقضي على مجمله، وصريحه يُقدّم على كنيّته»، وقال في الصارم المسلول (٥١٢/٢): «وأخذ مذاهب الفقهاء من الإطلاقات من غير مراجعة لما فسروا به كلامهم وما تقتضيه أصولهم يجرّ إلى مذاهب قبيحة»، وقال في الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (٤٤/٤): «فإنه يجب أن يفسر كلام المتكلم بعضه ببعض ويؤخذ كلامه هاهنا وهاهنا، وتُعرف ما عاداته يعنيه ويريده بذلك اللفظ إذا تكلم به».

ثانياً: وأما الشيخ محمد النّجيمي فكتب بيانا حول كلمتي الأخيرة عن الجامعة الإسلامية المنشورة في ٢٧ / ١ / ١٤٣٢ هـ، وهذه بعض توضيحات حول بعض ما جاء في هذا البيان:

١- ما ذكر في البيان من تبرير إنشاء كليات دنيوية في الجامعة بأن

خريجي هذه الكليات الدنيوية سيُدرسون سنة يحصلون فيها على دبلوم عال في الدعوة، فالجامعة مضي على إنشائها نصف قرن وهي مقتصرة على تخصصها وهو تعليم أبناء المسلمين من مختلف الجهات العلم الشرعي الذي يفقدونه في كثير من بلادهم ليرجعوا إليها هداة مهتدين، أما الكليات الدنيوية فتوجد في بلادهم وغير بلادهم وقد تكون دراستها في بعض البلاد أقوى منها في هذه البلاد، ومن أُريد تدريسه من أبناء المسلمين من خارج المملكة في الكليات الدنيوية فينبغي أن يكون ذلك بإيجاد منح دراسية في جامعات المملكة المتخصصة في هذه المجالات وهي كثيرة زاد عددها على عشرين جامعة، وأن تُوجَّه تلك الجامعات بتدريس دبلوم في الدعوة للدارسين فيها على منح دراسية، وإذا كان التغير والانفتاح الواسع حصل للجامعة قبل مزاحمة تخصصها بالكليات الدنيوية فكيف يكون حالها بعد ذلك؟!!

٢- ما ذكره من تبرير استضافة وزراء يؤمّل منهم نفع الجامعة ودعمها، فهذا حسن إذا كانت الزيارة للوقوف على ما عليه الجامعة وما يؤمّل منهم من دعم لها، أما أن يكون ذلك لمحاضرات في مجالات وزاراتهم مما لا علاقة له بتخصصات الجامعة فذلك مما لا ينبغي أن يكون، لما فيه من عدم الجدوى لطلاب الجامعة الوافدين إليها من أقطار شتى.

٣- ما ذكره عن الابتعاث لدراسة تاريخ المملكة في الخارج ليقف الطالب على ما كتب عن المملكة في المصادر الغربية وأن هذا ليس

إلزامياً وأن الطالب هو صاحب القرار، فمن المعلوم أن المبتعث دراسته ورسالته وشهادته تكون من الجهة المبتعث إليها في الخارج، وكيف لا يكون ما ذكر ليس إلزامياً والطالب صاحب القرار وقد شُـرط عليه ضمن شروط القبول الموافقة على الابتعاث؟! وإذا تخصص الطالب في تاريخ المملكة في المملكة واحتاج إلى الوقوف على ما كُـتـب عن المملكة في المصادر الغربية فيمكن الوصول إلى ذلك برحلة علمية يطلع على ما يريده مما ينبغي أن يكون عليه بحثه من شمولية، وأما الابتعاث للتخصص في اللغة العربية في البلاد الأوربية فأنا أكرر القول بأنه من أعجب العجب!!

٤- قوله: «وأما استضافة من يخالفوننا في المنهج فيبقون أولاً وأخيراً هم من أبناء البلد، وكونهم يأتون ويستمعون ولم يقدموا أبحاثاً بل حتى لم يتدخلوا بمدخلات، ولكن كونهم استمعوا واختلطوا بأهل العلم والمشايخ لاشك أن بعضهم تغير، ومن لم يتغير فذنبه عليه، ونسأل الله له التوبة والصالح»!! من يخالف في المنهج كالتغريبيين لا ينبغي أن يستضاف ويرسل له تذاكر أو يوجه له دعوة، ومن حضر من غير دعوة لا يُرد استفاد أو لم يستفد ولا يكون له مشاركة ولا مداخلة كما ذكر، وينبغي أن تكون المداخلات ممن يُطمأن إلى سلامة ما يقوله لمعرفة حاله، أما المداخلات من النساء فينبغي أن تكون محررة ويُتلى منها ما يكون سليماً مفيداً حتى لا يتكرر مثل مداخلة السفينة التي اقترحت في مداخلتها التي سمعها الحاضرون في مؤتمر الإرهاب أن تقيم الجامعة مؤتمراً للفن!! وأنت

على الليبراليين!! وقد كتبت بذلك لمعالي المدير بتاريخ ٢٥ / ٤ / ١٤٣١ هـ.

٥- أما قول الشيخ النُّجيمي: «ونحن لا نعلم شخصاً أعلن علمانيته وليبراليته واستضافته الجامعة»، فماذا يقال في استضافة الجامعة سمر المقرن التي استغرب حضورها للجامعة حتى زميلها الصحفي حماد حامد السالمي؟! وقال في صحيفة الجزيرة في ٢٠ / ١ / ١٤٣٢ هـ تحت عنوان: «هُم.. وهُنَّ.. في (الجامعة الإسلامية)؟!»: «من كان يصدق أن زميلتنا الكاتبة المشاكسة سمر المقرن تدخل الجامعة الإسلامية وتدير من حرمها أمسية حوارية من الجانب النسائي، مشاركة مع معالي الشيخ الدكتور (صالح الحميد) رئيس مجلس القضاء الأعلى؟!...!! ... الجامعة الإسلامية بدون شك تتغير إلى الأفضل، وتتطور إلى الأجل، وهي تطوي أمسها لتعيش حاضرها وتلحق بغدها، فمن سار على الدرب وصل»، وهي صاحبة رواية «نساء المنكر» ولها موقع في شبكة المعلومات من يطلع عليه يقف على شيء من منكراتها، وماذا يقال في دعوة الجامعة الإسلامية الدكتور مرزوق بن تنباك لإلقاء محاضرة فيها بعنوان: «دور المستشرقين في دراسة اللغة العربية وآدابها»؟! ولا أعلم شيئاً عما جاء في هذه المحاضرة، لكنه ألقى محاضرة بنادي نجران أثنى فيها على العلمانية، قال عنها تركي الدخيل كما في صحيفة الوطن في ١٨ / ٢ / ١٤٣٢ هـ: «دكتور مرزوق بن تنباك في محاضراته بنادي نجران الأدبي قال بوضوح: لو لم تصبح العلمانية فكراً يسير الحياة الثقافية والسياسية في أوروبا، فهل كنا نتوقع أن تحتوي دولة واحدة مثل إنجلترا على أكثر من ١٣٠٠

مسجد؟ وأضاف العلمانية حيادية وليست ضد الدين، بل هي ضد استبداد رجال الدين، ومع حرية المعتقد، وحينما استدرك عليه أحدهم ممثلاً على عدم التزام أوروبا بالعلمانية والليبرالية مستدلاً بحادثة المآذن في سويسرا والحجاب في باريس أجاب الدكتور مرزوق: إن هذا الطرح تم الرد عليه في مناسبات كثيرة، حيث يرد الفرنسيون والسويسريون الذي صوتوا لمنع المآذن، بأن كثيراً من علماء المسلمين أنفسهم يقرون أن النقاب والمآذن ليستا من أصول الدين الإسلامي، وأنهما من الأمور المستحدثة وفيهما اختلاف كبير، ولذلك هم لم يمنعوا ما يمثل أصول ومظاهر الدين الإسلامي الحقيقية!!! ولوضوح هذا التمجيد للعلمانية فهو مستغن عن أي تعليق!

٦- قوله: «وأما عن قبول طلاب بمعدلات منخفضة لعدم وجود طلبة يرغبون بالالتحاق بغير صحيح»!! أصل علمي بقبول طلاب في قسم التربية معدلاتهم التراكمية تنقص عن ثلاثة وعن اثنين أن أحد أبنائي - وكان أحسن مستوى من بعضهم - استأذني في التقدم للدراسة في هذا القسم، فقلت: إن مستواك لا يؤهلك لذلك، فأحضر لي الورقة المشتملة على أسمائهم، وقد تحدثت مع معالي المدير في ذلك وكتبت له كتابين في ٢/٩/١٤٢٩ هـ وفي ١٢/١/١٤٣٠ هـ، وذكرت له في الثاني رغبة أحد أبنائي للتقدم لهذه الدراسة وأني صرفته عن ذلك لضعف مستواه، وذكرت فيه أسماء المسؤولين الذين أخبروني بعدم وجود العدد المطلوب من المتقدمين

من درجة ممتاز أو جيد جداً، ثم لو كان المتقدمون في المستويات العالية كثيرين فكيف يقدم من مستواه نازل على من مستواه عال؟!

٧- ما ذكره من عدم صحة صرف مكافآت للطلاب الذين يحضرون المؤتمر فقد بلغني من عدة جهات حصول ذلك في المؤتمر الأخير الذي عقده الجامعة في الشهر الماضي، ومثل هذا الخبر من الأمور التي لا تخفى.

٨- وأما ما ذكره عن الجامية فالذي أنكرته نبز بعض المناوئين لأهل السنة بعض أهل السنة بذلك، وأما حصول النيل لبعض المشايخ من بعض أهل السنة فقد بذلت نصحي لهم في رسالة «رفقاً أهل السنة بأهل السنة» وفي الكلمة الأخيرة «ومرة أخرى: رفقاً أهل السنة بأهل السنة»، وأنكرت في (ص ٦٨) من الطبعة الثانية النيل من شيخين فاضلين مدرّسين في المسجد النبوي، ولم ينقطع النيل من بعض الطلاب في الجامعة لبعض المشايخ فتكرر الأسئلة من بعض الطلاب في الجامعة وغيرهم: هل نحضر لفلان المدرس في المسجد النبوي لأنه جرح ونيل منه من بعض المشايخ والطلاب؟ ومن الطلاب المتكلفين من يقول لبعض زملائه: لا بد أن يكون لك موقف من فلان؛ لأن فلاناً جرحه!!

٩- قوله: «بل إننا نفتح على الجميع ونستضيف الجميع والحق أن كل الأبحاث وغالب الجلسات أدارها مشايخ أفاضل وألقى المحاضرات والكلمات مشايخ أفاضل»، من دُعي من المشايخ لإلقاء محاضرة أو إدارة جلسة أو غير ذلك وأمكنه الحضور فلا ينبغي له

التأخر عن إجابة الدعوة لإفادة الحاضرين وحتى لا يبقى المجال مقتصرًا على غيرهم ممن يحصل الانفتاح والاستضافة لهم، ومصيبة الجامعة إنما حصلت بهذا الانفتاح على كل أحد.

والباعث على ما كتبه عن الجامعة الغيرة عليها والرغبة في حصول الرفق بها والخير لها، وكيف لا أغار على جامعةٍ تمكن حبها من قلبي وسرى في عروقي وكنت أول من ألقى فيها درساً في يوم الأحد ١٣٨١/٦/٢ هـ وكان عمر مديرها الحالي في ذلك الوقت ثلاث سنوات، وقد أكرمني الله بالتدريس فيها خمسين سنة كملت في أول جمادى الآخرة من العام الماضي، وفي ست سنوات منها جمعت إلى التدريس كوني مسؤولاً فيها، وخلال نصف هذا القرن يدخل الموظفون والمدرسون والطلاب الجامعة ويخرجون منها وأنا بحمد الله باقٍ فيها مدرساً، وأرجو الله أن يوفقني للإفادة في هذه الجامعة والنصح لها ما بقيت، ولم يمض على دخول الشيخ النجيمي في الجامعة إلا عام واحد تقريباً.

ومن الخير لكل مسؤول في الجامعة أن يكون عمله فيها على السداد وتحقيق الأهداف التي أسست لأجلها وألا يحصل منه أي عمل فيها يعود ضرره عليه وعلى الجامعة.

وأسأل الله ﷻ أن يحفظ هذه الجامعة من كل سوء وأن يبقيا محقة ما أريد من إنشائها، إنه سميع مجيب.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.



مناهجنا الدراسية بريئة من التهم ومتهمها هو المتهم

(٦/٨/١٤٣١هـ)

الحمد لله، وصلى الله وسلم وبارك على رسول الله، نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن ولاه.

وبعد، فإن المناهج الدراسية في المملكة العربية السعودية وُضعت وفقاً للمنهج الذي قامت واستمرت عليه الدولة السعودية، وهو اتباع الكتاب والسنة وما كان عليه سلف الأمة، وذلك منذ نشأتها قبل ثلاثة قرون تقريباً على يد الإمام محمد بن سعود رحمه الله بتأييد من الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله، وبعد مرور أكثر من مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية على يد الملك عبد العزيز رحمه الله بدأ الكلام من بعض الذين في قلوبهم مرض في المناهج الدراسية والنيل منها، وذلك عندما حصل في هذه البلاد من تكفير وتفجير من بعض الشباب أهل السفه والطيش، وكان لذلك آثار سيئة من وجوه مختلفة، ومنها اتهام المناهج الدراسية، وقد ذكرت بعض هذه الآثار في آخر الرسالة التي كتبتها بعنوان: «بذل النصح والتذكير لبقايا المفتونين بالكفر والتفجير» طبعت في عام ١٤٢٧هـ، وطبعت أيضاً في عام ١٤٢٨هـ ضمن مجموع كتبي ورسائلي (٦/٢٢٥-٢٧٩) مع رسالة أخرى قبلها بعنوان: «بأي عقل ودين يكون التفجير والتدمير جهاداً؟! ويحكم أفيقوا يا شباب!!»، وكانت الطبعة الأولى لهذه الرسالة في عام ١٤٢٤هـ، وهذا نص ما قلته حول اتهام بعض من في قلوبهم مرض للمناهج الدراسية:

«٣ - اتّهام مناهج التعليم في المملكة العربية السعودية بأنها سبب

التكفير وما تبعه من تفجير في هذه البلاد، وهذا من مكاييد الشيطان لإخلاء المناهج ممّا فيها من الخير، وهذا النعيق بالاتّهام جاء من الخارج وممن في قلوبهم مرض من الداخل، والمناهج - بحمد الله - بريئة من التّهم، ومتهمها هو المتّهم، والذين ابتلوا بالتكفير والتفجير في هذه البلاد لم يحصل ذلك لهم من المناهج الدراسية، بل دخل عليهم من أبواب شرّ لا صلة لها بالمناهج البتة، وقد اعترف بذلك بعض الذين قبض عليهم منهم، والذي حصل من هؤلاء الشباب هو كالذي حصل من أهل التكفير والتفجير في الجزائر من قبل، لا صلة ولا علاقة لشذوذ وانحراف هؤلاء وهؤلاء بالمناهج الدراسية، ومناهج التعليم وُضعت في عهد الملك عبد العزيز رحمه الله، ولم يحصل لدارسيها إلا الخير، ولم تُتّهم بشيء، فلماذا تأخّر الاتّهام إلى هذا الوقت؟! وكان للتعليم قبل إنشاء وزارة المعارف مديرية عامة، مقرّها مكة المكرمة، وكان مديرها العام الشيخ العلامة محمد بن عبد العزيز بن مانع رحمه الله، وهو من أهل العلم والفضل، وقد وُضعت مناهج التعليم في ذلك الوقت، ولما أنشئت وزارة المعارف بعد وفاة الملك عبد العزيز رحمه الله في عهد الملك سعود رحمه الله، كان خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز - حفظه الله - أول وزير للمعارف، فأقرّ مناهج التعليم، ثم تتابع على الوزارة بعده أربعة وزراء والمناهج التعليمية على ما هي عليه، لم يُوجّه إليها تهمة في هذه العهود المتتابة، وبعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر وما حصل بعدها من تفجير في بلاد الحرمين وغيرها، وُلد هذا الاتّهام الذي كان قبل ذلك في عالم الأموات، وليست المصيبة في هذا الاتّهام نفسه، وإنّما المصيبة في أن يجد قبولاً وأن يُفكّر في تغييرها».

وقد اطلعت على هذين نشرته صحيفة الحياة بتاريخ ١٤/٥/١٤٣١هـ

بعنوان: «ملاحظات على مادة التوحيد» لشخص وصف نفسه أو وصفته الصحيفة بأنه باحث في الشؤون الإسلامية، لا ينتهي عجب الواقف على هذا الهذيان من وصف صاحبه بأنه باحث في الشؤون الإسلامية، ويكفي أن أشير إشارات يسيرة تبين تناهي هذا الناقد للمناهج الدراسية في الجهل. فقد قال في مطلع هذيانه: «إن أغلب أبناء المسلمين يخرجون من بطون أمهاتهم موحدين بالفطرة، ومن هؤلاء الأبناء من يولد في هذا البلد الكريم، أو يقدم إليها مرافقاً لوالده المقيم، فيدخل مدارس المملكة ليتعلم، ومن المواد التي ترافقه من سنته الأولى حتى الثانوية مادة التوحيد، فيخرج حين يشب، بانطباع أن كل من يعيش خارج المملكة خارج عن الملة، وبخاصة أن هذه المادة لا تدرس مطلقاً في أي بلد عربي أو إسلامي».

فقد قصر الولادة على الفطرة على أغلب أبناء المسلمين، ومعنى هذا أن بعض أبناء المسلمين لا يولدون على الفطرة! ومن المعلوم أن بني آدم جميعاً يُولدُون على فطرة التوحيد، سواء كانوا من أبوين مسلمين أو كافرين؛ لقوله ﷺ: «كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه...» الحديث رواه البخاري (١٣٨٥) — واللفظ له — ومسلم (٢٦٥٨) عن أبي هريرة رضي الله عنه، وفي صحيح مسلم (٢٨٦٥) من حديث عياض بن حمار المجاشعي رضي الله عنه: «... وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم، وحرمت عليهم ما أحللت لهم، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطاناً» الحديث، فهذان الحديثان يدلان على أن الناس جميعاً مفطورون على التوحيد، وأن الخروج عنه إلى الشرك يحصل بواسطة الأبوين المشركين وغيرهما من الشياطين، أفمن يجهل هذا ويقصر الولادة على الفطرة على أغلب أبناء المسلمين ويزعم أن من

يدرس مادة التوحيد في المملكة يخرج بانطباع أن كل من يعيش خارج المملكة خارج عن الملة؟!!

أقول: أيكون من يجهل هذا الأمر الواضح ويزعم هذا الزعم الباطل باحثاً في الشؤون الإسلامية مؤهلاً لنقد المناهج الدراسية؟!!

ومن هذيانه قوله: «(في مقابل هذا التصنيف في من هو مشرك وخارج عن الملة نجد في الكتاب نفسه في «باب ما جاء في الرقى والتمائم» شرحاً مطولاً لحديث الرسول ﷺ بأن من استنجدى برجيع دابة أو عظم فقد أشرك، والسؤال يكمن في: هل هناك الآن من يخرج إلى الخلاء من دون ماء؟ وهل يعقل – ونحن في القرن الـ ٢١ – أن نخيف الطالب الصغير ألا يقرب من العظم وروث الدواب لأنها من طعام الجن؟».

أقول لا ينتهي العجب أيضاً من وصف قائل هذا الكلام الساقط البارد بأنه باحث في الشؤون الإسلامية، فإن مجرد حكاية هذا الكلام كاف في ظهور سقوطه وسقوط صاحبه، والحديث الذي أشار إليه ليس فيه وصف المستنجدى بالعظم وبرجيع الدابة بالشرك، بل هذا الوصف بالشرك من الكذب الذي ليس في كتاب مادة التوحيد ولا في حديث رسول الله ﷺ، والحديث رواه النسائي (٥٠٦٧) بإسناد صحيح عن رويفع رضي الله عنه قال: إن رسول الله ﷺ قال: «يا رويفع! لعل الحياة ستطول بك بعدي، فأخبر الناس أنه من عقد لحيته أو تقلد وترّاً أو استنجدى برجيع دابة أو عظم فإن محمداً بريء منه»، وفي مقرر مادة التوحيد للسنة الأولى المتوسطة في شرح هذا الحديث: «وهذه المنهيات السابقة من كبائر الذنوب، لما ورد فيها من الوعيد الشديد (فإن محمداً بريء منه)، فعلى المسلم أن يكون حذراً من الوقوع فيها»، وفرق بين جملة: «فقد أشرك» المكذوبة وجملة: «فإن محمداً

بريء منه»، فإن اللفظ في الحديث لا يفيد الشرك، بل إن مثل هذا اللفظ يدل على أنه من الكبائر، ونظيره ما ثبت في صحيح البخاري (١٢٩٦) ومسلم (٢٨٧) عن أبي موسى رضي الله عنه قال: «أنا بريء مما برئ منه رسول الله ﷺ، فإن رسول الله ﷺ برئ من الصالقة والحالقة والشاقة»، والصالقة: التي ترفع صوتها، والحالقة: التي تحلق شعرها، والشاقة: التي تشق ثوبها وذلك عند المصيبة، فبراءة الرسول ﷺ من الصالقة والحالقة والشاقة من الكبائر وليس من الشرك، والعجب أن الصحيفة أعجبها من هذين باحثها القطعة من الحديث المشتملة على الجملة المكذوبة والتعليق البارد عليها، فقد أبرزت بالحروف المكبرة هذه العبارة: «في كتاب التوحيد أن من استنجد برجيع دابة أو عظم فقد أشرك! هل يُعقل في القرن الـ ٢١ أن نخيف الطالب ألا يقرب من العظم وروث الدواب لأنها من طعام الجن؟!»، وليس في تعليم الطلاب النهي عن الاستنجاء برجيع الدابة والعظم إخافة للطلاب لكونها من طعام الجن كما زعم، بل لأن في الاستنجاء بهما تقديراً لهذا الذي جعله الله طعاماً للجن، وهو من الإيمان بالغيب، والتصديق بذلك من الغيب الذي لا يعرف إلا بالوحي، وقد جعل الله الإيمان بالغيب أول صفات المتقين التي ذكرها في قوله: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ۝ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝ أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۝﴾، والدليل على أن ذلك من الغيب الذي عرف بالوحي ما رواه مسلم في صحيحه (١٠٠٧) عن ابن مسعود رضي الله عنه في قصة مجيء الجن إلى رسول الله ﷺ، وفيه: «وسألوه الزاد، فقال: لكم كل عظم ذكر اسم الله عليه يقع في أيديكم أوفر ما يكون لحماً، وكل بكرة علف لدوابكم»، فقال رسول الله ﷺ: «فلا

تستنجدوا بهما؛ فإنهما طعام إخوانكم»، وفي آخر هذا الحديث بيان الحكمة في النهي عن الاستنجاء بالعظم والبعر.

ومن هديانه قوله: «وربما عمل بني آدم (كذا) — ليس على ملة الإسلام — عملاً أدخله تعالى الجنة بسببه، ففي صحيح مسلم عن أبي هريرة عن النبي قال: (إن امرأة بغياً رأت كلباً في يوم حار يطيف ببئر، فنزعت له بموقها، فغفر لها)، فإذا كان الرحيم قد غفر لامرأة يهودية عاهر، أفلا يغفر لأهل الإسلام الذين يفعلون بما يعتقدون بصحته من توسل واستغاثة بالرسول ﷺ؟!»

أقول: كل ذنب دون الشرك فهو تحت مشيئة الله، إن شاء عذب صاحبه وإن شاء غفر له، وإن عذبه لا يخلّده في النار، وأما الشرك فهو الذنب الذي لا يُغفر ومآل صاحبه إلى النار والخلود فيها؛ قال الله ﷻ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ في آيتين من سورة النساء، وقال: ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾، وقال: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَافِرٍ﴾، وما يعمل الكافر من أعمال حسنة لا يفيده عند الله شيئاً؛ كما قال الله ﷻ: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾، وفي صحيح مسلم (٥١٨) عن عائشة رضي الله عنها قالت: «قلت: يا رسول الله! ابن جدعان كان في الجاهلية يصل الرحم ويطعم المسكين، فهل ذاك نافعه؟ قال: لا ينفعه؛ إنه لم يقل يوماً: رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين».

وأما المرأة البغي من بني إسرائيل التي غفر لها بسقي الكلب كما في صحيح البخاري (٣٣٢١) ومسلم (٥٨٦٠) فليست المغفرة لشرك؛ لأن الشرك لا يغفر، بل المغفرة لذنب البغاء، والأصل أنها على دين صحيح أتبع فيه بعض أنبياء بني إسرائيل،

وبعد نسخ الشرائع السابقة بشريعة نبينا محمد ﷺ فإن المتعين على كل إنسي وجني الإيمان به واتباعه وإلا كان من أصحاب النار؛ كما قال ﷺ: «والذي نفس محمد بيده! لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي أو نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار» رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه (٣٨٦).

وأما ما أشار إليه من تجويز التوسل بالرسول ﷺ والاستغاثة به ومغفرة ذلك ففيه تفصيل، وهو أن التوسل بالأنبياء والصالحين بمعنى سؤال الله بهم فهو من البدع التي لم يدل عليها دليل، وأما الاستغاثة بالأنبياء والملائكة والصالحين فهو من الشرك؛ لأن الاستغاثة نوع من أنواع الدعاء وقد قال الله ﷻ: ﴿وَأَنَّ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾، وقد ذكر شيخنا الشيخ عبد العزيز بن باز رحمته الله هذا التفصيل في آخر منسكه «التحقيق والإيضاح لكثير من مسائل الحج والعمرة والزيارة على ضوء الكتاب والسنة» بعد أن ذكر بعض ما يُفعل عند زيارة القبور من أمور منكرة، قال: «وهذه الأمور المذكورة تجتمع في كونها بدعة، ولكنها مختلفة المراتب، فبعضها بدعة وليس بشرك كدعاء الله سبحانه عند القبور وسؤاله بحق الميت وجاهه ونحو ذلك، وبعضها من الشرك الأكبر كدعاء الموتى والاستعانة بهم ونحو ذلك».

وهذه التعقيبات إنما هي على بعض هذيان هذا الناقد للمناهج الدراسية وهي كافية للتنبيه على بيان جهله، وأن المناهج الدراسية سالمة من اتهامه، ويصدق عليه وعليها قول الشاعر:

وإذا أتتك مذمتي من ناقص فهي الشهادة لي بأني كامل

والمأمول من المسؤولين عن التعليم عدم الالتفات إلى جهل الجاهلين ونعيق الناعقين في النيل من مناهج التعليم بغية إخلائها من بعض الخير الذي فيها.

وأسأل الله ﷻ أن يحفظ بلاد الحرمين حكومةً وشعباً من كل سوء، وأن يقيها

كيد الكائدين ومكر الماكرين وأن يوفق المسؤولين عن التعليم للمحافظة على ما في المناهج الدراسية من خير للعباد والبلاد، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.



كيف يكون مستقبل الدول الإسلامية خيراً من ماضيها؟

(٣٠ / ٣ / ١٤٣٢ هـ)

الحمد لله خالق كل شيء وبيده ملكوت كل شيء، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، فبلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه واستن بسنته إلى يوم الدين.

أما بعد، فكلّ يعلم ما حصل في بعض البلاد الإسلامية من أحداث وتغيرات سبقها مظاهرات ذهب فيها دول وحلّ محلّها دول، وبمناسبة هذه الأحداث والتغيرات أكتب هذه الكلمات لكل من له ولاية في بلاد المسلمين ممن هم باقون في ولايتهم ومن وصل إلى الولاية بعد تلك الأحداث:

١- لا أعلم في الشرع ما يدل على جواز الاعتصامات والمظاهرات التي استوردها كثير من المسلمين من بلاد الغرب وقلدوهم فيها، ويترتب على هذه المظاهرات مفسد أقلها التضيق على الناس في طرقاتهم، يصاحبها أحياناً مظاهرات مضادة ينتج عنها وجود قتلى وجرحى، وقد ينتج عن ذلك سلب ونهب وإخافة

للأمنين، ولا يعني حصولها من بعض المتظاهرين تأييد الشعوب لها، لاسيما إذا كان المتظاهرون لهم توجهات معينة ومآرب خاصة، قال شيخنا الشيخ عبد العزيز ابن باز رحمته الله: «فالمسيرات في الشوارع والاحتفالات والمظاهرات ليست هي الطريق للإصلاح والدعوة، فالطريق الصحيح بالزيارة والمكاتبات بالتي هي أحسن فتصح الرئيس والأمير وشيخ القبيلة بهذا الطريق لا بالعنف والمظاهرة، فالنبي صلى الله عليه وسلم مكث في مكة ثلاث عشرة سنة لم يستعمل المظاهرات ولا المسيرات ولم يهدد الناس بتخريب أموالهم واغتيالهم» مجلة البحوث الإسلامية (٢١٠/٣٨)، وقد وصف الشيخ محمد ناصر الدين الألباني رحمته الله المظاهرات بأنها من عادات الكفار وأساليبهم التي تتناسب مع زعمهم أن الحكم للشعب وتتنافى مع قوله صلى الله عليه وسلم: «خير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم» السلسلة الضعيفة (٦٥٣١).

٢- الأمر لله من قبل ومن بعد؛ وقد قال الله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ يَدُكَ الْخَبِيرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

٣- إن ما حصل لبعض البلاد الإسلامية من تبدل ولايتها لا يعدو الأمر فيها أن يكون مجيء وجوه بدل وجوه إلا إذا حصل عون من الله وتوفيق لمن تكون بيده ولاية الأمر بالالتزام بدين الله وتطبيق شرعه في جميع شؤون الحياة، قال الله تعالى عن أهل الكتاب: ﴿قُلْ يٰٓأَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ﴾، وقال: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَآدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكْمَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ﴾، وما وعد الله به أهل الكتاب إذا أقاموا التوراة والإنجيل هو للمسلمين إذا قاموا بتطبيق كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، والمسلمون ليسوا على شيء حتى يقيموا ما أنزل إليهم من ربهم في كتابه وسنة رسوله ﷺ؛ قال سفيان بن عيينة رحمه الله: «ما في القرآن آية أشد عليّ من ﴿لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ﴾» فتح الباري (٨/ ٢٦٩)، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَأَتَّقَوْا لَفَنَحْنَاهُمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾.

٤- إنما يكون مستقبل الدول الإسلامية جميعها خيراً من ماضيها بالالتزام بدين الله وتطبيق شريعته في جميع شؤون الحياة والتخلص من القوانين الوضعية المستوردة من الدول الغربية وغيرها، وكيف يليق أن تُحكم البلاد الإسلامية بغير شريعة الله الكاملة المنزلة من العليم الحكيم سبحانه وتعالى التي الفرق بينها وبين القوانين الوضعية كالفرق بين الخالق والمخلوق؟! فالمتعين على كل وال يلي أمر المسلمين الحكم فيهم بشرع الله والابتعاد عن القوانين الوضعية، وقد قال الله ﷻ: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾، وقال: ﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حُكْمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا﴾، وقال: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾، وقال: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ﴾، وقال: ﴿وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدًى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَلَئِنْ اتَّبَعْتَ

أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٧﴾، وقال: ﴿قُلْ إِنْ أَلْهَدْتُمُ هُدَى اللَّهِ﴾، وقال: ﴿فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ﴾، وقال: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ﴾، وقال: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّيْنَاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾، وقال: ﴿اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾، وقال: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا﴾، وقال: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾، وقال: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾، وقال: ﴿فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾، وقال: ﴿فَمَن آتَبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ﴿١٣﴾ وَمَن أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى ﴿١٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ﴿١٥﴾ قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسى﴾، وبعد تذكير الولاية بهذه الآيات أذكرهم بقول الله ﷻ: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾، وقوله: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴿١٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا هُمْ أَزْدُوا عَلَى أَذْذِهِمْ مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمُ الْهُدَى ۖ الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمَلَى لَهُمْ﴾، وقوله: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْنَاهُ خَشْيَعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾، وقوله: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَبِيرٌ مِّنْهُمْ فَسَقُوا﴾، وقوله: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَ يَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

٥- وبتطبيق ولاية المسلمين شريعة الله ﷻ ونصرة دينه يحصل لهم النصر وتثبيت الأقدام والتمكين في الأرض والاستخلاف فيها كما قال الله ﷻ: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن نَّصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾، وقال: ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ (١٦٩) الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَءَاتَوْا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عِاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾، وقال: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾، وقال ﷺ: «(احفظ الله يحفظك)» أخرجه الترمذي (٢٥١٦) وقال: حديث حسن صحيح، وبإعراض ولاية المسلمين عن تطبيق شرع الله وركونهم إلى أعدائهم يظفرون بالخذلان والذلة والهوان كما قال الله ﷻ: ﴿إِن يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذَلْكُمْ فَمَن ذَا الَّذِي يَنْصُرْكُمْ مِّن بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾، وقال: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرْدُدْكُمْ عَلَىٰ أعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾ (١٦٩) بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ﴾، وقال: ﴿وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرَّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾، وقال ﷺ: «(وجعل الذلة والصغار على من خالف أمري)» رواه أحمد (٥١١٤) وغيره وسنده حسن، وقال قتادة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «(من ترك الحق مرج عليه رأيه والتبس عليه دينه)» تفسير ابن جرير (٤٠٧/٢١).

وأسأل الله ﷻ أن يوفق المسلمين في كل مكان حاكمين ومحكومين للفقهِ في الدين والثبات على الحق والخروج من الظلمات إلى النور إنه

سميع مجيب

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



خطورة الإفساد في بلاد الحرمين بعد إصلاحها

(٣/٤/١٤٣٢هـ)

الحمد لله رب العالمين القائل في كتابه المبين: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد، فإن من نعم الله ﷻ على بلاد الحرمين في هذا الزمان أن جعل ولايتها في أسرة سعودية بدأت قبل مائة عام على يد الملك عبد العزيز رحمه الله، وهي امتداد للدولة السعودية الأولى التي بدأت في منتصف القرن الثاني عشر الهجري على يد الإمام محمد بن سعود بتسديد وتأييد من الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمهما الله، وقد كتب الله لهذه الدولة البقاء والاستمرار في هذه القرون الثلاثة لتأسيسها على تحكيم شرع الله ونصرة دينه والأمر بالمعروف والنهي المنكر.

ومنذ شهرين تقريباً حصل في بعض الدول الإسلامية أحداث وتغيرات سبقها مظاهرات، ذهب فيها دول وحل محلها دول، وقد كتبت كلمة بعنوان: «كيف يكون مستقبل الدول الإسلامية خيراً من ماضيها؟» نشرت في ٣٠/٣/١٤٣٢هـ، ذكرت فيها أنني لا أعلم دليلاً في الشرع على جواز المظاهرات، ونقلت عن شيخنا الشيخ عبد العزيز بن باز والشيخ محمد ناصر الدين الألباني رحمهما الله المنع من ذلك، وذكرت أن هذه التغيرات في هذه الأحداث لا يعدو أن يكون الحال فيها

ذهاب وجوه ومجيء وجوه إلا إن حصل توفيق من الله لمن هم باقون في الولاية في البلاد الإسلامية ولمن وصل إليها بعد تلك الأحداث بالالتزام بدين الله وتطبيق شرعه في جميع شؤون الحياة، وذكرت آيات كثيرة في وجوب التزام الولاية بتحكيم شريعة الإسلام وأن النصر والتأييد من الله يحصل بالقيام بهذا الواجب، وأن الإعراض عن ذلك فيه الخذلان والذلة والهوان.

وبعد تلك الأحداث في بعض البلاد الإسلامية يحاول فئة قليلة جداً من الناس في هذه البلاد نقل هذه العدوى إلى بلاد الحرمين؛ زاعمين سعيهم إلى تحقيق مصالح الشعب السعودي! ولا شك أن ثقل عدوى المظاهرات والاعتصامات والمسيرات إلى هذه البلاد جناة على أنفسهم قبل أن يكونوا جناة على غيرهم؛ لأن الدولة في هذه البلاد قائمة على تحكيم شريعة الإسلام، ومثل هذه المحاولات فيها سعي لإضعاف التمسك بالأسس التي قامت عليها الدولة؛ لأن محاولتهم مبنية على تقليد الغرب والأخذ بديمقراطيته المخالفة لشريعة الإسلام، وقد كتبت رسالة بعنوان: «العدل في شريعة الإسلام وليس في الديمقراطية المزعومة» طبعت عام ١٤٢٦هـ.

ومن هؤلاء تسعة رهط زعموا تأسيس حزب في هذه البلاد باسم: حزب الأمة الإسلامي، وأنهم الهيئة التأسيسية لهذا الحزب، نشروا هذا الزعم في شبكة المعلومات الانترنت تحت عنوان: «نحو تأسيس أول حزب سياسي في السعودية»، قال المتحدث عن هذا الحزب المزعوم: «إن الإعلان عن الحزب جاء استجابة طبيعية لتطور الأوضاع السياسية في المنطقة وتطور العمل السياسي في المملكة وقد آن الأوان لإقرار الحقوق السياسية وإطلاق الحريات العامة والمساواة لإقرار حق الشعب في انتخاب مجلس الشورى وتهيئة التشريعات لتنظيم كافة هذه الحقوق السياسية»، وزعموا أن هذا الحزب المزعوم جاء ليسهم في دفع حركة الإصلاح السياسي السلمي الذي يتطلع إليه الشعب كافة على اختلاف مكوناته، كل ذلك

على ضوء هدايات الكتاب والسنة وسنن الخلفاء الراشدين في باب سياسة الأمة، وزعموا أن من أبرز مبادئ الحزب: «حق الأمة في اختيار الحكومة اختياراً حراً مباشراً»، ويدعو الحزب المزعوم إلى النهوض بدور المرأة في المجتمع وتعزيز دورها الإيجابي وإقرار كافة حقوقها الشرعية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية والعلمية والمهنية والعناية بالإنسان، وينص النظام الأساسي للحزب المزعوم على أن: «الشريعة الإسلامية مصدر التشريع الوحيد، والأمة مصدر السلطة، وأن الحقوق والحريات الشرعية مصونة للجميع بما في ذلك حق إبداء الرأي ونقد السلطة»، هذا بعض ما اشتمل عليه هديانهم عن حزبهم، ولو سموه: «حزب التسعة الرهط» لطابق الاسم المسمى؛ وقد قال الله في قصة ثمود: ﴿وَكَاثِبَةُ الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾، وقال عن نبيه صالح عليه الصلاة والسلام أنه قال لقومه: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ﴾ (١٥) الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ، والعجب زعمهم لحزبهم أن الشريعة الإسلامية مصدر التشريع الوحيد، وأنه متفق مع هدايات الكتاب والسنة وسنن الخلفاء الراشدين في باب سياسة الأمة؛ فإن من يطلع على بيانهم ومنه ما نقلته هنا يتضح له أن الشريعة الإسلامية في واد وما زعموه عن حزبهم في واد آخر، ومن أعجب العجب زعمهم أن حزبهم جاء ليسهم في دفع حركة الإصلاح السياسي السلمي الذي يتطلع إليه الشعب كافة؛ فإن الشعب كافة على خلاف اتجاه هذا الحزب المزعوم لا يُستثنى منه إلا هؤلاء التسعة الرهط ومن على شاكلتهم ممن يلهثون وراء الغرب.

وقد ظلت النساء في بلاد الحرمين محافظة على الحشمة والحجاب والبعد عن الاختلاط بالرجال، وقبل سنوات قليلة بدأ انفلاتهن وإخلاهن بالأخلاق الكريمة التي سارت عليها النساء في هذه البلاد، وقد أحزن ذلك كل غيور على هذه البلاد حريص على سلامتها وسلامة دولتها، ومع هذا الانفلات فإن حزب التسعة الرهط

المنافس لهذه الدولة لم يرضه ذلك، بل أراد أن تكون النساء في هذه البلاد كالنساء في بلاد الغرب كما هو واضح فيما نقلته عن بيانه، وقد كتبت في التحذير من انفلات النساء في هذه البلاد اثنتين وعشرين كلمة في خلال عامين، أولها في تاريخ ١٨/٢/١٤٣٠هـ بعنوان: «دعاة التغريب ومتبعو الأهواء والشهوات هم الذين وراء بدء انفلات النساء أخيراً في بلاد الحرمين»، وآخرها في تاريخ ٧/٢/١٤٣٢هـ بعنوان: «لا يليق بأهل المجد أن يكونوا مستنداً للتغريبيين الماكرين بمجدهم»، ومنها كلمة بعنوان: «نحب لدولتنا السعودية دوام عزها ونبغض التغريبيين الساعين بمكرهم لإضعافها» نشرت في تاريخ ٢٠/٨/١٤٣١هـ، والتسعة الرهط ومن على شاكلتهم هم من التغريبيين الساعين بمكرهم لإضعافها، ومنها كلمة بعنوان: «المرأة في بلاد الحرمين بين أنصارها حقاً وأدعياء نصره حقوقها» نشرت في تاريخ ٢٣/١٢/١٤٣١هـ، وما حصل في الآونة الأخيرة من انفلات النساء وكذا إنشاء كليات حقوق وقانون وذوبان الجامعات الإسلامية وإضعافها في مجالات اختصاصها وغير ذلك من الأمور التي لا تنبغي ليس مردّه إلى ولي الأمر لما فيه من خير وصلاح، بل مردّه إلى البطانة؛ وقد كان في رئاسة الديوان الملكي رجل فاضل مدةً تزيد على ثلاثة عقود في عهود الملوك فيصل وخالد وفهد رحمهم الله وكان همزة وصل بين الملك وأهل الخير ولا سيما شيخنا الشيخ عبد العزيز بن باز رحمته الله، وبعد إقالته قبل عدة سنوات ومجيء غيره تغيرت الحال، والله المستعان، وقد قال رحمته الله: «ما استخلف خليفة إلا له بطانتان: بطانة تأمره بالخير وتحضه عليه، وبطانة تأمره بالشر وتحضه عليه، والمعصوم من عصم الله» رواه البخاري (٦٦١١)، وأهم إصلاح يُنتظر التخلص منه ومن كل بطانة سيئة ومن كل مسئول يسعى إلى الإخلال بالمكاسب التي ورّثها الملك عبد العزيز رحمته الله، والأسس التي قامت عليها هذه الدولة وكانت سبب بقائها، وقد عشنا

وعاش آباؤنا وأجدادنا في ولايتها على خير في أمن وإيمان.

وقريب من التسعة الرهط أصحاب الرسالة الموجهة لخدام الحرمين المنشورة في شبكة المعلومات تحت عنوان: «نحو دولة الحقوق والمؤسسات»، فقد جاء في رسالتهم التي حررها قليل منهم وجمعوا عليها توقيعات كثيرة من رجال ونساء ما يلي: «خادم الحرمين الشريفين: إن الثورات التي بدأها الشباب وانضم لهم الشعب بكل فئاته ومكوناته في كل من تونس ومصر وليبيا وغيرها لتؤذن بأن القائمين على الأمر في البلاد العربية ما لم يستمعوا لصوت الشباب وتطلعاتهم وطموحاتهم ويصغوا لمطالب شعوبهم في الإصلاح والتنمية والحرية والكرامة ورفع الظلم ومقاومة الفساد، فإن الأمور مرشحة لأن تؤول إلى عواقب وخيمة وفوضى عارمة تسفك فيها الدماء وتنتهك فيه الحرمات ويختل فيها الأمن»، ومن جملة الإصلاحات التي ينشدها من حرر الرسالة: «١- أن يكون مجلس الشورى منتخباً بكامل أعضائه، وأن تكون له الصلاحية الكاملة في سنّ الأنظمة والرقابة على الجهات التنفيذية بما في ذلك الرقابة على المال العام، وله حق مساءلة رئيس الوزراء ووزرائه، ٢- فصل رئاسة الوزراء عن الملك على أن يحظى رئيس مجلس الوزراء ووزارته بتزكية الملك وبثقة مجلس الشورى»!! وختم الرسالة من حررها بقوله: «والالتزام بصور التعبير السلمي»!!

وأعلق على بعض ما جاء في الرسالة بما يلي:

- ١- كل يعلم الفرق الواضح بين البلاد الإسلامية التي حصل فيها ثورات وبين البلاد السعودية التي تحكم شريعة الإسلام، فلا يليق هذا التخويف والاصطياد في هذا الماء العكر، ومخاطبة ولي الأمر بمثل هذا الأسلوب الثائر!
- ٢- ما جاء في الرسالة عن مجلس الشورى ومجلس الوزراء وغير ذلك مما فيه تقليد الغرب لا يليق بالمسلمين التفكير في تقليدهم فيه فضلاً عن الدعوة إليه، وما

ذُكر من فصل مجلس الوزراء عن الملك هو تقليد لدولة الاستعمار الأولى التي فيها الأمر بيد رئيس الوزراء وأعوانه، والملك فيها أو الملكة شيء صوري، وقد بقي على هذا النظام بعض الدول التي استعمرتها كالهند وغيرها وكذا ركيزتها في أرض فلسطين الدولة اليهودية.

٣- أما الجملة التي ختمت بها الرسالة، فإن كان المراد بها الاعتصامات والمسيرات والمظاهرات فلا يليق بأحد من أهل هذه البلاد فعلها أو الدعوة إليها؛ لأنها ليست من الإسلام، وإنما هي مستوردة من الغرب الذي فُتن به عدد قليل من أهل هذه البلاد.

٤- أما الإصلاحات المتعلقة بإيجاد فرص العمل للعاطلين وتحسين أحوال المعيشة في هذه البلاد فهذا أمر مطلوب، وقد قامت الدولة بشيء من ذلك، والمأمول المزيد من مثل هذه الإصلاحات.

وكل من يريد التغيير في هذه البلاد بما يتفق مع ما كان عليه الغرب إما أن يكون ابتلي بمرض الشبهات وهو يريد الحرية في الرأي ولو كانت انحلالاً، أو ابتلي بمرض الشهوات في النساء وغيرها أو يريد الوصول إلى شيء من الولايات، ومعلوم أن الولايات لا تتسع لكل أحد ولا تستوعب كل من أرادها، ومن فُكر فيها ولم يظفر بها فعليه الصبر، ولا يجوز له أن يسلك مسالك تنتهي إلى إلحاق الضرر به وبغيره، ومن حرص عليها ونالها آل أمره إلى الندامة؛ فقد قال ﷺ: «إنكم ستحرصون على الإمارة، وستكون ندامة يوم القيامة، فنعم المرزعة وبئست الفاطمة» رواه البخاري (٧١٤٨) عن أبي هريرة رضي الله عنه، وقال ﷺ: «ما ذئبان جائعان أرسلا في غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه» رواه الترمذي (٢٣٧٦) وقال: «هذا حديث حسن صحيح»، قال ابن رجب في الجزء الذي شرح فيه هذا الحديث (ص ١٥): «فأخبر النبي ﷺ أن حرص المرء على المال

والشرف إفساد لدينه ليس بأقل من إفساد الذئبين لهذه الغنم، بل إما يكون مساوياً وإما أكثر»، وقال (ص ٢٩): «وأما حرص المرء على الشرف فهو أشد هلاكاً من الحرص على المال؛ فإن طلب شرف الدنيا والرفعة فيها والرياسة على الناس والعلو في الأرض أضر على العبد من طلب المال، وضرره أعظم والزهد فيه أصعب؛ فإن المال يُبذل في طلب الرياسة والشرف».

ومن يقدم الشر الذي جاء من الغرب على الخير الذي جاء من السماء أو يسعى لهذا التقديم له شبه قوي بشمود الذين قال الله فيهم: ﴿وَأَمَّا تُمُودُ فَهَدَيْتَهُمْ فَأَسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى﴾، وبني إسرائيل الذين استبدلوا بالمن والسلوى البصل والكراث وقال الله فيهم: ﴿أَنْتَبِذُوا آلَئِذٍ هُوَ آذَنٌ بِالَّذِي هُمْ يَخْتَفُونَ﴾، وبالمنافيين الذين قال الله فيهم: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبَّحَتْ بِمَنْحَتِهِمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾، والفرق بين ما جاء عن الله وعن غيره كالفرق بين الله وخالقه.

ومن الخير لكل من في هذه البلاد من أهلها وغيرهم أن يكونوا مفاتيح للخير ومغاليق للشر، وأن يحرصوا على أن يكونوا ممن قال الله فيهم: ﴿وَالَّذِينَ يَمْسِكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نَضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ﴾، وقال: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾، وقال: ﴿وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُشْرِكِينَ﴾ ﴿١٥١﴾ الَّذِينَ يَفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾، وقال: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾، وقال: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِمَّنْ الْمُحْسِنِينَ﴾، قال ابن كثير في تفسير هذه الآية: «ينهى تعالى عن الإفساد في الأرض وما أضره بعد الإصلاح! فإنه إذا كانت الأمور ماشية على السداد ثم وقع الإفساد بعد ذلك كان أضر ما يكون على العباد، فنهى تعالى عن ذلك»، وأن يحذروا أن يكونوا من مغاليق الخير ومفاتيح الشر، ويحرصوا على أن لا يكونوا ممن قال الله فيهم: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ﴾، وقال: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا

الْقَوْلَ فَدَمَرْنَهَا تَدْمِيرًا ۖ»، وقال: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ۖ﴾ ١١) أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ ۖ»، وقال: ﴿خَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا ۖ»، وقال: ﴿وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهْوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا ۖ»، وما أحسن وأجمل قول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «تكون أمورٌ مشتهاتٌ، فعليكم بالتؤدة؛ فإنَّ أحدكم أن يكون تابعاً في الخير خيراً من أن يكون رأساً في الشرِّ» رواه البيهقي في الشعب (٢٩٧/٧)، وما أحوج كل مسلم ناصح لنفسه عند الفتن إلى الأخذ بهذه الحكمة الحكيمة.

وأسأل الله تعالى أن يحفظ على بلاد الحرمين أمنها وإيمانها وسلامتها وإسلامها، وأن يجنبها الفتن ما ظهر منها وما بطن، وأن يوفق ولاة أمرها لكل ما فيه الخير للإسلام والمسلمين في هذه البلاد وغيرها؛ إنه جواد كريم.

وصلّى الله وسلّم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



من أسوأ المفسدين في بلاد الحرمين تركي الحمد

(٤/٤ / ١٤٣٢ هـ)

الحمد لله، وصلّى الله وسلّم وبارك على نبينا محمد رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، ومن سلك سبيله واهتدى بهداه.

و بعد، فقد كتبت كلمة بعنوان: «خطورة الإفساد في بلاد الحرمين بعد إصلاحها» نشرت بالأمس، أشرت فيها إلى تسعة رهط زعموا تأسيس أول حزب سياسي في السعودية وأنهم الهيئة التأسيسية لهذا الحزب المزعوم، ونقلت جملاً من هذيانهم عن هذا الحزب، وأشرت أيضاً إلى رسالة موجهة إلى خادم الحرمين الشريفين حررها بعضهم وجمعوا عليها توقيعات كثيرة

من رجال ونساء، وقد اتفقت هاتان الفئتان في الرغبة في إصلاحات في الدولة ومن الدولة تتناسب مع ما جاء من الغرب وتحالف ما جاءت به الشريعة الإسلامية، وبينت فساد هذا الاتجاه.

وبعد مضي ساعة من نشر هذه الكلمة اطلعت على مطالب لفئة ثالثة تحت عنوان: «نداء من مثقفين سعوديين إلى القادة السياسية: إعلان وطني للإصلاح»، مما جاء فيه: «إن الوضع الراهن مليء بالمحاذير وأسباب القلق ... الأمر الذي يُخشى أن يؤدي إلى نتائج كارثية على البلاد والعباد»، «لهذا فإننا نتطلع إلى إعلان ملكي يؤكد بوضوح على التزام الدولة بالتحول إلى ملكية دستورية»، «والتأكيد على مسؤولية الدولة في ضمان حقوق الإنسان، وكفالة حق التعبير السلمي عن الرأي، وتعزيز الحريات العامة، بما فيها الحق في تكوين الجمعيات السياسية والمهنية»، «اعتماد الانتخاب العام والمباشر وسيلة لتشكيل المجالس البلدية ومجالس المناطق ومجلس الشورى، ومشاركة النساء في الترشيح والانتخاب»، «والمطلوب اتخاذ الإجراءات القانونية والمؤسسية الكفيلة بتمكين النساء من نيل حقوقهن في التعلم والتملك والعمل والمشاركة في الشأن العام دون تمييز».

وما جاء عن هذه الفئة الثالثة في ندائهم متفق مع ما جاء عن الفئتين قبلها، فقد تشابهت قلوبهم، وما أجبت به عن الفئتين الأوليين هو الجواب عن هذه الفئة الثالثة، وقد سلكت هذه الفئة مسلك الفئة الثانية التي حرر مطالبها بعضهم ثم جمّعوا عليها توقعيات كثيرة من رجال ونساء، لكن هذه الفئة الثالثة في طليعة من وقّع على ندائها - وقد يكون هو الذي حرر مطالبها - رجل زنديق محارب لله ولدينه، وقد استكثر بتوقعيات أربعة من أولاده،

وسبق أن كتبت عنه ثلاث كلمات: الأولى بعنوان: «الحق أن المستحق للمحاكمة هو تركي الحمد.. وقد طلبت محاكمته قبل ثمان سنين» نشرت في ١٤٢٩/٩/٢٠هـ، والثانية بعنوان: «كلمة أخرى حول زندقة تركي الحمد» نشرت في ١٤٣٠/٥/٢٦هـ، والثالثة بعنوان: «كلمة ثالثة حول زندقة تركي الحمد» نشرت في ١٤٣١/٦/٢٤هـ، وقد ذكرت فيها نماذج من كلماته القبيحة الواضحة في كفره وزندقته واستهزائه بالله وشرعه اشتمل عليها كتابه «الكراديب»، وأعيد ذكرها هنا ليقف على منتهى قبحها وفضاعتها من لم يقف على الكلمات السابقة:

١- قوله (ص ٥٠): «دع الله وشأنه».

٢- قوله (ص ٧٨): «الانتحار نصر على الله، في الانتحار تفوت الفرصة على الله أن يختار لك مصيرك».

٣- قوله (ص ١٢٠): «إبداع الشيعيين ليس مثله إبداع».

٤- قوله (ص ١٣٧): «فالله والشيطان واحد هنا وكلاهما وجهان لعملة واحدة».

٥- قوله (ص ١٣٨): «هناك جنة ونار معاً، الله وشيطان، نبي وفرعون، وكل في قدر يسبحون».

٦- قوله (ص ١٨٧): «فنحن لا ندري إلى أي عالم سنكون، وإلى أي حياة أو فناء سنؤول».

٧- قوله (ص ٢٧٤): «وقد يكون ما يسير الدنيا هو القدر أو العبث أو الحتم أو الصيرورة لا ندري».

وإذا كانت هذه حال من هو في طليعة أصحاب هذا النداء - وقد يكون

من تحريره، وقد استكثر بتوقعات أولاده - فإنه يصدق عليه وعلى الذين تابعوه بتوقعاتهم قول الشاعر:

ومن جعل الغراب له دليلاً يمر به على جيف الكلاب

ويصدق عليه وعلى الدولة قول الشاعر:

ومن يجعل المعروف في غير أهله يلاقي ما لاقي مجير أم عامر

«وأم عامر» هي: الضبع.

وكل من له عقل ودين ويطلع على كلماته القبيحة المشتملة على الاستهزاء بالله ودينه يمقته ويمتلئ قلبه بغضاً له.

وكل ما جاء عن الفئات الثلاث مخالفاً لما جاءت به الشريعة - مما زعموه إصلاحاً - لا يجوز الالتفات إليه ويجب إهماله، وأما المحافظة على المال العام ووضعه في مصارفه الشرعية وتيسير وصوله إلى كل من يستحقه شرعاً، وإيجاد فرص العمل للعاطلين، وكل ما فيه تحسين المعيشة فكل ذلك مطلوب.

ومن الخير لكل مسلم ناصح لنفسه في هذه البلاد الحرص على جمع الكلمة ونبذ الفرقة، والحذر من إثارة الفتن التي تعصف بالبلاد وتكدر صفو أهلها وتؤدي إلى عواقب وخيمة.

وأسأل الله عز وجل أن يحفظ بلاد الحرمين وأهلها من كل سوء، وأن يهيئ لهم من أمرهم رشداً، وأن يوفقهم حاكمين ومحكومين لما تحمد عاقبته في الدنيا والآخرة؛ إنه سميع مجيب.

وصلّى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



تنبيهات على مقالٍ حول إباحة المظاهرات السلمية

(٢٢/٤/١٤٣٢هـ)

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله
نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

و بعد، فقد اطلعت على كلمة لأحد المشايخ بعنوان: «نظرات
شرعية في وسائل التعبير العصرية» نشرت في ٢٥/٣/١٤٣٢هـ بعد
المظاهرات والأحداث التي حصلت في بعض دول شمال أفريقيا، وقد
اشتملت على تأييد المظاهرات السلمية وأنها شرعية، وكان اطلاعي
عليها بعد نصف شهر من نشرها، وقد نشر بعد هذه الكلمة إيضاحاً
ذكر فيه أن صاحب الموقع الذي نُشرت فيه الكلمة اقترح عليه حذفها
مخافة أن يستغلها أهل السوء والجهل من بعض الشباب والكتاب
والصحفيين وأنه وافق على هذا الاقتراح، وقد أحسنا جميعاً في حذفها،
ولكون الكلمة انتشرت في مواقع أخرى أعلق على بعض ما جاء فيها بما
يلي:

١- قوله: «وقد كثر الخوض في حكمها (المظاهرات السلمية) بعد
الثورة الشعبية السلمية في تونس ومصر وليبيا وغيرها، وكل هذه
الثورات لم يسفك المتظاهرون فيها دماً ولم يشهروا سلاحاً ولم ينهكوا
نفساً أو يفسدوا شيئاً من الممتلكات»، لا يخفى أن هذه المظاهرات التي
ذهب فيها دولتان صاحبها اختلال في الأمن وحصول مفاصد وترتب
عليها سلب ونهب وسفك دماء وأقل أضرارها التضيق على الناس في
طرقاتهم وحصول الرعب للآمنين ثم إن الذين يقومون بتصريف
الأعمال في الفترة الانتقالية بين الماضي والمستقبل لم يجر على ألسنتهم - في

ما علمت - ذكر أي شيء فيه السعي لتطبيق شريعة الله في هذين البلدين المسلمين وكل ما في الأمر عندهم هو الدندنة حول ترسيخ الديمقراطية المستوردة من الغرب المباينة لشريعة الإسلام وإذا لم يتم للمسلمين في تلك البلاد حكمهم بشريعة ربهم فأني مكاسب ينشدونها بعد تلك الثورات التي لا يعدو الحال فيها أن يجيء وجوه بدل وجوه مع بقاء حليمة على عاداتها القديمة كما في المثل، والله المستعان.

٢- قوله: «إن حق المسلم في حرية التعبير عن رأيه أكثر الحقوق التصاقاً بحق الحياة... إن التعدي على حرية التعبير ظلم وإهدار لكرامة الإنسان و تقييدها و إلزامه بتقليد الغير ووجوب التبعية له»، حرية التعبير للمسلم تكون في حدود ما هو سائغ شرعاً، وما أُطلق عليه تعبير سلمى كالمظاهرات والاعتصامات والمسيرات يُرجع في معرفة حكمه شرعاً إلى أهل العلم، ومن أبرز علماء الشريعة في هذا العصر شيخنا الشيخ عبد العزيز ابن باز رحمته الله وقد قال: «فالمسيرات في الشوارع والاحتفالات والمظاهرات ليست هي الطريق للإصلاح والدعوة، فالطريق الصحيح بالزيارة والمكاتبات بالتي هي أحسن فتتصح الرئيس والأمير وشيخ القبيلة بهذا الطريق لا بالعنف والمظاهرة، فالنبي ﷺ مكث في مكة ثلاث عشرة سنة لم يستعمل المظاهرات ولا المسيرات ولم يهدد الناس بتخريب أموالهم واغتيالهم» مجلة البحوث الإسلامية (٢١٠/٣٨)، وكلامه واضح في منع المظاهرات السلمية وغير السلمية لا كما فهمه عنه صاحب المقال في قوله: «فسماحته لم يعترض على المظاهرات السلمية وإنما منع المظاهرات غير السلمية وهي التي ينتج منها المفاسد والفتن وهذه حرام ولا شك»، قال ذلك تعليقاً على قول

سماحته رحمته الله: «إن العلماء وجميع الدعاة وأنصار الحق أوصوا بتجنب المسيرات والمظاهرات التي تضر بالدعوة ولا تنفعها وتسبب الفرقة بين المسلمين والفتنة بين الحكام والمحكومين» مجموع الفتاوى (٣٤٤ / ٧)، ومنهم الشيخ محمد بن صالح العثيمين رحمته الله فقد قال في لقاء الباب المفتوح (١٧٩) في جواب سؤال يتعلق بالمظاهرات؛ قال: «عليك باتباع السلف، إن كان هذا موجوداً عند السلف فهو خير، وإن لم يكن موجوداً فهو شر، ولا شك أن المظاهرات شر؛ لأنها تؤدي إلى الفوضى لا من المتظاهرين ولا من الآخرين، وربما يحصل فيها اعتداء؛ إما على الأعراس، وإما على الأموال. ، وإما على الأبدان؛ لأن الناس في خضم هذه الفوضوية قد يكون الإنسان كالسكران ما يدري ما يقول ولا ما يفعل، فالمظاهرات كلها شر سواء أذن فيها الحاكم أو لم يأذن، وإذن بعض الحكام بها ما هي إلا دعاية، وإلا لو رجعت إلى ما في قلبه لكان يكرهها أشد كراهة، لكن يتظاهر بأنه كما يقولون: ديمقراطي وأنه قد فتح باب الحرية للناس، وهذا ليس من طريقة السلف»، ومنهم الشيخ محمد ناصر الدين الألباني رحمته الله فقد وصف المظاهرات بأنها من عادات الكفار وأساليبهم التي تتناسب مع زعمهم أن الحكم للشعب وتتنافى مع قوله عليه السلام: «خير الهدى هدى محمد عليه السلام»، السلسلة الضعيفة (٦٥٣١)، ومما جاء في بيان هيئة كبار العلماء بالملكة العربية السعودية بتاريخ ١٤٣٢ / ٤ / ١ هـ: «وبما أن المملكة العربية السعودية قائمة على الكتاب والسنة والبيعة ولزوم الجماعة والطاعة فإن الإصلاح والنصيحة فيها لا تكون بالمظاهرات والوسائل والأساليب التي تثير الفتن وتفرق الجماعة، وهذا ما قرره علماء هذه البلاد قديماً وحديثاً من تحريمها،

والتحذير منها، والهيئة إذ تؤكد على حرمة المظاهرات في هذه البلاد، فإن الأسلوب الشرعي الذي يحقق المصلحة، ولا يكون معه مفسدة، هو المناصحة وهي التي سنّها النبي ﷺ وسار عليها أصحابه الكرام وأتباعهم بإحسان»، وليس من اللائق بصاحب المقال تسويغه في مقاله قيام عدد من النساء قل أو كثر أمام وزارة الداخلية أو وزارة العدل أو المحكمة الشرعية أو دار الإفتاء يطالبن بتوظيفهن أو رفع ظلم أوليائهن ...، والطريق السليم أن تتقدم كل واحدة إلى الجهات المسؤولة في حاجتها أو بيان مظلمتها وطلب رفع الظلم عنها.

٣- قوله: «(إن حرية التعبير في الإسلام هي أساس الدعوة إلى الخير قال تعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾»، وأصول المعروف والمنكر منصوصة كلها في الكتاب والسنة ولكن أصنافها وأنواعها وأعدادها تتكاثر وتتسارع بتكاثر البشر وتوالدهم قال تعالى: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾»، والمظاهرة السلمية أحد مظاهر حرية التعبير لأنها تسعى لإعادة حقوق الشعب المسلوبة و المتعدى عليها ...»، ليس من اللائق إقحام ما يسمى بالمظاهرات السلمية في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة إلى الخير لأنها مستوردة من الغرب ويترتب عليها مفسد أقلها التضيق على الناس في طرقاتهم كما أشرت إلى ذلك آنفاً، وهي من جملة المظاهرات التي منع منها علماء هذه البلاد وغيرهم الذين نقلت كلامهم في ذلك.

٤- جاء في المقال وصف ولي الأمر الذي يسمع له ويطاع بالعدل في ثلاثة مواضع، وهذا التقييد بالعدل خلاف ما دلت عليه النصوص من

الكتاب والسنة التي أمرت بالسمع والطاعة للولاء مطلقاً ما لم يأمرُوا بمعصية، منها ما رواه مسلم في صحيحه (١٨٤٦) من حديث وائل بن حجر رضي الله عنه قال: «سأل سلمة بن يزيد الجعفي رسول الله ﷺ، فقال: يا نبي الله! أرايت إن قامت علينا أمراء يسألونا حقهم ويمنعونا حقنا؟ فقال رسول الله ﷺ: اسمعوا وأطيعوا؛ فإننا عليهم ما حملوا وعليكم ما حملتم»، وقوله ﷺ: «ستكون أثرة وأمور تنكرونها، قالوا يا رسول الله فما تأمرنا؟ قال: تؤدون الحق الذي عليكم وتسألون الله الذي لكم»، رواه البخاري (٣٦٠٣) ومسلم (٤٧٧٥) عن ابن مسعود رضي الله عنه، وقوله ﷺ: «إنه يُستعمل عليكم أمراء، فتعرفون وتنكرون، فمن كره فقد برئ، ومن أنكر فقد سلِم، ولكن من رضي وتابع، قالوا: يا رسول الله! ألا نقاتلهم؟ قال: لا! ما صلوا»، رواه مسلم (١٨٥٤) عن أم سلمة رضي الله عنها، وقوله ﷺ: «خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم، وتصلون عليهم ويصلون عليكم، وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويُبغضونكم، وتلعنونهم ويلعنونكم، قالوا: قلنا: يا رسول الله! أفلا ننابذهم عند ذلك؟ قال: لا! ما أقاموا فيكم الصلاة، لا! ما أقاموا فيكم الصلاة، ألا من ولي عليه وال، فراه يأتي شيئاً من معصية الله، فليكره ما يأتي من معصية الله، ولا ينزع يداً من طاعة»، رواه مسلم (١٨٥٥) عن عوف بن مالك الأشجعي رضي الله عنه، وقوله ﷺ: «على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره إلا أن يؤمر بمعصية، فإن أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة»، رواه البخاري (٧١٤٤) ومسلم (٤٧٦٣) واللفظ له عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، وحديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: «دعانا النبي ﷺ فبايعناه، فقال فيما أخذ علينا: أن بايعنا على السمع والطاعة في

مَنْشَطِنَا وَمَكْرَهِنَا وَعُسْرِنَا وَيُسْرِنَا، وَأَثَرَةٍ عَلَيْنَا، وَأَنْ لَا نُنَازِعَ الْأَمْرَ أَهْلَهُ، إِلَّا أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا عِنْدَكُمْ مِنَ اللَّهِ فِيهِ بُرْهَانٌ» رواه البخاري (٧٠٥٥) ومسلم (٤٧٧١)، وهذان الحديثان عن عبد الله بن عمر وعبادة بن الصامت رضي الله عنهما؛ ذكرهما صاحب المقال وهذا يشعر أن وصفه الوالي بالعدل سهو أو سبق قلم، وإنما نبهت على هذا لئلا يفهم وصفه الوالي بالعدل فهماً خاطئاً.

٥- ذكر أربعة أدلة لجواز المظاهرات السلمية قال عن أولها: «الأصل فيها الإباحة والبقاء على البراءة الأصلية حتى يرد دليل خاص في المنع وهي وسيلة جديدة ولا يترتب عليها مفسدة لأنها سلمية بحثة ومتى ترتب عليها مفسدة فهي محظورة»، تقدم أن الأصل فيها استيرادها من الغرب وأنها لا تخلو من مفسد وأضرار أقلها التضييق على الناس في طرقاتهم وأن كبار العلماء في هذه البلاد وكذا الشيخ محمد بن ناصر الدين الألباني قالوا بتحريمها لما يترتب عليها من أضرار، وقال عن ثانيها: «جميع آيات وأحاديث الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كلها أدلة للمظاهرات السلمية...»، تقدم أنه ليس من اللائق إقحام المظاهرات السلمية في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة إلى الخير وأيضاً فإن هذا الاستلال عليها من التكلف وهو خلاف ما فهمه كبار العلماء الذين أشرت إليهم، ودليله الثالث: حديث أبي هريرة رضي الله عنه في قصة الرجل الذي آذاه جاره وأرشده النبي ﷺ أن يُخرج متاعه إلى الطريق، ولفظه عند أبي داود (٥١٥٣) بإسناد حسن عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وآله يشكو جاره، فقال: اذهب فاصبر! فأتاه مرتين أو ثلاثاً، فقال: اذهب فاطرح متاعك في الطريق،

فطرح متاعه في الطريق فجعل الناس يسألونه فيخبرهم خبره، فجعل الناس يلعنونه فعل الله به وفعل وفعل، فجاء إليه جاره فقال له: ارجع لا ترى مني شيئاً تكرهه»، والحديث لا يدل على جواز المظاهرات المحدثه، وإذن الرسول ﷺ للرجل بإخراج متاعه حصل لصحابي، والصحابة أهل صدق، وليس كل من جاء بعدهم يرشد إلى ذلك؛ لأنه ليس كل من يدعي مثل هذا يكون صادقاً بل قد يكون مبطلاً مؤذياً لجاره، أما دليله الرابع: فحديث إياس بن عبد الله بن أبي ذباب رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «لا تضربوا إماء الله! فجاء عمر إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله قد ذئر النساء فأمر بضربهن، فضربن فطاف بآل محمد ﷺ نساء كثير، فلما أصبح قال: لقد طاف الليلة بآل محمد سبعون امرأة كل امرأة تشتكي زوجها، فلا تجدون أولئك خياركم» وهو حديث صحيح رواه أبو داود (٢١٤٥) وابن ماجه (١٩٨٥) واللفظ له؛ قال في وجه الاستدلال بالحديث: «فإذا كان النساء في عهد النبي ﷺ خرجن جماعات أو فرادى يشتكين ضرر أزواجهن! أليست هذه مظاهرة سلمية؟»، ويجاب عنه بأن مجيء هؤلاء النسوة ليس من المظاهرات في شيء؛ لأن مجيئهن جميعاً لم يكن عن مواطنة ومواعدة بل كل واحدة جاءت على حدة فاتفق أن تلاقين عند بيوت النبي ﷺ، والغالب أن ذكر السبعين فيه للتكثير كقوله تعالى: ﴿أَسْتَغْفِرُ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرُ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرُ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾، ونظير هذا التلاقي اتفاقاً عند بيوت الرسول ﷺ التقاء زينب امرأة عبد الله بن مسعود رضي الله عنه التي جاءت تسأل عن الصدقة على الزوج بامرأة من الأنصار بباب رسول الله ﷺ حاجتها مثل حاجتها رواه البخاري (١٤٦٦) ومسلم

(٢٣١٨).

وَأَسْأَلُ اللَّهَ ﷻ أَنْ يَرِينَا الْحَقَّ حَقًّا وَيُوفِقَنَا لِاتِّبَاعِهِ وَيَرِينَا الْبَاطِلَ
بَاطِلًا وَيُوفِقَنَا لِاجْتِنَابِهِ وَأَنْ يَصْلِحَ أَحْوَالَ الْمُسْلِمِينَ فِي كُلِّ مَكَانٍ إِنَّهُ
سَمِيعٌ مُجِيبٌ.

وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّم وَبَارَكَ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.



كلمة حول رسالة الشيخ سعد الحصين إلى الدكتور القصيبي

(١٢/٧/١٤٣١هـ)

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله
نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد، فقد اطلعت على رسالة بعث بها الشيخ سعد الحصين إلى
الدكتور غازي القصيبي نشرتها صحيفة الجزيرة في تاريخ
١٤٣١/٧/٢هـ، وقد ملأها بالمدح والثناء عليه ومما قال فيها: «أما
بعد: فلو كان في استطاعة وطن التوحيد والسنة ومحبيك من أهله أن
يُفادوا صحتك بالمال والمتاع بل بالآلاف المؤلفة من السعوديين -
فضلاً عن غيرهم - لما تأخرت عن العودة إلينا حتى اليوم، فأكثرنا
مستهلكون، وقد مَيَّزَك الله في قلة من المواطنين - على رأسهم ابن باز
رحمهُ اللهُ - مَيَّزَك بالإنجاز إلى درجة لا يسهل علينا التآسي بها؛ كنت
طالباً متميزاً وأستاذاً متميزاً وموظفاً متميزاً وأديباً متميزاً ومثقفاً
متميزاً»، وما كان ينبغي أن يصدر هذا المدح الذي هو في غير محله
من مثل الشيخ سعد، و(ما هكذا تورد يا سعد الإبل) وقد كان وقع

المدح في هذه الرسالة على نفسي تألماً وتأثراً أشد من وقعها على الممدوح فرحاً وسروراً، وهذه الرسالة تثلج صدور المستغربين والتغريبيين من متبعي الشهوات الذين يريدون أن تميل هذه البلاد ميلاً عظيماً لأنها رفعت من شأن رمز من رموزهم في هذه البلاد، وقد تكرر في هذه الرسالة وفي غيرها من كتابات الشيخ سعد الإشادة بهذا الوطن ودولته التي أسست من أول يوم على الدعوة إلى التوحيد والسنة وتجديد الدين وقد أحسن في ما قال ولكن ممدوحه ليس من الدعاة إلى ذلك بل هو من الدعاة إلى تغريب هذه البلاد وأخذها بالأسباب التي ترضي الغرب فيترتب على هذا التغيير المذموم تغيير غير محمود كما قال الله ﷻ: ﴿ذَلِكَ يَأْتِ اللَّهَ لَمْ يَكْ مُغَيَّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيَّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾، وقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيَّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾.

وأسوأ ما ساءني في هذه الرسالة شيئان: أحدهما: اعتباره ممدوحه في قلة من المواطنين المتميزين على رأسهم الشيخ ابن باز ﷺ ولا شك أن شيخنا الشيخ عبد العزيز بن باز ﷺ في قمة التميز في وجوه الخير المتنوعة وحاله شبيهة بحال عبد الله بن المبارك المروزي ﷺ الذي قال عنه الحافظ ابن حجر ﷺ في تقريب التهذيب: «ثقة ثبت فقيه عالم جواد مجاهد جمعت فيه خصال الخير»، أما هذا الممدوح فتميزه في جوانب أخرى تتضح بالرجوع إلى ما كتبه الشيخ عبد الرحمن بن عبد الله بن جبرين في كتابه (رسالة الإصلاح) الذي طبع في بيروت في مطلع عام ١٤١٣هـ في (٢٦٢) صفحة وقد اشتمل على كثير من منكراته، والثاني: ما ذكره من مفاداة صحة ممدوحه - لو كان ذلك مستطاعاً - بالمال والمتاع والآلاف المؤلفة من

السعوديين فضلاً عن غيرهم، وتلك مبالغة في غير محلها والحمد لله أنه قيد المفادين فيه بالآلاف المؤلفة بكونهم من محبيه.

وقد أبدى القصيبي في رسالته الجوابية المختصرة التي نشرتها صحيفة الجزيرة ابتهاجه بهذا المدح وقال: «لو كان للحروف أن تكون بلسماً يعالج الأسقام لخرجت بعد قراءة خطابك الأخوي سليماً معافى، لا أدري كيف أفيك حقك ولكن أترك لخالقي وخالقك أن يجزيك خير الجزاء».

ولم يقابل المدح له بالدعاء للمادح بل ترك ذلك لله وهذا ليس بدعاء، وقد كتبت بتاريخ ٢/٣/١٤٣٠هـ كلمة بعنوان: «لا يجوز للمرأة الولاية على الرجال» عندما عينت امرأة نائبة لوزير التربية والتعليم لشؤون البنات قلت فيها: «وأما المستغربون ومتبعو الأهواء والشهوات فهذا الخبر لهم مفاجأة سارة؛ لأن مثله مما يلهثون وراءه، وهو من آثار كيد ومكر بعض كبرائهم من غزاة هذه البلاد، لاسيما من جمع منهم في الغزو بين الاسم والمسمى واللفظ والمعنى، وعسى الله أن يخلص هذه البلاد حكومة وشعباً من ظلمهم، وأن يكفيها شرهم جميعاً بما يشاء، وعسى أن يحصل لهذا الغازي غصبة أخرى تبعده عن الإفساد في أرض الحرمين بعد إصلاحها ولو بيعته إلى البحرين سفيرا مرة أخرى!»، وقد كتبت من قبل رسالة بعنوان: «الدفاع عن الصحابي أبي بكر رضي الله عنه ومروياته والاستدلال لمنع ولاية النساء على الرجال» طبعت في عام ١٤٢٥هـ وطبعت ضمن مجموع كتيبي ورسائلي (٧/ ٣٩٥ - ٤٢٧) في عام ١٤٢٨هـ.

وقد زارت هذه المرأة في الأسبوع الماضي مدينة الزلفي وهي التي

ولدت ونشأت فيها ومما يؤسف له أنها زارت بعض الصفوف الأولية في مدارس البنين ومعها المحافظ ومدير التعليم وغيرهما من الرجال، وهذا من الأمور المنكرة، وما كان ينبغي لها أن تزور مدارس البنين ولا أن يصحبها الرجال، بل كان ينبغي أن تكون زيارتها مقتصرة على مدارس البنات.

وأسأل الله ﷻ أن يوفقني والمادح والممدوح إلى حسن الختام ولما فيه سعادة الدنيا والآخرة وأن يحفظ هذه البلاد حكومةً وشعباً من شرور الغريين والمستغربين ومكر الماكرين وكيد الكائدين إنه على كل شيء قدير.

وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وصحبه.



تقبيح نيز السعودية بالوهابية واتهامها زوراً بالإرهاب

(٥/٧/١٤٣١هـ)

الحمد لله وحده، وصلّى الله وسلم وبارك على من لا نبي بعده نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

وبعد، فإن الإرهاب: مصدر معناه الإخافة وهو من الرهب بمعنى الخوف، قال الله ﷻ: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْكَرُونَ وَهُمْ قَوَّاهُ وَيَدْعُونَكَ رَبَّاهُ وَكَانُوا لَنَا خُشْعِينَ﴾، والمعنى: يدعوننا رجاءً وخوفاً أي يرجون ما عند الله من الثواب ويخافون ما عنده من العقاب، وقال تعالى في سورة البقرة: ﴿وَلَيْتَى فَازَهُبُوا﴾، وقال في سورة النحل: ﴿فَلَيْتَى فَازَهُبُوا﴾، والمعنى: خافون، كما قال ﷻ: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾، وقال: ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى﴾

الْقَضْبُ أَخَذَ الْأَلْوَاخَ فِي شُخْتِهَا هَذَى وَرَحْمَةً لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴿١٧٣﴾، أي: يخافون، وقال: ﴿وَأَعْدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾، أي: تُخَيِّفُونَ. وفي هذه الآيات جاء الرّهَب والإرهاب في أمور محمودّة، وقد سَمَى المنذري رحمته الله كتابه الذي جمعه في أحاديث الوعد والوعيد كتاب الترغيب والترهيب، وقد اشتهر عند الناس في حديثهم وفي وسائل الإعلام المختلفة تسمية ما يحصل من إفسادٍ وتقتيلٍ وتدميرٍ في كثير من البلاد إرهاباً؛ وكل ذلك في أمور مذمومة، وهذا الإرهاب داخل تحت المعنى اللغوي العام الذي هو الإخافة، وهو واقع في مختلف الدول مع التفاوت في ما بينها كثرةً وقلةً، وبلاد الحرمين ابتليت بكثير منه ومع ذلك يَنبِر بعض الحاقدين على هذه البلاد أهلها بلقب الوهابية ويصفونهم بهتانا وزوراً بهذا الوصف الذميمة وهو الإرهاب، ومن المعلوم أن الدولة السعودية التي أسسها في منتصف القرن الثاني عشر الهجري الإمام محمد بن سعود رحمته الله بتأييد من الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمته الله إنما قامت على تحكيم كتاب الله وسنة رسوله صلّى الله عليه وآله الذين هما مصدر كل صلاح وإصلاح، وقد استمرت في عهودها الثلاثة على هذا المنهج القويم والصراط المستقيم، وكل فساد وإفساد إنما يحصل بمخالفة هذين النبوعين الصافين كتاب الله وسنة رسوله صلّى الله عليه وآله، فكيف يُوصف من يُعول عليهما بهذا الوصف الذميمة؛ إن هذا هو البهتان العظيم، وكل من يأت إلى هذه البلاد حاجاً أو معتمراً أو زائراً يشاهد فيها الأمن والأمان بسبب هذا المنهج القويم الذي قامت عليه هذه الدولة زادها الله ثباتاً وتوفيقاً وحفظها من كل سوء، ومن هؤلاء النابزين المتهمين هذه البلاد بهتانا وزوراً بالإرهاب حفنة وصفوا بالمفكرين ويدل هذا التفكير السيئ منهم على أن من التفكير ما يكون في واد، والتفكير الصحيح في واد آخر وقد قال الله عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغْيٍ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدْ أَحْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِنَّمَا مُبِينًا﴾، وقال صلّى الله عليه وآله: «(من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت)» رواه البخاري (٦٤٧٥) ومسلم (١٧٣)، ومن هؤلاء أيضاً الحوثيون الذين أفسدوا في بلاد اليمن

وتسللوا من حدود المملكة الجنوبية وأفسدوا في أطرافها فتصدى لهم رجال القوات المسلحة فردوهم على أعقابهم مدحورين، وقد نقل مؤلف كتاب: «ماذا تعرف عن الحوثيين؟» قول أحد زعمائهم: (الإرهابيون الحقيقيون هم الوهابيون) وهذا الزعيم لهذه الفئة الإرهابية يصف بالإرهاب من هم أبعد الناس عن الإفساد والإرهاب فحاله أشبه ما تكون بما جاء في المثل المشهور: (رمتني بدائها وانسلت)، وقد قال الشاعر:

وإذا أتتك مذمتي من ناقص فهي الشهادة لي بأنّي كامل

وهذه البلاد مستهدفة من الحاقدين عليها وذلك ببذلم الوسائل المختلفة لإفساد بعض شبابها والتغريب بهم ليفسدوا فيها باسم الجهاد الذي هو في الحقيقة جهاد في سبيل الشيطان، وولاية الأمر في هذه البلاد ورجال الأمن فيها جادّون في مكافحة هذا البلاء وإحباط مخططات أهله قبل وقوعها، والمشتغلون بالعلم يقومون بالتحذير من وقوع الشباب في هذه الفتن، وقد كتبت في نصائحهم والتحذير من أضرارهم رسالتين، إحداها بعنوان: «بأي عقل ودين يكون التفجير والتدمير جهاداً، ويُحكم أفيقوا يا شباب؟» طبعت في عام ١٤٢٤ هـ، والثانية بعنوان: «بذل النصيح والتذكير لبقايا المفتونين بالتكفير والتفجير» طبعت في عام ١٤٢٧ هـ وطبعتا معاً ضمن مجموع كتيبي ورسائلي (٦/ ٢٥٥ - ٢٧٩) في عام ١٤٢٨ هـ.

وهؤلاء الشراذم من الشباب الذين ابتلوا بالتفجير والتدمير وقتل الأنفس لا يقل عنهم خطراً قتلة الأخلاق من مرضى الشبهات والشهوات الذين يفسدون في الأرض بعد إصلاحها ويريدون أن تميل هذه البلاد ميلاً عظيماً فإن ما يحصل بسببهم من الذنوب والمعاصي الذي هو قتل الأخلاق يترتب عليه الإبتلاء بقتل الأنفس وتدمير الممتلكات كما قال الله ﷻ: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُّصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾، وقال في شكر النعم وكفرها: ﴿وَإِذْ نَادَى رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾، وقال:

﴿وَمَنْ يُدْرِكْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾، وقال: ﴿ذَلِكَ يَأْتِي اللَّهَ لَمْ يَكْ مُغَيَّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾، وقد قال شيخنا الشيخ عبد العزيز بن باز رحمته الله كما في مجموع فتاواه (١٢٧/٤): «فما يصيب الأمة أو الأفراد من فتن أو صد عن سبيل الله أو أوبئة أو حروب أو غير ذلك من أنواع البلاء فأسبابه ما كسبه العباد من أنواع المخالفات لشرع الله؛ كما قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾، وقد بين الله جل وعلا ما حصل لبعض الأمم السابقة من العذاب والهلاك بسبب مخالفتهم لأمره ليتبينه العاقل ويأخذ من ذلك عظة وعبرة».

وقد كتبت في التحذير من فتنة قتلة الأخلاق من المستغربين والتغريبين وغيرهم كلمات ورسائل منها: «العدل في شريعة الإسلام وليس في الديمقراطية المزعومة» طُبعت في عام ١٤٢٦ هـ وطُبعت ضمن مجموع كتبي ورسائي (٦/ ٣٣١ - ٣٧٥) في عام ١٤٢٨ هـ، ورسالة: «لماذا لا تقود المرأة السيارة في المملكة العربية السعودية» طُبعت في عام ١٤٢٨ هـ، ورسالة: «وجوب تغطية المرأة وجهها وتحريم اختلاطها بغير محارمها» طُبعت في عام ١٤٣٠ هـ.

وَأَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يَحْفَظَ هَذِهِ الْبِلَادَ حُكُومَةً وَشُعْبًا مِنْ كُلِّ سُوءٍ وَأَنْ يُوفِّقَهَا لِكُلِّ خَيْرٍ وَأَنْ يُقِيَهَا شَرَّ الْأَشْرَارِ وَكِيدَ الْكُفَّارِ، إِنَّهُ سَمِيعٌ مُجِيبٌ.

وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمْ وَبَارِكْ عَلَى عَبْدِهِ وَرَسُولِهِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.



بيان خطورة افتتاح دور السينما في بلاد الحرمين

(١/ ١ / ١٤٣٠ هـ)

الحمد لله، وصلى الله وسلم وبارك على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه واستن بسنته واهتدى بهداه.

أما بعد، فبعد عيد الأضحى المبارك وفي أيام التشريق في شهر حرام حدث أمر خطير في جدة والطائف وهما أقرب مدينتين لبيت الله الحرام وهو البدء بعرض سينمائي يؤمه آلاف من متبعي الشهوات، وكان هذا العرض في جدة في مركز وصف بأنه ثقافي يحمل اسم الملك عبد العزيز رحمه الله وهو عمل مناقض لما قام به الملك عبد العزيز رحمه الله فهو الذي أسس هذه الدولة العريقة على تحكيم الكتاب والسنة والتمسك بالأخلاق الكريمة وحمايتها من الوقوع في أسباب الرذيلة، وهذا الحدث الخطير وصفته بعض الصحف بأنه إنجاز كبير وحدث عظيم ولا شك أنه كذلك ولكن لتدمير الأخلاق وقد قال الله عز وجل: ﴿وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ يُمِيلُوا مِيلًا عَظِيمًا﴾ ومتبعو الشهوات يجدون ما تشتهيه نفوسهم من المنكرات في كثير من القنوات التي يدخل بواسطتها أنواع الفساد إلى بيوت المسلمين في هذه البلاد؛ ولكن وجود صالات للعرض السينمائي يعجبهم لما فيه من إعلان المنكر وتوسيع نطاقه، وذلك من نتائج الترف والانغماس في أنواع الشهوات التي حفت بها النار كما قال صلى الله عليه وسلم: «حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات» رواه مسلم (٧١٣٠).

ولم يأت ذكر الترف في القرآن إلا على سبيل الذم ومن ذلك قول الله عز وجل: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾ وفي هذه الآية الكريمة أن من أسباب هلاك الأمم أفعال المترفين.

والذين ينفقون الأموال في هذا السبيل يُحْشَى أن يكون لهم نصيب من قوله صلى الله عليه وسلم: «(إن رجلاً يتخوَّضون في مال الله بغير حق فلهم النار يوم القيامة)» رواه البخاري (٣١١٨)، وهم يحملون مثل آثام كل من تضرَّر بسببهم؛ لقوله صلى الله عليه وسلم: «(من دعا إلى هدى كان له مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً)»

رواه مسلم (٦٨٠٤)، وقوله ﷺ: «ومن سنَّ في الإسلام سنة سيئة فعمل بها بعده كتب عليه مثل وزر من عمل بها، لا ينقص ذلك من أوزارهم شيء» رواه مسلم (٦٨٠٠)، وقوله ﷺ: «لا تُقتل نفس ظلماً إلا كان على ابن آدم الأول كفل من دمها؛ لأنه أول من سنَّ القتل» رواه البخاري (٣٣٣٥) ومسلم (٤٣٧٩)، والواجب عليهم ترك هذا المنكر ليسلموا من عقوباته ويسلم المسلمون في بلاد الحرمين من أضراره.

والغالب أن يكون هذا الحدث حصل بدون موافقة من ولي الأمر في هذه البلاد، وللذين قاموا به شبه بالذي رآه النبي ﷺ يعذب في النار لأنه كان يسرق الحاج بمحجنه فإن فُطن له قال: إنما تعلق بمحجني، وإن غُفل عنه ذهب به، رواه مسلم (٢١٠٢)، وكذلك هؤلاء إن عوتبوا اعتذروا بأي عذر، وإن تركوا مضوا في باطلهم. والمأمول من ولاية الأمر وقف هذا الحدث المؤلم ومنع حصوله مستقبلاً، وأن تبقى هذه البلاد سالمة منه ومن كل شر كما سلمت في مدة تزيد عن مائة سنة منذ تأسيسها على يد الملك عبد العزيز رحمه الله.

وأسأل الله ﷻ أن يوفق ولاية الأمر في هذه البلاد وعلى رأسهم خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز حفظه الله لكل ما فيه رضاه والسلامة من سخطه، وأن ينصر بهم دينه ويعلي كلمته، وأن يصلح لهم البطانة ويصرف عنهم بطانة السوء، وأن يحمي هذه البلاد من كل فساد وإفساد، وأن يحفظ عليها أمنها وإيمانها، وسلامتها وإسلامها، وأن يوفق المسلمين في كل مكان إلى ما يحمدون عاقبته في أمور دينهم ودنياهم، إنه سميع مجيب، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.



تجمعات البراءة من المشركين لا نتيجة لها إلا إيذاء المسلمين

(١٤٣٠ / ١١ / ٢٨ هـ)

الحمد لله الذي حرم الظلم على نفسه وجعله بين عباده محرماً، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه ومن سلك سبيله واهتدى بهديه إلى يوم الدين.

أما بعد، فقد تناقلت وسائل الإعلام عن أحد الزعماء الدعوة إلى إعلان البراءة من المشركين في موسم حج سنة ١٤٣٠ هـ، ولذا كتبت هذه الكلمة الناصحة وأسأل الله أن ينفع بها، فأقول: إن إعلان البراءة من المشركين في الحج حصل في السنة التاسعة في حجة أبي بكر الصديق رضي الله عنه حيث نادى هو وعلي رضي الله عنه في تلك السنة ألا يحج بعد العام مشرك، وألا يطوف بالبيت عريان، وتحقق ذلك في السنة العاشرة في حجة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يحج مشرك ولم يطف بالبيت عريان، ولم يحصل في تلك السنة إعلان البراءة من المشركين ولا في عهود الخلفاء الراشدين الأربعة أبي بكر وعمر وعثمان ووعلي رضي الله عنه، ولا حصل بعد ذلك فيما أعلم إلا ما كان من القرامطة الذين أجمروا نهاية الإجرام وعثوا في الحرم فساداً وقتلوا الحجاج فيما سجله لهم التاريخ، وقد بدأ تجمع فئة من الحجاج لإعلان البراءة من المشركين في عام (١٣٩٩ هـ) وسنوات بعدها، ومن هتافهم في إعلان البراءة المزعومة: «تسقط أمريكا» و «الموت لأمريكا»، ولم تمت أمريكا ولم تسقط بهذا الهتاف، بل سقط مئات الموتى من الحجاج في اليوم السادس من شهر ذي الحجة عام (١٤٠٧ هـ) بسبب الزحام في هذه التجمعات حيث التحم الحجاج بعضهم ببعض ووطئ بعضهم بعضاً، وقد مرت هذه التجربة التي حصل فيها هذه

واللائق بكل من لنفسه عنده قيمة من هذه الفئة من الحجاج وزعيمهم
ألا يكونوا سبباً في إلحاق الضرر بحجاج بيت الله الحرام، وقد قال الله ﷻ:
﴿وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَامٍ يُظْلَمَ نَفْسَهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾، وقال: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ
وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغْيٍ مَا كُنْتُمْ بِأَعْيُنِنَا﴾، وقال: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ
غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾، وقال: ﴿وَإِنَّ
الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (١١) ترى الظالمين مشفقين مما كسبوا وهو واقع بهم؟،
وقال في الحديث القدسي: «يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته
بينكم محرماً فلا تظالموا» رواه مسلم (٦٥٧٢)، وقال ﷺ: «اتقوا الظلم؛
فإن الظلم ظلمات يوم القيامة، الحديث» رواه مسلم (٦٥٧٦)، وقال ﷺ:
«المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده» رواه البخاري (١٠) ومسلم
(١٦١) زاد البخاري: «والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه»، وقال ﷺ في
حجة الوداع: «ألا أخبركم بالمؤمن؟ من آمنه الناس على أموالهم وأنفسهم،
والمسلم من سلم الناس من لسانه ويده، والمجاهد من جاهد نفسه في طاعة
الله، والمهاجر من هجر الخطايا والذنوب» رواه أحمد (٢٣٩٥٨) بإسناد
صحيح، وقال ﷺ: «أتدرون ما المفلس؟ قالوا: المفلس فينا من لا درهم له
ولا متاع، فقال: إن المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام
وزكاة، ويأتي قد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا
وضرب هذا، فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته، فإن فنت حسناته

قبل أن يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرح عليه ثم طرح في النار» رواه مسلم (٦٥٧٩)، وجواب الصحابة رضي الله عنهم بناء على ظنهم أنه ﷺ أراد مفلس الدنيا وهو إنما أراد مفلس الآخرة الذي أوضح ﷺ كيفية إفلاسه في هذا الحديث، وقال ﷺ: «كل المسلم على المسلم حرام: دمه وماله وعرضه» رواه مسلم (٦٥٤١)، ولما خطب ﷺ الناس يوم النحر في حجة الوداع لم يأمرهم بإعلان البراءة من المشركين والتجمع لها، وإنما قرر حرمة البلد والشهر واليوم ثم قال: «فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا» رواه البخاري (٦٧) ومسلم (٤٣٨٤).

وبعد إيراد هذه الأدلة من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ في التحذير من إلحاق أي ضرر بأحد من المسلمين أورد بعض الآثار السيئة التي تترتب على هذه التجمعات لهذه البراءة المزعومة:

- (١): أن فيه إلحاق الضرر بالحجاج في أجسادهم وحركة سيرهم.
- (٢): أن فيه ظلماً للحجاج يترتب عليه دعاء المظلوم على ظالمه، وقد قال ﷺ: «واتق دعوة المظلوم؛ فإنه ليس بينها وبين الله حجاب» رواه البخاري (١٤٩٦) ومسلم (١٢١).
- (٣): أن التجمع لهذه البراءة من الأمور المحدثثة في الحج منذ ثلاثين عاماً فقط، ولم تحصل في حجة الوداع ولا بعدها.
- (٤): أن الفئة التي تقوم بهذا التجمع شاذة في هذا التصرف المشين عن الحجاج من جميع الآفاق.
- (٥): أن الصيد آمن في الحرم لا يجوز التعرض له بأي ضرر حتى تنفيذه، والحجاج ومن في الحرم أولى منه بالأمن والسلامة من الأذى، بل إن

الحججاج والمعتمرين إذا دخلوا في الإحرام لم يجز لهم التعرض لصيد الحل، والمعنى أن الواجب على أي حاج أن يكون نصيب الحججاج وغيرهم منه الأمن والسلامة من شره.

(٦): أن الحججاج من جميع الآفاق يمقتون هذا التجمع المؤذي ويفضحون في بلادهم القائمين به.

(٧): أن الأذى للحججاج لا يقتصر عليهم، بل يتعداهم إلى أهلهم وذويهم في بلادهم؛ فإنهم يتأذون بالأذى الذي حصل لحجاجهم.

(٨): أن حصول الأذى لمسلم واحد خطير، فكيف بإيذاء الحججاج من جميع الآفاق الذين جاؤوا لأداء عبادة عظيمة يحبون أداءها براحة وطمأنينة.

(٩): أن في هذا التجمع ترويعاً للحججاج، وكان أصحاب رسول الله ﷺ يسرون مع النبي ﷺ فنام رجل منهم، فانطلق بعضهم إلى حبل معه فأخذه ففزع، فقال رسول الله ﷺ: «لا يحل لمسلم أن يروع مسلماً» رواه أحمد (٢٣٠٦٤) وأبو داود (٥٠٠٤) بإسناد صحيح.

(١٠): أن فيه إشغال الكثيرين من رجال الأمن بهذه التجمعات في الوقت الذي ينبغي أن تكون الجهود كلها مبذولة لخدمة الحججاج.

وأسأل الله ﷻ أن يوفق الحججاج لأداء الحج بيسر وطمأنينة، وأن يعودوا بعد حجهم إلى بلادهم سالمين غانمين، اللهم من أحسن إلى الحججاج فأحسن إليه، ومن شق عليهم فاشقق عليه واكفهم شره بما شئت، اللهم أصلح أحوال المسلمين في كل مكان ووفقهم للتمسك بكتابك وسنة نبيك ﷺ، والحمد لله رب العالمين، صلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



الحق أن المستحق للمحاكمة هو تركي الحمد .. وقد طلبت محاكمته قبل ثمان سنين
(٢٠/٩/١٤٢٩هـ)

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا
محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد، فقد اطلعت على ورقة مستخرجة من الإنترنت من موقع صحيفة
«أوان» حول فتوى فضيلة الشيخ صالح اللحيدان - حفظه الله - في أصحاب
القنوات الذين ينشرون فيها الفساد في الأرض في الاعتقادات والأعمال التي
بثتها إذاعة القرآن الكريم ليلة الخميس الموافق ١١/٩/١٤٢٩هـ وهي قوله
كما في التسجيل: (إن من يدعو إلى الفتن إذا قُدر على منعه ولم يمتنع قد يحل
قتله، لأن دعاة الفساد في الاعتقاد أو في العمل إذا لم يندفع شرهم بعقوبات
دون القتل جاز قتلهم قضاءً فالأمر خطير لأن الله جل وعلا لما ذكر قتل النفس
قال (أو فساد في الأرض) فالإنسان يقتل بالنفس أو بالفساد في الأرض،
وإفساد العقائد وإفساد الأخلاق والدعوة لذلك نوع من الفساد العريض في
الأرض).

وجاء في صحيفة أوان ما يلي:

(«أوان» استطلعت آراء ورؤى نخبة من أصحاب الرأي في السعودية
حول هذه الفتوى ونتائجها ... وبنبرة متعجبة تساءل الدكتور والأديب تركي
الحمد عن قيمة الإنسان، وقال: «هل صار الإنسان بهذا الرخص؟ وهل صار
الحكم بالقتل بهذه السهولة، وكأن المقتول دجاجة؟ إن من يُعرض على القتل
فهو قاتل»، وطالب الدكتور الحمد بتحجيم التيار الديني المتطرف، وأضاف:
«اللحيدان بعد أن فقد الكثير صار يتخبط يميناً وشمالاً، وهذه ردة فعل نفسية،
لأن الكرسي يهتز من تحته». مطالباً بمحاكمته، وألا تقتصر العقوبة على إزالته

من منصبه وعن قراءته لهذه الفتوى أكد أنها دعوة صريحة للقتل، وكأنه يقول للشباب المتحمسين والمغيبين اذهب واقتل وهذا من حقك، مبينا أن الفكر هو الأساس في العمل الإرهابي (.....).

أقول: إن من العجيب هذا الهجوم من هذا الإنسان على فضيلة الشيخ صالح اللحيدان رئيس مجلس القضاء الأعلى في المملكة العربية السعودية - حفظه الله - ومطالبته بمحاكمته وألا تقتصر العقوبة على إزالته من منصبه والحق أن صاحب الهجوم هو الذي يستحق المحاكمة وإيقاع ما يقضي به الشرع عليه لما تفوه به من كلام ساقط هابط في غاية الوقاحة في الاستهزاء بالله عز وجل ودينه، ذكرت جملاً منه في رسالة بعثتها لخادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز - حفظه الله - إبان ولايته للعهد وقيامه بالأمر بعد ضعف صحة الملك فهد رحمته الله في ١٣/٩/١٤٢١هـ قلت فيها: (وبعد أود الإشارة إلى المادة الثالثة والعشرين من النظام الأساسي للحكم التي نصها «تحمي الدولة عقيدة الإسلام وتطبق شريعته وتأمّر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتقوم بواجب الدعوة إلى الله»

فإنه مع الأسف وجد في بعض المواطنين من يكون حرباً على العقيدة الصحيحة التي قامت عليها الدولة السعودية بأدوارها الثلاثة، وسعت في نصرتها ونشرها والدعوة إليها بالوسائل المختلفة، وهي عقيدة السلف الصالح ومن سار على نهجهم في كل زمان ومكان.

ومن أسوأ من وقفت لهم على كلام في العقيدة هو في غاية الخبث اثنان هما: تركي الحمد، وحسن فرحان المالكي.

أما تركي الحمد فكلامه واضح في الزندقة والإلحاد والتهكم في جوانب مختلفة من العقيدة، ومن أمثلة ذلك أقواله التالية في كتابه «الكراديب».

- ١- قوله (ص ٥٠): «دع الله وشأنه».
 - ٢- قوله (ص ٧٨): «الانتحار نصر على الله، في الانتحار تفوت الفرصة على الله أن يختار لك مصيرك».
 - ٣- قوله (ص ١٢٠): «إبداع الشيوعيين ليس مثله إبداع».
 - ٤- قوله (ص ١٣٧): «فالله والشیطان واحد هنا وكلاهما وجهان لعملة واحدة».
 - ٥- قوله (ص ١٣٨): «هناك جنة ونار معاً، الله وشیطان، نبي وفرعون، وكل في قدر يسبحون».
 - ٦- قوله (ص ١٨٧): «فنحن لا ندري إلى أي عالم سنكون، وإلى أي حياة أو فناء سنؤول».
 - ٧- قوله (ص ٢٧٤): «وقد يكون ما يسير الدنيا هو القدر أو العتب أو الحتم أو الصيرورة لا ندري».
- وبرفقه صور من صفحات الكتاب المشار إليه المشتملة على هذه النقول.
- وأما حسن فرحان المالكي فله تخطيط وتخليط وطعون في العقيدة والصحابة لم يسبق إليه، ثم ذكرت أمثلة من كلامه القبيح ثم ختمت الرسالة بقولي: (أرجو من سموكم الاطلاع والتكرم بإصدار أمر كريم بمحاكمتها وتطبيق الحكم الشرعي فيهما، وقد ترون - حفظكم الله - التوجيه بقيام جهة مختصة تتولى مهام إقامة الدعوى على من يحصل منه اعتداء على العقيدة وتمرد على أحكام الله وسخرية واستهزاء بالدين وأهله، ثم تطبيق ما يقضي به الشرع في حقهم، وأسأل الله عز وجل أن يوفق سموكم لما فيه رضاه ونفع عباده وقطع دابر الإجرام والمجرمين.
- والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته).

أقول: أما حسن فرحان المالكي فقد دحرت أباطيله برسالتين إحداهما بعنوان (الانتصار للصحابة الأخيار في رد أباطيل حسن المالكي) والثانية بعنوان (الانتصار لأهل السنة والحديث في رد أباطيل حسن المالكي) وهما مطبوعتان ضمن مجموع كتبي ورسائلي (٣٣/٧-٣٩٣).

وأما تركي الحمد فكلامه أشبه بهذيان المجانين، وهجوم مثله على الشيخ صالح اللحيدان - حفظه الله - لا يضيره بل يرفع من شأنه كما قال الشاعر:

وإذا أتت مذمتي من ناقص... فهي الشهادة لي بأني كامل

وأما فتوى الشيخ صالح اللحيدان - حفظه الله - بالقتل قضاء لمن يسعى في الأرض فساداً، فإن قضايا القتل في المملكة العربية السعودية تمر بمراحل هي: أن يشترك فيها ثلاثة من القضاة، ثم تحال إلى محكمة التمييز وقضاتها في القتل خمسة، ثم تحال إلى مجلس القضاء الأعلى بهيئته الدائمة وعددهم خمسة، ثم تحال إلى خادم الحرمين الشريفين فيتم تنفيذ القتل بعد المرور بهذه المراحل الأربع، فأى إشكال في قضية قتل أقرت من ثلاثة عشر قاضياً قبل وصولها لخادم الحرمين الشريفين.

وبعض المغرضين الحاقدين حذفوا من فتوى الشيخ صالح - حفظه الله - كلمة «قضاء» بغية التشنيع بسهولة القتل لمن يريده من الطائشين، فهم مثل الذي يقرأ قول الله عز وجل (فويل للمصلين) ويترك ما بعدها، والذي يقرأ قوله تعالى (يل أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة) ويترك ما بعدها.

ومما لا شك فيه أن المتفوه بقوله (دع الله وشأنه) وما نقلته عنه من الكلام القبيح الذي هو واضح في الكفر والزندقة والإلحاد تتعين محاكمته وتنفيذ ما يقضي به الشرع عليه.

والغالب أن اليهود والنصارى لا يجروون على التفوه بمثل هذا الاستهزاء

بالله ولو وقف الجاحظ على هذا الكلام الذي هو في منتهى القبح لكفر قائله، وقد قيل: ويل لمن كفره الجاحظ، وإن لأعجب كيف تطيق عيون النظر إلى من يحصل منه مثل هذا الاستهزاء بالله ﷻ.

ومثل هذا الهجوم على الشيخ صالح — حفظه الله — من تركي الحمد وغيره حول هذه الفتوى الذي فيه العطف على المفسدين في الأرض هجوم يوسف هاشم الرفاعي على حكام المملكة وقضاتها لقتلهم السحرة ومهربي المخدرات وذلك في نصيحته المزعومة لعلماء نجد، وقد رددت عليه برسالة مطبوعة ضمن مجموع كتبي ورسائي (٧/ ٤٢٩-٥١٧) قلت فيها: ص ٤٩٨ (أنحى الكاتب باللوم على حكام المملكة العربية السعودية وقضاتها لقتلهم مهربي المخدرات، وكذلك باللوم عليهم لقتلهم السحرة) ومما قلت في الجواب: (إن هذا من عجيب أمر الكاتب؛ يتألم لعقوبة الظالمين وهم قليلون، ولا يتألم لضرر المظلومين وهم كثيرون لا يحصون، يشفق على الذئاب ولا يشفق على فرائسها، يعطف الرفاعي على الأفاعي، ولا يعطف على هلكى سمومها، وإن من حسن حظ المرء أن لا يكون ظهيراً للمجرمين).

وأسأل الله ﷻ أن يصلح أحوال المسلمين وأن يقيهم شر الأشرار وكيد الفجار والكفار، إنه سبحانه وتعالى جواد كريم.

وصلّى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



كلمة أخرى حول زندقة تركي الحمد

(٢٦ / ٥ / ١٤٣٠ هـ)

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له
وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله
وصحبه.

وبعد، فقد سبق أن كتبت كلمة بعنوان «الحق أن المستحق للمحاكمة
هو تركي الحمد، وقد طلبت محاكمته قبل ثمان سنين» ونشرت بتاريخ
٢٠ / ٩ / ١٤٢٩ هـ، وذلك بمناسبة تطاوله على أحد المشايخ الكبار في
المملكة وطلبه محاكمته، وقد كان طلبي محاكمته قبل ثمان سنين لكلام له
ساقط هابط فيه الاستهزاء بالله ودينه الحنيف، جاء هذا الكلام في روايته
الموضوعة «الكراديب»، وأعيد ذكره فيما يلي :

(١): قوله (ص ٥٠): «دع الله وشأنه».

(٢): قوله (ص ٧٨): «الانتحار نصر على الله، في الانتحار تفويت
الفرصة على الله أن يختار لك مصيرك».

(٣): قوله (ص ١٢٠): «إبداع الشيوعيين ليس مثله إبداع».

(٤): قوله (ص ١٣٧): «فالله والشيطان واحد هنا وكلاهما وجهان
لعملة واحدة».

(٥): قوله (ص ١٣٨): «هناك جنة ونار معاً، الله وشيطان، نبي وفرعون،
وكل في قدر يسبحون».

(٦): قوله (ص ١٨٧): «فنحن لا ندري إلى أي عالم سنكون، وإلى أي
حياة أو فناء سنؤول».

(٧): قوله (ص ٢٧٤): «وقد يكون ما يسير الدنيا هو القدر أو العبث

أو الحتم أو الصيرورة لا ندري».

وكان اللائق به لو حالفه التوفيق بعد نشر هذا الكلام عنه أن يذوب حياءً وخجلاً لفظاعة هذا الكلام المتناهي في السقوط والكفر والزندقة والإلحاد، وأن يتوب ويقول: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وأعوذ بالله من الكفر والنفاق، لكن حليلة بقيت على عاداتها القديمة؛ فقد حاورته صحيفة الوطن ونشرت حوارها معه في يوم السبت ٢٩/٤/١٤٣٠هـ، وهي سبّاقة إلى النشر لهذه الفئة من البشر المتبعين للشهوات الذين يريدون أن تميل بلاد الحرمين ميلاً عظيماً، ومما جاء في حوارها معه سؤال عن عبارته «الله والشيطان وجهان لعملة واحدة!!»، ونصّ السؤال: «عبارة أوضحت كثيراً أنها أتت على لسان إحدى الشخصيات في الرواية، ومع ذلك مازال من يستشهد بها كي يدينك فما رأيك؟».

فأجاب بقوله: «هناك من يحاول البحث عن العيوب أو يريد قراءة انتقائية، وحتى الكتب المقدسة هناك من قرأها بطريقة انتقائية، وتخيل لو أتى أحد غير المسلمين وحاول قراءة القرآن بتصور مسبق وحاول أن يجتزئ نصوصاً معينة سيحاول أن يظهر للعالم أن هناك نصوصاً تأمر بالقتل وغيره، المشكلة ليست في قراءة العمل ولكن كيف تقرأ العمل».

ونصّ السؤال بعده: «يعني أنت مقر أن هناك من حاول الاصطياد في الماء العكر وتقديم هذه الروايات على أنها ضد الشريعة والإسلام؟».

فأجاب: «ليتهم قرؤوها، بل أخذوا عبارة واحدة فقط وقاموا بالتأجيج عليها».

أقول: لا يعفيه هذا الكلام من تبعات تلك الجملة القبيحة التي هي من

أقبح الكلام، وهي قوله: «الله والشيطان واحد هنا، وكلاهما وجهان لعملة واحدة!!»، فإن الرواية التي اشتملت عليها هذه الجملة هو الذي تخيلها وصاغها، وكان بإمكانه أن يتجنب كل عبارة فيها استهزاء بالله ودينه وكل كلام سيء، ولكن لم يحالفه التوفيق، ولم يكن القبح خاصاً بهذه الجملة فيتم انتقاؤها كما زعم، فما قبلها سيء وما بعدها سيء، وهذا سياق كلامه قبلها وبعدها: «سامحك الله يا ابن الطين! هل كان من الضروري أن تأكل من تلك الشجرة المحرمة وتبحث عن نبع الخلود، وتغضب رب الخلق والناس أجمعين؟! أكل هذا جزء من قدر إلهي أم عبث شيطاني؟! أم هي حكمة لا ندرها مختبئة في عباءة قدر عابث أو عبث قادر؟! لا أحد يدري! فالله والشيطان واحد هنا، وكلاهما وجهان لعملة واحدة!! الصورة وعكسها، ولكن الكائن واحد، الحياة كلها سؤال بلا جواب».

وقبل هذا الهذيان بقليل هذيان آخر وهو قوله: «رحمك يا رب العباد إن كان للعباد رب يحميهم؟! ولم لا؟ إن كان للبيت رب يحميه فلا بد أن للإنسان رباً يحميه أيضاً، فاليبت وضع للناس ولم يوضع الناس للبيت»، ولم يكن الخبث في رواياته مقصوداً على عبارة واحدة كما زعم، بل عباراته الخبيثة كثيرة، ومنها ما جاء في الفقرات السابقة، ولو تتبع متبع رواياته لوجد فيها الكثير من مثل هذه العبارات المشتملة على الاستهزاء بالله ودينه. ولما سأل المحاور عن مقاضاته من تكلم فيه بكلام ساءه كان جوابه اتهام المحكمة وأن قضيته ستكون خاسرة، ثم قال: «وأبسط مثال قضايا رفعت ضد أفراد من هيئة الأمر بالمعروف خرجوا منها كما تخرج الشعرة من العجينة».

فلم يكن في ذهنه إلا تصيد أخطاء الهيئة والحرص على إدانتها، وهو في

الحقيقة لم يرغب الذهاب إلى المحكمة لأنه إذا ذهب إليها سيجد عندها بيان حكم المرتد.

ومما جاء في الحوار: «الابتعاث مثلاً، هل تعتقد أنه سيأتي بجيل جديد متنور يفكر بمعزل عن التأثير؟»

فأجاب بقوله: «الابتعاث أحد الحلول، لكنه بالتأكيد ليس الحل الكامل، ونحن نعرف أن البعض يذهب للابتعاث ويعود بفكر أكثر تطرفاً، القضية تبدأ من الداخل وأعتقد أن المهم هو النظام التعليمي أعطني نظاماً تعليمياً جيداً أعطك أناساً سويين، حدثت تغييرات جيدة، ونحن من المنتظرين، ومثلاً الهيئة يجب أن تراعي عدة أمور منها سمعة المملكة في الخارج، وأي حدث يحدث لدينا ينشر في صحف العالم، وأعتقد أن إعادة الهيكلة في الهيئة وضبط النظام داخلها هي المهمة الأصعب للهيئة في قادم الأيام، ويجب كذلك عدم انتهاك حقوق المواطن والإنسان ونحن نرى مقدمات جيدة للرئيس الجديد لعلها تكون بشري خير».

وقد أقلق هذا المستهزئ بالله ودينه نظام التعليم وأنه يرغب تغييره على وجه يخرج أجيالاً من جنسه وعلى شاكلته، يستهزئون بالدين ويسعون في الإفساد في بلاد الحرمين بعد إصلاحها، وأقلقه أيضاً وضع هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأوجب عليها شيئين: أحدهما مراعاة السمعة في الخارج عند الغربيين وغيرهم، والثاني عدم انتهاك حقوق المواطن والإنسان، ومن المعلوم أن السمعة عند الغربيين لا تتحقق إلا بالتخلي عن الدين كما قال الله ﷻ: ﴿وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۚ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ ۚ وَلَئِنَّ آتِبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ ۚ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ۚ﴾ ، وأما عدم انتهاك

حقوق المواطن والإنسان، فمقتضاه أن يكون كل إنسان حراً فيما يأتي ويذر، فلا يُتعرض له بأمر ولا نهي، وقد كانت علامة المنافقين في زمن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه بُغض الأنصار؛ لأنهم قاموا بنصرة الدين وإظهار الحق، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «آية الإيمان حب الأنصار، وآية النفاق بغض الأنصار» رواه البخاري (١٧) ومسلم (٢٣٥)، وقال صلى الله عليه وسلم: «الأنصار لا يحبهم إلا مؤمن، ولا يبغضهم إلا منافق، فمن أحبهم أحبه الله، ومن أبغضهم أبغضه الله» رواه البخاري (٣٧٨٣) ومسلم (٢٣٧)، وأما علامة المنافقين في هذا الزمان في هذه البلاد فهي بغض الأمرين بالمعروف والناهين عن المنكر وتصيد أخطائهم وكذا تمني زوال هيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أو إضعافها، وقد قال الله ﷻ في كتابه العزيز: ﴿الْمُنْفِقُونَ وَالْمُنْفِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِّنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ﴾ ، وقال: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ .

وقد مدح الله على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وذم على ترك ذلك فقال: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ ، وقال: ﴿وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ ، وقال: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ ﴿٧٨﴾ كانوا لا يتناهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ .

وأما الرئيس الجديد للهيئات فأسأل الله ﷻ أن يعينه على القيام بما حمله

من المسؤولية العظيمة على الوجه الذي يرضيه، ومن حسن حظه ألا يرضى عنه هذا المستهزئ وغيره من غزاة هذه البلاد المتبعين للشهوات، ومن سوء حظ أي مسؤول في أي موقع كان أن ترضى عنه هذه الفئة المنحرفة في أفكارها وأخلاقها الماكرة بحكومة هذه البلاد وشعبها، وقد كتبت رسالة بعنوان «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أهم أسباب قيام الدولة السعودية وبقائها»، وهي مطبوعة ومنشورة.

هذه بعض نماذج من الحوار الذي جرى بينه وبين الصحيفة والجواب عنها، والخير كل الخير لتركى الحمد أن يتوب إلى الله من هذا الاستهزاء بالله ودينه قبل أن يأتيه الأجل وهو على هذه الحال، وأن يسلم من الإفساد في بلاد الحرمين بعد إصلاحها، وأسأل الله ﷻ أن يهديه وأمثاله إلى الصراط المستقيم، وأن يخرجهم من الظلمات إلى النور، وأسأله سبحانه أن يحفظ هذه البلاد حكومة وشعباً من كل سوء، وأن يقيها الشرور والفتن ما ظهر منها وما بطن، إنه سميع مجيب.

وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

رافضي جديد يشتم الصديق والفاروق ويسب الدولة السعودية

(١٢/٦/١٤٣٠هـ)

الحمد لله وحده، وصلى الله وسلم وبارك على من لا نبي بعده، نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد، فقد كتبت قريباً كلمة بعنوان: «كلمة أخرى حول زندقة تركي الحمد» ونشرت بتاريخ ٢٦/٥/١٤٣٠هـ، وهو عدوٌ في أثواب صديق

لبلاد الحرمين حكومة وشعباً كغيره من أمثاله من المستغربين المتبعين للشهوات الذين يريدون أن تميل هذه البلاد ميلاً عظيماً، وما حصل أخيراً في بلاد الحرمين من انفلات النساء وانحذارهن في الأخلاق من التبرج والسفور والاختلاط بالرجال هو من آثار مكرهم وكيدهم، وهو من الإفساد في الأرض بعد إصلاحها، ومن أمثلة عداوته قوله في عدامته (ص ٢٣) على لسان من تخيله وسماه منصوراً وهو يخاطب من سماه هشاماً: «ما رأيك في الحكومة يا هشام؟!» ثم قال منصور: «لا داعي للإجابة، أنا أجيب عنك: إنها حكومة فاسدة لا هم لها إلا مصلحتها ونهب خيرات الشعب الذي لا حقوق له، إن الشعب مجرد عبيد أو رعايا على أفضل الأحوال ليس إلا!!»، إلى أن قال في هذيانه (ص ٢٤): «وصمت منصور بضع لحظات، ثم قال: أنا أدعوك للانضمام إلى تنظيم يسعى إلى مقاومة الظلم وإقامة العدل والحرية!!»، إلى أن قال منصور لهشام (ص ٢٥): «لست أول شخص أحادثه في هذا الأمر ولن تكون الأخير!!»، وهكذا كلَّ ينفق مما عنده وكل إناء ينضح بما فيه، وواجب الحكومة الحذر من الأعداء ولا سيما الأشد عداوة، كهذا وأمثاله الذين قال الله عن أسلافهم: ﴿هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرُوهُمْ﴾، وجهاد المنافقين ببيان فسادهم وإفسادهم والتحذير منهم من أفضل الجهاد في سبيل الله في هذا الزمان.

والآن أكتب هذه الكلمة عن زنديق آخر هو رافضي يدعى ياسر الحبيب، وليس له من اسمه نصيب بل هو عاصر بغيض، فقد سمعت له تسجيلاً مشتملاً على كلام قبيح يذم به الدولة السعودية، قاله بحماس وانفعال وهو يتقدم مظاهرة أمام السفارة السعودية في بريطانيا — والعاصمة

البريطانية لندن مستودع لكثير من الرويضات وملتقى لمختلف العصابات — وذلك بمناسبة ما حصل من بعض الشيعة من فوضى عند البقيع في المدينة في أواخر شهر صفر من هذا العام (١٤٣٠هـ) وقيام الدولة السعودية بمنع هذه الفوضى.

ومن مسؤوليات الدولة السعودية المحافظة على قبور البقيع والحيلولة دون أي غلو أو جفاء يحصل فيها، وعلى الزائرين التقيد بالتنظيم الذي تضعه الدولة لزيارة البقيع.

وليس بعيد أن يكون ما جرى عند البقيع حصل بتدبير للتوصل به إلى افتعال هذه الضجة من هذا التائه وأمثاله للنيل من الدولة السعودية وعلى رأسها خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله حفظه الله بكلمات بذينة قبيحة ساقطة هابطة لا تصدر إلا ممن لا قيمة لنفسه عنده فضلاً عن أن يكون لها قيمة عند غيره.

والدولة السعودية بتمسكها بالحق والهدى وثباتها على الأسس التي قامت عليها لا يضيرها بإذن الله جهل الجاهلين ونعيق الناعقين؛ كما قال الله ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَصُرُّوا اللَّهَ يَصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ وقال: ﴿وَلَيْسَ صُرْتُ اللَّهِ مَن يَصُرُّهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ ١٠ الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَاللَّهُ عَنِقَبَةُ الْأُمُورِ﴾، وقال: ﴿وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَصُرْكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾، وقال ﷺ في أول وصيته لابن عباس ؓ: «احفظ الله يحفظك» رواه الترمذي (٢٥١٦) وغيره وقال: «هذا حديث حسن صحيح».

ولم يكن ما جاء في كلام هذا التائه من بذاءة وقبح ووعيد وتهديد للدولة السعودية غريباً منه وهو الذي امتلأ قلبه حقداً وغيظاً على أصحاب رسول الله ﷺ ولا سيما على خير هذه الأمة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، فقد تفوه بسبهما ولعنهما والزعم بأنهما يعذبان في النار أشد من عذاب إبليس فيها، وفي مقابل ذلك غلا في الأئمة الاثني عشر عند الشيعة وفضلهم على الأنبياء والمرسلين، وقال: إن هذه عقيدة الشيعة وإن إبراهيم الخليل وغيره من الأنبياء سوى محمد ﷺ دونهم في الفضل والمنزلة، وهذا الغلو منه في أئمتهم الاثني عشر والجفاء في أنبياء الله ورسله وصحابة نبيه ﷺ جاء في كلمة له مسجلة ألقاها على جماعة منهم في الكويت، وقد كشفت عما فيها من قبح وخسة ووقاحة وأظهرت خزي هذا الرافضي وأبنت عن منتهى إجرامه - عليه من الله ما يستحق - في رسالة بعنوان: «أغلؤ في بعض القرابة وجفاء في الأنبياء والصحابة؟!»، طبعت مفردة في عام ١٤٢٥هـ، وطُبعت ضمن مجموع كتبي ورسائلي (٣١-٩/٧) في عام ١٤٢٨هـ.

ومن محاسن أهل السنة أنهم يحبون صحابة رسول الله ﷺ وأهل بيته جميعاً ويتولونهم ويذكرونهم بالجميل اللائق بهم، وأما الشيعة فهم يحفون في الأنبياء والصحابة وأكثر القرابة ويغلون في علي وفاطمة والحسن والحسين رضي الله عنهم وتسعة من أبناء الحسين، وهم الأئمة الاثنا عشر عندهم، وقد بيئت فضل أهل البيت عند أهل السنة برسالة مشتملة على عشرة فصول بعنوان: «فضل أهل البيت وعلو مكانتهم عند أهل السنة والجماعة»، طبعت مفردة عام ١٤٢٢هـ، وضمن مجموع كتبي ورسائلي (٦/٨١-١٣١) عام ١٤٢٨هـ، وهذه الفصول هي:

- ١ - من هم أهل البيت؟.
 - ٢ - مجمل عقيدة أهل السنة والجماعة في أهل البيت.
 - ٣ - فضائل أهل البيت في القرآن الكريم.
 - ٤ - فضائل أهل البيت في السنة المطهرة.
 - ٥ - علو مكانة أهل البيت عند الصحابة رضي الله عنهم وتابعيهم بإحسان.
 - ٦ - ثناء بعض أهل العلم على جماعة من الصحابة رضي الله عنهم من أهل البيت.
 - ٧ - ثناء بعض أهل العلم على جماعة من الصحابييات رضي الله عنهن من أهل البيت.
 - ٨ - ثناء بعض أهل العلم على جماعة من التابعين وغيرهم من أهل البيت.
 - ٩ - مقارنة بين عقيدة أهل السنة وعقيدة غيرهم في أهل البيت.
 - ١٠ - تحريم الانتساب بغير حق إلى أهل البيت.
- وبهذا يتبين أن أهل السنة والجماعة يتولون الصحابة والقراة، وأما الرافضة فيغلون ببعض القراة ويجفون في الأنبياء والصحابة، والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



كلمة ثالثة حول زندقة تركي الحمد

(١٤٣١/٦/٢٤هـ)

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد، فقد سبق أن كتبت كلمتين حول زندقة تركي الحمد، نُشرت أولاهما في ١٤٢٩/٩/٢٠هـ بعنوان: «الحق أن المستحق للمحاكمة هو تركي الحمد»، والثانية بعنوان: «كلمة أخرى حول زندقة تركي الحمد»، نُشرت في ١٤٣٠/٥/٢٦هـ على إثر حوار بينه وبين صحيفة الوطن، وقد ذكرت فيها نماذج من كلماته القبيحة الواضحة في كفره وزندقته واستهزائه بالله وشرعه اشتمل عليها كتابه «الكراديب»، وأعيد ذكرها هنا ليقف على منتهى قبحها وفظاعتها من لم يقف على الكلمتين السابقتين:

(١): قوله (ص ٥٠): «دع الله وشأنه».

(٢): قوله (ص ٧٨): «الانتحار نصر على الله، في الانتحار تفوت الفرصة على الله أن يختار لك مصيرك».

(٣): قوله (ص ١٢٠): «إبداع الشيوعيين ليس مثله إبداع».

(٤): قوله (ص ١٣٧): «فالله والشيطان واحد هنا وكلاهما وجهان لعملة واحدة».

(٥): قوله (ص ١٣٨): «هناك جنة ونار معاً، الله وشيطان، نبي وفرعون، وكل في قدر يسبحون».

(٦): قوله (ص ١٨٧): «فنحن لا ندري إلى أي عالم سنكون، وإلى أي

حياة أو فناء سنؤول».

(٧): قوله (ص ٢٧٤): «وقد يكون ما يسير الدنيا هو القدر أو العيب أو الحتم أو الصيرورة لا ندري».

ثم اطلعت على حوار أجرته معه صحيفة الجزيرة الصادرة في ٢٨ / ٤ / ١٤٣١ هـ، وهذه تنبيهات على شيء مما جاء في هذا الحوار:

(١): أبداً في حوار ارتياحه في الوقت الحاضر لما وصفه بوجود مجالات التعدد وليس التوحد، وهو الذي يتمكن فيه أمثاله من الكلام الباطل في الدين، وقد كتبت كلمة في هذا الموضوع بعنوان: «دعاة التغريب ومصطلحهم» (التعددية) و«الأحادية» لانتقاء ما يوافق أهواءهم» نشرت في ٢٤ / ٢ / ١٤٣١ هـ.

(٢): ذكر في حوار أن كتبه ممنوع بيعها في مكتبات المملكة ومعارضها، وأنه تكررت الوعود له بفسحها ثم يفاجأ بالمنع، وقال: «ومؤخراً أتاني وعد جديد بنشر كتبي في كل المكتبات وليس معرض الكتاب فقط، وها أنا من المنتظرين!».

أقول: وحُقَّ لكتب اشتملت على مثل هذه القبائح التي ذكرت نماذج منها أن تُمنع ومثلها حقيق بأن يُحرق، ومثلها لا يجوز الوعد بنشره فضلاً عن تنفيذ الوعد، وكان ينبغي بدلاً من أن يوعد بنشرها أن يُطلب منه التوبة من كل ما اشتملت عليه من زندقة وأن يكتب كتابة سليمة تستحق النشر.

(٣): قال في حوار: «فالآن نستطيع أن نناقشهم بكل حرية أما في الماضي فكانوا يقولون الشيء ولا نستطيع أن تتناقش فيه بتاتاً، حالياً تستطيع في الصفحات الأولى بالجرائد أن ترد على أي عضو بهيئة كبار العلماء التي هي أعلى سلطة دينية في المملكة، وتستطيع أن ترفع شكوى ضد هيئة الأمر

بالمعروف، سابقاً لم تكن تستطيع أن تقوم بهذه الأشياء، فهذا بلا شك تغير واضح وملحوس».

أقول: والآن رفعت الأفاعي رؤوسها حتى زعم هذا الزنديق التمكن من التطاول على هيئة كبار العلماء والنيل منهم في الصفحات الأولى من الصحف، ورفع شكوى ضد هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وما كان ينبغي أن يتجرأ من يستهزئ بالله وشرعه على التبجح بمثل هذا العمل المشين وأن يتطاول من يدعو إلى النار على من يدعو إلى الجنة، بل كيف تطيق عيون النظر إلى وجه هذا المستهتر المستهزئ بالله المتمرد على شرعه المعجب بإبداع الشيوعيين؟! ومثله إذا لم يتب من زندقته فلا أقل له من سكنى السجون على ظهر الأرض إذا لم يحصل له سكنى القبور في داخلها.

(٤): قال في حوارهِ: «وكما نعلم أن القاعدة الفقهية الشهيرة تقول: (أن الأصل في الأشياء الإباحة)، ولو تأملت المحرمات في الدين الإسلامي لوجدتها بعدد أصابع اليد!».

أقول: كيف صار لمن يستهزئ بالله ودينه أن يتكلم عن قاعدة فقهية وهي الأصل في الأشياء الإباحة، والمطابق لحاله كون الأصل الإباحية، ولم يذكر المحرمات في الدين الإسلامي التي زعم أنها بعدد أصابع اليد، بل الجمل السبع التي أشرت إليها من كتابه «الكراديب» هي من أعظم المحرمات الدالة على كفر قائلها وزندقته وإلحاده، والمحرمات في الدين الإسلامي كثيرة، وقد أورد الإمام الذهبي في كتابه «الكبائر» منها سبعين كبيرة.

(٥): قال في حوارهِ: «وهناك علماء شرعيون من خارج السعودية أتوا بأدلة شرعية كثيرة تدل على أن المحرم هو الخلوة غير الشرعية وليس الاختلاط، لأن الاختلاط جزء من الحياة ونراه في كل جوانبها: في السوق

والشارع وحتى في الحرم المكي!! فإذا لماذا نحرم ما أحل الله؟!». أقول: متى كان لأهل الزندقة والإلحاد أن يتكلموا في الحلال والحرام؟! ومثل هذا الزنديق لا يعجبه ولا يكفيه إلا أن تكون النساء في بلاد الحرمين مماثلة لما عليه النساء في الغرب من الانحلال.

(٦): جاء في الحوار: «ما رأي الدكتور الحمد في هجرة بعض المثقفين السعوديين إلى خارج المملكة والعيش في الخارج؟

قال: هم يبحثون في هذه الهجرة عن الحرية الاجتماعية والحرية الثقافية. هل سنرى الدكتور تركي الحمد من ضمن هؤلاء المهاجرين؟ قال: لا أظن هذا؛ فبيئتي هنا وشرعيتي تقوم على وجودي في بلدي، فإذا خرجت من بلدي ستضعف علاقتي معها بشكل محسوس، فأنا باقي في وطني المملكة العربية السعودية».

أقول: لم يرد هذا الزنديق المستهزئ بالله ودينه أن يخرج من هذه البلاد مع المثقفين الذين يبحثون عن الحرية الاجتماعية والثقافية، وأثر البقاء في المملكة ليفسد في بلاد الحرمين بعد إصلاحها وهو من ألد الأعداء لها حكومةً وشعباً وهو عدو في أثواب صديق، يوضح هذه العداوة ما قاله في كتابه «العدامة» (ص ٢٣) على لسان من تخيَّله وسماه منصوراً وهو يخاطب من سماه هشاماً: «ما رأيك في الحكومة يا هشام؟!» ثم قال منصور: «لا داعي للإجابة، أنا أجيب عنك: إنها حكومة فاسدة لا همَّ لها إلا مصلحتها ونهب خيرات الشعب الذي لا حقوق له، إن الشعب مجرد عبيد أو رعايا على أفضل الأحوال ليس إلا!!»، إلى أن قال في هذيانه (ص ٢٤): «وصمت منصور بضع لحظات، ثم قال: أنا أدعوك للانضمام إلى تنظيم يسعى إلى مقاومة الظلم وإقامة العدل والحرية!!»، إلى أن قال منصور لهشام (ص ٢٥): «لست أول

شخص أحادثه في هذا الأمر ولن تكون الأخير!!»، وهكذا كُلُّ ينفق مما عنده وكل إناء ينضح بما فيه، وواجب الحكومة الحذر من الأعداء ولا سيما الأشد عداوة، كهذا وأمثاله الذين قال الله عن أسلافهم: ج □ □ □، وجهاد المنافقين ببيان فسادهم وإفسادهم والتحذير منهم من أفضل الجهاد في سبيل الله في هذا الزمان.

(٧): جاء في الحوار أنه شارك في مهرجان الجنادرية وأنه قدّم ورقة عمل في أول ندواته تحدث فيها عن مفهوم الرأي الأوحده وفرض الوصاية، ومثله لا يليق أن يُدعى لهذا المهرجان ولا لغيره، ومن دعاه وهو غير عالم بزندقته فهو معذور، وأما من علم حاله فلا عذر له، بل المتعين الحذر منه كما يُحذر من الحيات والعقارب والذئاب، وكل من عنده إيمان يبرأ منه ومن زندقته، وقد قال عنه الشيخ الأديب أبو عبد الرحمن بن عقيل كما في ملحقات المدينة بتاريخ ١٤٣١/١/٢٢ هـ: «وأما تركي الحمد منذ أن قرأت كتابه (الكراديب) فأشهد الله على بغضه وبغض من شايعه، فوالله إن بطن الأرض خير لنا من ظاهرها إن عجزت الأمة عن صد من يسومها في عقيدتها ودينها». وأسأل الله ﷻ أن يحفظ هذه البلاد حكومةً وشعباً من كل سوء، وأن يقيها شر الأشرار وكيد الكفار؛ إنه سميع مجيب، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



أفعى تعود إلى رفع رأسها من جديد لنفث سمومها

(١٥/١/١٤٣١ هـ)

الحمد لله معز من أطاعه ومذل من عصاه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده

لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه ومن سلك سبيله واهتدى بهديه إلى يوم الدين.

أما بعد، فقد اطلعت في صحيفة عكاظ في عددها الصادر في ٥ / ١ / ١٤٣١ هـ على إعلان تحت عنوان: «جدل المثقف والسلطة يتواصل مع المالكي»، جاء فيه: «تواصل جماعة حوار في نادي جدة الأدبي الليلة مناقشة محورها لهذا العام (جدل العلاقة بين المثقف والسلطة في الثقافة العربية)، ويلقي الباحث حسن فرحان المالكي في هذا الإطار محاضرة بعنوان: (المعتزلة وأحمد بن حنبل)، ودعا النادي المثقفين والمهتمين بالشأن الثقافي لحضور الأمسية الفكرية في مقره».

وقد أوقفت تلك المحاضرة المزعومة وقطع دابر ذلك التواصل المزعوم، والحمد لله رب العالمين، ومن وقف على هذا الإعلان يتساءل عن وجه اختيار «جدل المثقف والسلطة»، موضوعا للحوار، وعن اختيار هذا المالكي للتواصل معه؟! وأي أدب سيظفر به النادي الأدبي بجدة من تواصله معه؟! وأي فائدة تحصل للمثقفين من سماع محاضرة عنوانها «المعتزلة وأحمد بن حنبل؟!»، إنهم لن يسمعوا من هذا المالكي إلا النيل من أهل السنة وفي مقدمتهم الإمام أحمد بن حنبل رحمهما الله والثناء على المبتدعة من معتزلة وغيرهم، وهو الذي أثنى على المأمون لنصرته المعتزلة وذم المتوكل لإنهائه محنة أهل السنة ونصرتهم، وسبق لهذا الذي وصف في الإعلان بـ «الباحث» أن كتب بحثين في منتهى السوء، أحدهما بعنوان: «الصحابة بين الصحبة اللغوية والصحبة الشرعية»، والثاني بعنوان: «قراءة في كتب العقائد - المذهب الحنبلي نموذجا»، وقد رددت على الأول بكتاب بعنوان: «الانتصار للصحابة الأخيار في رد أباطيل حسن المالكي» طبع في عامي ١٤٢٢ هـ و ١٤٢٣ هـ، وعلى الثاني بكتاب بعنوان: «الانتصار لأهل السنة والحديث في

رد أباطيل حسن المالكي» طبع في عام ١٤٢٤هـ، ثم طبع الكتابان ضمن مجموعة كتبي ورسائلي (٧/ ٣٣-٣٩٣) عام ١٤٢٨هـ.

ومن عناوين الكتاب الأول «الانتصار للصحابة الأخيار» التي ذكرت تحتها كلامه في النيل من الصحابة والرد عليه: زعمه قصر الهجرة على المهاجرين قبل الحديبية وقصره الصحبة على المهاجرين والأنصار قبل الحديبية، وتشكيكه في أفضلية أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وتشكيكه في أحقية أبي بكر بالخلافة، وزعمه أن العباس بن عبد المطلب وابنه عبد الله رضي الله عنه ليسا من الصحابة، وزعمه أن خالد بن الوليد رضي الله عنه ليس من الصحابة، وزعمه أن معاوية رضي الله عنه ليس من الصحابة، وزعمه أن عمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة رضي الله عنه ليسا من الصحابة، وزعمه أن صحبة الكثيرين من أصحاب النبي ﷺ لغوية لا شرعية - يريد بالصحبة الشرعية من كان أسلم قبل صلح الحديبية، وبالصحبة اللغوية من أسلم بعدها وصحبته عنده كصحبة الكفار والمنافقين لا فضيلة لها -، وزعمه أن الإجماع لا بد فيه من اتفاق أمة الإجابة بفرقها المختلفة، وإنكاره القول بعدالة الصحابة.

ونقل هنا جملة من كلماته في مدح أهل البدع وذم أهل السنة مما ذكرته تحت عنوان: «زعمه أن الإجماع لا بد فيه من اتفاق أمة الإجابة بفرقها المختلفة» معزوة إلى بحثه المزعوم «قراءة في كتب العقائد» وتعليقي على تلك الجمل موجود في الكتاب، من ذلك قوله: «أقوى دليل للذين يرون الإجماع هو الحديث المشهور: (لا تجتمع أمتي على ضلالة)، والحديث وإن كان فيه كلام من حيث الثبوت، لكن (الأمة) فيه لا تعني بعض الأمة وإنما كل أمة الإجابة، كل المسلمين باختلاف مذاهبهم الفقهية والعقدية والسياسية، ومن زعم بأن النبي ﷺ أراد من (أمتي) أنها تعني المحدثين أو أصحاب المذاهب الأربعة فقد جازف...!»، وقوله: «ولذلك كان أكثر بل كل التيارات التي

نَصَمَهَا بالبدعة كالجهمية والقدرية والمعتزلة والشيعة والزيدية وغيرهم، كل هؤلاء كانوا من الدعاة إلى تحكيم كتاب الله وتحقيق العدالة، وكانوا من الآمرين بالمعروف الناهين عن المنكر!!»، وقوله: «لكن المعتزلة مثل غيرهم من الفرق أصابوا في أشياء وأخطأوا في أشياء، لكنهم في الجملة لا يستغنى عنهم ولا عن تراثهم وعلومهم، وهم مسلمون متدينون بدين الإسلام باطنا وظاهراً!!»، وقوله: «وللقدرية نصوص شرعية يستشهدون بها مثلما للسنّة والشيعة والمعتزلة نصوص شرعية يرون فيها الدليل الكافي على ما يذهبون إليه!!»، وقوله: «بأن قتل الجعد بن درهم والجهم بن صفوان كان سياسياً ولم يكن من أجل البدعة!!»، وتأسفه «على سنوات أضاعها في بغض ولعن الجهمية والقدرية، وأنه لم ينتبه لبراءتهما وظلمه لهما إلا بعد بحثه في الموضوع في فترة متأخرة!!»، وقوله: «وقد احتوت كتب العقائد - ومن أبرزها كتب عقائد الحنابلة - على كثير من العيوب الكبيرة التي لا تزال تفتك بالأمة!!»، وقوله: «أنا لا أرى معنى لمنع كتب الأشاعرة والشيعة والإباضية وغيرهم من المسلمين من دخول المملكة في ضوء هذا التفجر المعرفي!!»، وقوله: «وتتردد عندنا في العقائد ألفاظ كثيرة ومصطلحات فضفاضة لا نعرف معناها أو على الأقل يختلف الناس في تحديدها من شخص لآخر، فنُطْلَقُها بلا تحديد، مثل: (السلف الصالح - أهل السنة - أهل الأثر - أهل الحديث - الطائفة المنصورة - البدعة - الإجماع - الضلالة - الأمة - علماء الأمة - الرافضة - الجهمية - الخوارج - النواصب - الشيعة - الكتاب - السنة... الخ)، وكذلك قول بعضهم: (عليك بما كان عليه الصحابة)، نصيحة مطاطة؛ فإن كان يعرف أن الصحابة قد اختلفوا في أمور كثيرة عقدية وفقهية وسياسية فأئهِم تتبع؟!»، وقوله: «ثم تتابع علماء الشام كابن تيمية وابن كثير وابن القيم على التوجس من فضائل عليّ وأهل بيته وتضعيف الأحاديث الصحيحة في

فضلهم مع المبالغة في مدح غيرهم!! وعلماء الشام - مع فضلهم - بشر لا ينجون من تأثير البيئة الشامية التي كانت أقوى من محاولات الإنصاف، خاصة مع استئناف هؤلاء بالتراث الحنبلي الذي خلفه لهم ابن حامد وابن بطة والبرهاري وعبد الله بن أحمد والخلال وأبو بكر بن أبي داود!!»، وقوله: «ثم جاء بعد هؤلاء آل تيمية بحرّان ثم دمشق، وابن كثير إلى حد كبير، والذهبي إلى حد ما، أما ابن تيمية فاشتهر عنه النصب وكتبه تشهد بذلك، ولذلك حاكمه علماء عصره على جملة أمور، منها: بغض عليّ!! ولم يحاكموا غيره من الحنابلة مع أن فيهم نصباً ورثوه عن ابن بطة وابن حامد والبرهاري، والتيار الشامي العثماني له أثر بالغ على الحياة العلمية عندنا في الخليج، وهذا من أسرار حساسيتنا من الثناء على الإمام عليّ أو الحسين، وميلنا الشديد لبني أمية، فتنبه!! والنواصب لهم أقوال عجيبة كغلاة الشيعة، فمنهم من كان ينشد الأشعار التي قيلت في هجاء النبي ﷺ، ومنهم من يلعن عليّاً وهم الأكثر، ومنهم من يتّهم عليّاً بمحاولة اغتيال النبي ﷺ، ومنهم من يحرف الأحاديث في فضله إلى ذم، وغير ذلك مما لا أستحل ذكره، والغريب في أمرنا سكوتنا عن هذه الطائفة التي كان منها من يذم النبي ﷺ نفسه!!!».

أقول: والله يعلم أنني كاره لحكاية هذيان هذا المالكى ومستح من ذكره، وكيف نسكت عمن زعم أنه يذم النبي ﷺ أو يتّهم عليّاً ﷺ بمحاولة اغتياله لو وجد ونحن لم نسكت عن هذا المالكى الذي أساء إلى نفسه بالنيل من الصحابة وذم أهل السنة السائرين على نهجهم!؟

وهذا الكلام المتناهي في القبح الذي عزاه إلى غلاة النواصب لن يجده إن كان صادقاً إلا في كتب غلاة المبتدعة الذين يفترون على أهل السنة الذين يصفونهم بالنواصب وهم بريئون من ذلك براءة الذئب من دم يوسف عليه

الصلاة والسلام، أما وصفه بعض أهل السنة كابن تيمية وابن كثير وابن القيم بالتوجس من فضائل عليٍّ وأهل بيته وتضعيف الأحاديث الصحيحة في فضلهم مع المبالغة في مدح غيرهم، وزعمه حساسيتنا في الخليج من الشناء على الإمام عليٍّ أو الحسين فهو زعم باطل مخالف لما عليه أهل السنة من مودة أهل البيت ومعرفة فضلهم، وقد بيّنت ذلك في رسالة في عشرة فصول بعنوان: «فضل أهل البيت وعلو مكانتهم عند أهل السنة والجماعة» طبعت عام ١٤٢٢هـ، وطبعت ضمن مجموعة كتبتي ورسائلي (٦/ ٨١-١٣١) في عام ١٤٢٨هـ، وهي مشتملة على حكاية أقوال كثير من الصحابة ومن تبعهم بإحسان في فضل أهل البيت، ومنهم الثلاثة الذين أشار إليهم.

أما زعم المالكي أنه حنبلي في قوله: «بل لا أعتبر نفسي إلا حنبلياً بحكم النشأة والتعليم والبيت والتلقي والطريقة في الاستدلال»، فغير صحيح؛ لأن طريقة من زعم أنه منهم - وليس منهم - هي طريقة أهل السنة والجماعة، وأما هو فطريقته طريقة أهل البدع بل هو من الموغلين في البدع، وأما ما ذكره من النشأة والتعلم ثم انحرافه عما تعلمه وعقوقه لمن علمه فإنه يصدق عليه قول الشاعر:

فوا عجباً ممن ربيت طفلاً ألقمه بأطراف البنان
أعلمه الرماية كل يوم فلما اشتد ساعده رماني
وكم علّمته نظم القوافي فلما قال قافية هجاني

وأما إنكاره القول بعدالة الصحابة فهذه في كثير من الجواب عليه في الكتاب، ومن هذيانه قوله معترضاً على أهل السنة في قولهم بالإجماع على عدالة الصحابة: «كيف تحضون الصحابة بالعدالة مع أن هذا التخصيص لم يرد عليه دليل لا من كتاب ولا من سنة؟! وهذه مسألة إجماع؛ فحكم الصحابة هو حكم غيرهم في الشهادة لقوله تعالى: (وليشهد به ذوا عدل

منكم) (كذا! وليس في القرآن آية بهذا اللفظ)، فلو كان للصحابة خصوصية لكفى شاهد واحد عدل، ولو كان للصحابة خصوصية لاكتفى منهم بشاهد واحد في الزنا والقذف وغيرها، وهذا خلاف الإجماع؛ فإن النصوص القرآنية والحديثية لا تفرق بين صحابي وتابعي، فلماذا تفرقون أنتم في الرواية بين الصحابي وغير الصحابي، فلا تبحثون عن عدالة الصحابي، وتبحثون عن عدالة التابعي؟! بأي دليل من الشرع أو عقل يبيح لكم هذا التفريق؟! إذا كنتم تحتاجون بأن الله أثنى على الصحابة في كتابه، فهذا الثناء العام معارض بدم عام في القرآن أيضاً!!».

ثم ذكر آيات عديدة فيها الذم العام بزعمه وبعضها آيات في المنافقين، وذكر بعدها حديثاً واحداً وأشار إليه وإلى كثير من الآيات التي ذكرها، فقال: «ومن الأحاديث في الذم العام قول النبي ﷺ في أحاديث الحوض في ذهاب أفواج من أصحابه إلى النار، فيقول النبي ﷺ: (أصحابي! أصحابي! أصحابي! لا تدري ما أحدثوا بعدك) الحديث متفق عليه، وفي بعض ألفاظه في البخاري: (فلا أرى ينجو منكم إلا مثل همل النعم)، فيأتي المعارض للثناء العام بهذا الذم العام، ويقول: كيف تجعلون للصحابة ميزة وقد أخبر النبي ﷺ أنه لا ينجو منهم إلا القليل، وأن البقية يؤخذون إلى النار؟! وكيف أنهم استمتعوا بخلاقهم كما استمتع الذين من قبلهم بخلاقهم وقد تحبط أعمالهم كم حبطت أعمال الأمم الماضية!!»، إلى أن قال: «أقول: يستطيع المحتج على إبطال عدالة الصحابة جملة بمثل هذه الآيات والأحاديث الصحيحة، وحجته لن تكون أضعف من حجة القائل بتعديل كل من رأى النبي ﷺ من المسلمين!! فما الحل إذا؟!»، ثم ذكر الحل عنده على ما يوافق هواه.

أقول: إن هذه التساؤلات في هذيانه في الحقد على الصحابة لا تصدر إلا ممن أنهكت قلبه أمراض الشبهات، وآية الاستمتاع بالخلاق هي في المنافقين

كما في كتب التفسير حتى في أخصرها وهو كتاب تفسير الجلالين، والحديث الذي عزاه إلى صحيح البخاري بلفظ: «فلا أرى ينجو منكم إلا مثل همل النعم»، وبنى عليه أن الصحابة يذادون عن الحوض ويؤمر بهم إلى النار ولا ينجو منهم إلا القليل ليس بلفظ (منكم) خطاباً للصحابة كما زعم المالكي، بل هو في صحيح البخاري (٦٥٨٧) بلفظ ضمير الغائب، وهو قوله ﷺ: «فلا أراه يخلص منهم إلا مثل همل النعم»، والضمير في (منهم) يرجع إلى زميرتين عُرضتا عليه تقدم ذكرهما في الحديث، وليس المراد بهم الصحابة كما زعم هذا الحاقّد وما جاء في بعض الأحاديث الصحيحة من قوله ﷺ: «أصحابي» في بعض الذين يذادون عن الحوض المراد بهم القلة الذين ارتدوا بعده ﷺ وقتلوا في ردتهم على أيدي الجيوش المظفرة التي بعث بها أبو بكر رضي الله عنه لقتال المرتدين، وقد نقلت في الكتاب حكاية الإجماع على عدالة الصحابة عن ابن عبد البر والقرطبي وابن الصلاح والنووي وابن حجر، ونقلت عن أبي زرعة الرازي قوله: «إذا رأيت الرجل يتقصّ أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ فاعلم أنه زنديق؛ وذلك أن رسول الله ﷺ عندنا حق والقرآن حق، وإنما أدّى إلينا هذا القرآن والسنن أصحاب رسول الله ﷺ، وإنما يريدون أن يجرحوا شهودنا ليُبطلوا الكتاب والسنة، والجرح بهم أولى وهم زنادقة»، وعن أبي جعفر الطحاوي قوله: «ونحب أصحاب رسول الله ﷺ ولا نفرط في حب أحد منهم، ولا نتبرأ من أحد منهم، ونبغض من يبغضهم وبغير الخير يذكرهم، ولا نذكرهم إلا بخير، وحبهم دين وإيمان وإحسان، وبغضهم كفر ونفاق وطغيان»، وعن أبي المظفر السمعاني قوله: «التعرض إلى جانب الصحابة علامة على خذلان فاعله، بل هو بدعة وضلالة»، ونقلت أيضاً عن آخرين أقوالهم في فضل الصحابة والثناء عليهم.

وأما الكتاب الثاني وهو «الانتصار لأهل السنة والحديث في رد أباطيل حسن المالكي» فقد قلت في مقدمته: «أمّا بعد، فقد نبت في هذا الزمان في أقصى جنوب هذه البلاد نابتة تسلق أسوار العلم، وأتى بيوتها من غير أبوابها، فقفي ما ليس له به علم، وخبط في العلم خبط عشواء، وحمل على أهل السنة والحديث منذ عهد الصحابة وحتى زماننا حملة شعواء، وهذا النابتة حسن بن فرحان المالكي، نسبة إلى بني مالك في أقصى جنوب المملكة، وإنما قلت: (نسبة إلى بني مالك)؛ لئلا يظن ظان نسبته إلى مذهب الإمام مالك، أحد أئمة أهل السنة، فإنه ليس من أهل السنة، بل هو من الموغلين في البدع، المحاربين لأهل السنة، وقلت: (في أقصى جنوب المملكة)؛ لئلا يتوهم نسبته إلى بني مالك الذين ذكر أن نسبهم يرجع إلى بجيلة، ومنازلهم قريبة من الطائف؛ لأن ظن نسبته إليهم مع خبثه وسوء معتقده لا شك أنه يسوؤهم، وأمّا الذين في الجنوب فهو وإن كان منهم فإن نسبته إليهم لا تضرهم؛ لأنه لا تزر وازرة وزر أخرى، وقد كرع هذا النابتة في مستنقعات أهل البدع، وعب منها ما شاء أن يعب، واطلع على ما أمكنه الاطلاع عليه من كتب أهل السنة لالتقاط الأخطاء وتصيّد المثالب، ثم تقياً ذلك كله في أوراق سمّاها بحوثاً.

ومن أقبح ما تقيّاه بحثه المزعوم الذي سمّاها «قراءة في كتب العقائد - المذهب الحنبلي نموذجاً»، وقد شحنه بالهذيان والأباطيل في ذم أهل السنة والثناء على المبتدعة، وسأشير هنا إلى جملة من تلك الأباطيل، ذاكراً بعدها رقم المبحث الذي وردت فيه من هذا الرد.

فمن ذلك زعمه أن مصطلح العقيدة مبتدع (٦)، وقدحه في كتب أهل السنة في العقيدة (٧)، وزعمه الاكتفاء بإسلام لا يُتعرّض فيه لجزئيات العقيدة؛ لأن ذلك بزعمه يُفرّق المسلمين (٨)، وثناؤه على أهل البدع وقدحه

في أهل السنة (٩)، وقدحه في أفضلية أبي بكر رضي الله عنه وأحقية بالخلافة (١١)، وقدحه في خلافة عمر وعثمان { (١٢)، وقدحه في أحاديث صحيحة بعضها في الصحيحين (١٤)، وزعمه أن المعول عليه في النصوص ما كان قطعي الثبوت قطعي الدلالة فقط (١٥)، وزعمه أن أهل السنة مجسمة ومشبهة (١٦)، وثناؤه على المأمون الذي نصر المبتدعة وآذى أهل السنة وذمه للمتوكل الذي نصر السنة وأنهى المحنة (١٨)، وتشكيكه في ثبوت السنة والإجماع، وزعمه أن أهل السنة يزهدون في التحاكم إلى القرآن مع المبالغة في الأخذ بأقوال الرجال (٢٤)، وزعمه أن أهل السنة يزهدون في كبائر الذنوب والموبقات (٢٥)، وزعمه أن أهل السنة يتساهلون مع اليهود والنصارى مع التشدد مع المسلمين (٢٦)، وزعمه أن قاعدة (اتباع الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة) باطلة وأنها بدعة (٢٧)، وزعمه أن تقسيم التوحيد إلى ربوبية وألوهية تقسيم مبتدع (٢٨)، وتشنيعه على الإمام أحمد في مسألة التكفير (٢٩)، ورميه أهل السنة بالنصب وزعمه أن ابن تيمية وابن القيم والذهبي وابن كثير نواصب (٣٠).

والله يعلم أنني كاره لإيراد كلامه في هذه الأباطيل، لكن دعت الضرورة إلى ذلك، وأقول فيها كما قال السيوطي في كتابه «مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة» (ص: ٥): (اعلموا - يرحمكم الله - أن من العلم كهية الدواء، ومن الآراء كهية الخلاء، لا تذكر إلا عند داعية الضرورة، وإن مما فاح ريحه في هذا الزمان، وكان دارساً بحمد الله تعالى منذ أزمان، وهو أن قائلاً رافضياً زنديقاً أكثر في كلامه أن السنة النبوية والأحاديث المروية - زادها الله علواً وشرفاً - لا يحتج بها، وأن الحجة في القرآن خاصة ... فاعلموا - يرحمكم الله - أن من أنكر كون حديث النبي ﷺ - قولاً كان أو فعلاً بشرطه المعروف في الأصول - حجة كفر وخرج عن دائرة الإسلام، وحشر مع اليهود

والنصارى، أو مع مَنْ شاء الله من فرق الكفرة ... وهذه آراء ما كنتُ أستحلُّ حكايتها لولا ما دعت إليه الضرورة من بيان أصل هذا المذهب الفاسد، الذي كان الناس في راحة منه من أعصار)،».

وما أشبه الليلة بالبارحة؛ فإنَّ التشابه بين المالكي وهذا الرافضي الذي ذكره السيوطي واضح؛ لأنَّ المالكيَّ شكَّك في ثبوت السنَّة وزعم أنَّ ثبوتها مختلفٌ فيه، وقال في (ص: ١٦٤) من قراءته المزعومة: «فقد اختلف المسلمون في ثبوت السنة وفي الإجماع وفي القياس وفي قول الصحابي وفي غير ذلك، لكن لم يختلفوا أنَّ القرآن هو المصدر الرئيس الشرعي في كلِّ أمر من الأمور الدينية!!»

ويرى بعضُ الناس أنَّ في الردِّ على هذا المالكيِّ إشهاراً له، وأقول: نعم! هو إشهارٌ له، لكن بالخزي والفضيحة، واشتهاره نظيرُ اشتهار صاحب الحكاية الذي قال: سأعملُ عملاً أذكر به في التاريخ، فما كان منه في جمع حاشد إلا أن خلع ثيابه وتعرَّى أمامهم، فتحقق له ذلك الذي أراده، وأيضاً فمن المعلوم أنَّ الباطل إذا ظهر تعيَّن كشفه وتزييفه وإيضاحُ بطلانه.

وإذا لم يهتد المالكي قبل بلوغه أجله فسيموتُ بغيظه، وسيبقى إن شاء الله ذكره السيِّء كما بقي ذكرُ أسلافه، كالجعد بن درهم، وجهم بن صفوان، وغيرهما من المبتدعة أهل الزيغ والضلال، وستبقى إن شاء الله الردودُ عليه، كما بقيت الردودُ من علماء السلف، كالإمام أحمد والدارمي وابن منده الذين ردُّوا على الجهمية.

وأقول في الختام: إن التواصل مع هذا المالكي الذي أوضحت حاله من التعاون على الإثم والعدوان ولعل العذر للنادي الأدبي في جدة في إرادته التواصل معه عدم معرفته بحاله، ومثله لا يحصلُ التواصل معه إلا ما يحصله من كان دليله الغراب في قول الشاعر:

ومن جعل الغراب له دليلاً يمر به على جيف الكلاب

واللائق بكل من عنده عقل ودين الحذر منه والبعد عن التواصل معه، وكيف تطيق أسماعُ سماعَ مَنْ ذكرتُ كثيراً من هذيانه؟! وكيف تطيق عيونُ النظر إلى من كانت هذه حاله؟! وكل ما ذكرته عنه من عبارات قبيحة في حق الصحابة رضي الله عنهم ومن سار على نهجهم واضحة في الدلالة على زندقته ودخوله ضمن من عناهم أبو زرعة رحمته الله في كلامه المتقدم، وسبق أن كتبت عن زندقته وزندقة تركي الحمد رسالة إلى خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله حفظه الله إبان ولايته للعهد بتاريخ ١٣/٩/١٤٢١هـ، قلت في آخرها: «أرجو من سموكم الاطلاع والتكرم بإصدار أمر كريم بمحاكمتها وتطبيق الحكم الشرعي فيهما، وقد ترون - حفظكم الله - التوجيه بقيام جهة مختصة تتولى مهام إقامة الدعوى على من يحصل منه اعتداء على العقيدة وتمرد على أحكام الله وسخرية واستهزاء بالدين وأهله، ثم تطبيق ما يقضي به الشرع في حقهم، وأسأل الله عز وجل أن يوفق سموكم لما فيه رضاه ونفع عباده وقطع دابر الإجرام والمجرمين».

وقد ذكرت ما يوضح زندقة تركي الحمد في كلمتين إحداهما بعنوان: «الحق أن المستحق للمحاكمة تركي الحمد» نشرت بتاريخ ٢٠/٩/١٤٢٩هـ، والثانية بعنوان: «كلمة أخرى حول زندقة تركي الحمد» نشرت بتاريخ ٢٦/٥/١٤٣٠هـ. ربنا لا تنزع قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



فهرس الكلمات

- المقدمة..... ٣
- ١- الحق في نصوص الوعد والوعيد وسط بين طرفي الإفراط والتفريط..... ٥
- ٢- صحفي ينكر الحوض والصراط ورؤية الله وجريدة عكاظ تنشر هذا الإنكار..... ١٣
- ٣- لم يثبت أن لحواء أم البشر قبراً في جدة..... ٢٢
- ٤- كلمة حول الآثار غير المشروعة في مكة المكرمة..... ٢٦
- ٥- رسالة نصح وإشفاق إلى الإعلاميين ومالكي القنوات والقائمين عليها من المسلمين حاكمين ومحكومين..... ٣٧
- ٦- ومرة أخرى: رفقا أهل السنة بأهل السنة..... ٤٨
- ٧- تحذير أهل الطاعة من الهذيان المبط عن صلاة الجماعة..... ٥٦
- ٨- أهمية خطبة الجمعة في الإسلام..... ٧٤
- ٩- مسألتان مختصتان بصلاة العيد في المسجد النبوي الشريف..... ٨١
- ١٠- الاعتماد في الصوم والإفطار والحج على رؤية الهلال لا الحساب..... ٩٠
- ١١- بهذا يحصل الاطمئنان لصحة السعي في التوسعة الجديدة للمسعى..... ٩٤
- ١٢- كلمة أخرى في توسعة المسعى..... ٩٩
- ١٣- لا تحديد في الإسلام لبدء سن الزواج ولا لانتهاؤه..... ١٠٦
- ١٤- كلمة أخرى حول منع الإسلام تحديد سن الزواج..... ١١٤
- ١٥- تنزيه ذكر الله ودعائه عن غناء المغنين..... ١١٧
- ١٦- من ذكرياتي عن الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة بعد مرور نصف قرن على إنشائها..... ١٢٠

- ١٧- أفى بلاد الحرمين ينشأ كليات للحقوق وللشريعة والقانون؟! وا عجباً ووا
أسفاً!!..... ١٣٤
- ١٨- الآثار السيئة لخلع باب الجامعة الإسلامية بالمدينة في عهد الجليل..... ١٣٧
- ١٩- كلمة توضيح حول نصيحة الشيخ النجمي وبيان الشيخ النجمي..... ١٤٥
- ٢٠- مناهجنا الدراسية بريئة من التهم ومتهمها هو المتهم..... ١٥٣
- ٢١- كيف يكون مستقبل الدول الإسلامية خيراً من ماضيها؟..... ١٦٠
- ٢٢- خطورة الإفساد في بلاد الحرمين بعد إصلاحها..... ١٦٥
- ٢٣- من أسوأ المفسدين في بلاد الحرمين تركي الحمد..... ١٧٢
- ٢٤- تنسيهات على مقال حول إباحة المظاهرات السلمية..... ١٧٦
- ٢٥- كلمة حول رسالة الشيخ سعد الحصين إلى الدكتور القصبي..... ١٨٣
- ٢٦- تقبيح نيز السعودية بالوهابية واتهامها زوراً بالإرهاب..... ١٨٦
- ٢٧- بيان خطورة افتتاح دور السينما في بلاد الحرمين..... ١٨٩
- ٢٨- تجمعات البراءة من المشركين لا نتيجة لها إلا إيذاء المسلمين..... ١٩٢
- ٢٩- الحق أن المستحق للمحاكمة هو تركي الحمد وقد طلبت محاكمته قبل ثمان
سنين..... ١٩٦
- ٣٠- كلمة أخرى حول زندقة تركي الحمد..... ٢٠١
- ٣١- رافضي جديد يشتم الصديق والفاروق ويسب الدولة السعودية..... ٢٠٦
- ٣٢- كلمة ثالثة حول زندقة تركي الحمد..... ٢١١
- ٣٣- أفعى تعود إلى رفع رأسها من جديد لنفث سمومها..... ٢١٥